تصوّف الغرب الإسلامي

شرح نونية الششتري

لابن عجيبة الحسني

تقديم تحقيق وتعليق

الأستاذ الدكتور محمد العدلوني الإدريسي



دار الثقافة
مؤسسة للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى 1434 - 2013

تصوف الغرب الإسلامي

شرح نونية الششتري

لابن عجيبة الحسني

تقديم تحقيق وتعليق

الأستاذ الدكتور محمد العدلوني الإدريسي



إهـــداء

إلـــى آدم الكونـــي
حفيدي العزيز وقرة عيني

القسم الأول

مقدمة التحقيق

الفصل الأول

تاريخ حياة صاحب القصيدة النونية
وتاريخ حياة شارحها

-I-

تاريخ حياة الششتري صاحب النونية

I- تاريخ حياة الششتري صاحب النونية :

أ ـ هو أبو الحسن الششتُري (بشينين معجمتين أولهما مضمومة، والثانية ساكنة بعدها تاء مثناة فوقية معجمة تم راء). ويدعى باللوشي نسبة إلى القرية التي قضى بها بعضا من طفولته بالأندلس وهي «لوشة». إلا أن أكثر ألقابه شيوعاً هو الششتري، وقد أورد هو نفسه هذا اللقب في بعض منظوماته للتعريف بحاله وذلك في قوله[1] :

إنْـتَـمْ زجَـلْ سِـمسَـار	بـالـبَـيْــع والشَّــرِي
ومـن يـبـع مـا يـخسـر	لأنــي مـشـتــري
غـالـي فـي طَـيٍّ أسـرار	لـوشـي وششـتُـري

ب ـ ومن ألقابه كذلك : المديني، نسبة إلى «أبي مدين شعيب» الملقب بالغوث (ت 594هـ).

ولد «أبو الحسن» حوالي سنة 610هـ الموافق لسنة 1212م[2]، وتوفي سنة 668هـ المافق لسنة 1269م.

ج ـ ثقافته ونوع العلوم التي أخذها : يمكن استخلاص نوعية العلوم التي حصلها ونبغ فيها، والمظاهر الحضارية والأذواق الفنية التي تثقف بها، من النص التالي، الذي يقدم فيه الغبريني وصفاً لشخصية الششتري العلمية

---

(1) ديوان أبي الحسن الششتري : الشعر زجل بالفصحى مع مظاهر مشرقية، ص 97.

(2) عن تاريخ حياته بشكل واسع أنظر كتابنا : «أبو الحسن الششتري وفلسفته الصوفية» ومن الذين اهتموا بحياته قديما :

- أبو العباس الغبريني : «كتاب عنوان الدراية»، دار الآفاق، بيروت، ط 2، 1979، ص 239.
- ابن فرحون : «كتاب نيل الابتهاج»، ط 1، لبنان، د. ت، ص 202.
- والمقري التلمساني : «كتاب نفح الطيب»، بيروت، 1968، ط 2، ج 2، ص 185....

والأدبية. فهو عنده : «**الشيخ الفقيه الصوفي** الصالح العابد **الأديب** المتجرد، من **الطلبة المحصلين**، من الفقراء المنقطعين، له **معرفة بالحكمة** [الفلسفة] ومعرفة بطريقة **الصالحين الصوفية**، وله تقدم في **علم النظم والنثر على طريقة التحقيق**، وشعره في غاية الانقطاع والملاحة، وتواشيحه ومقفياته ونظمه **الهزلي الزجلي** في غاية الحسن»[1].

د ـ أساتذة الششتري وشيوخه : «للششتري» قصيدة هامة تعرف «بالنونية» أو «بالشرق والغرب»[2] ومطلعها :

أرى طالبا منا الزيادة لا الحسنى   بفكرٍ رمى سهما فعدى به عَدَنا[3]

كشف فيها عن جذور المدرسة التي ينتمي إليها وعَدَّدَ فيها الأشياخ والأساتذة الذين أخذ عنهم مباشرة أو بطريقة غير مباشرة، فذكر فيها معرفته بـ :

— عبد الحق بن سبعين (614هـ ـ 668هـ) وعنه أخذ علومه في الفلسفة والتصوف على الطريقة الليسية (وحدة الوجود المطلقة).

— ابن سراقة محمد بن إبراهيم الشاطبي الأندلسي (592هـ ـ 662هـ) على يديه عرف أول الطريق الصوفي السني المعتدل.

— أبو مدين شعيب الغَوْث (ت 601هـ)، الذي تأثر خاصة بطريقته في نظم أشعاره وموشحاته في الحب الإلهي والإخلاص الصوفي.

— محي الدين بن عربي (560هـ ـ 632هـ)، تأثر الششتري بنظريته في وحدة الوجود المقيدة (الوحدة بين الله والعالم من حيث الصفات لا من حيث الذات) واعتمد كتبه : «الفتوحات»، «الفصوص»، وديوانه الشعري «ترجمان الأشواق».

(1) عنوان الدراية، ص 239.

(2) أنظر : الديوان، ص 72 وما يليها، وكتاب «الإحاطة»، ص 210-212، وقد قام بشرحها الشيخ أحمد زروق، مخطوط مكتبة الاسكوريال باسبانيا، رقم 40186، وقام كذلك بشرحها «ابن عجيبة»، مخطوط الخزانة العامة، رقم 1736/8د.

(3) شرح هذه القصيدة وتحليل مضامينها، هو موضوع تحقيقنا ودراستنا.

– كما عرف آراء «السهرودي الحلبي» الإشراقي (549هـ - 588هـ)، و«ابن الفارض» وتائيته (ت 632هـ)، وتعرف على آراء «الحلاج» (ت 309هـ) الحلولية، وآراء «الشابلي» (ت 334هـ) و«النفري» (ت 354هـ) في وحدة الشهود، و«ابن برجان» (ت 536هـ) في تفسيره للقرآن، و«ابن قسي» (ت 546هـ) وكتابه خلع النعلين.

– غير أن معرفته بالطائفة الشاذلية في شخص رائديها : أبي العباس المرسي (ت 668هـ) وابن عطاء الله الإسكندري (ت 668هـ) في آخر حياته سيجعله من الأتباع المخلصين للطريقة إلى وفاته بمصر سنة 668هـ.

وفي ذلك قوله :

شيوخي هم شاذلية   في حبهم قلبي يطيب

1- مذهب الششتري الصوفي :

يقوم مذهب أبي الحسن الصوفي عامة على فكرة أساسية تقول : «**ليس إلا الله**» وأن وجود الله الحقيقي هو في نفس الإنسان : «**من عرف نفسه عرف ربه**». وقد استطاعت نظريته هذه أن تستوعب مختلف الرواسب الفكرية التي خلفتها تيارات الفكر والثقافة العربية في عصره، فكان مذهبه (الليسي) نظرية امتازت باحتوائها وتجاوزها لأطروحات سابقيه، عنما أكد أن الوجود واحد سواء كان هذا الوجود هو الله أو هو الإنسان، فليس هناك إلا الوحدة ليس إلاّ.

ويمكن اعتبار مذهبه في الوحدة أقصى ما وصل إليه مذهب وحدة الوجود الصوفي، وذلك لتأكيده على المبادئ التالية :

أ ـ إن الوجود واحد، لا فرق بين الوجود الإلهي والوجود الإضافي بما فيه الإنسان، وأن الإلمام بهذه الحقيقة لا تتطلب البحث في مجال خارج عن الذات، بل إن الذات الإنسانية هي كنه الحقيقة.

ب ـ إن المعرفة الحق هي المعرفة بالوحدة، ليست وحدة ظاهر الشرع بل الوحدة التي لا تقبل السوى.

ج - إن إدراك هذا الوجود الواحد والتحقق بمعرفته هي الناتجة عن الأخلاق الحق القائمة على مجاهدة النفس وتهذيب سلوكها، وتطهيرها وتحضيرها من أجل أن تبلغ الكمال، حتى لا تنطق إلا بالوحدة، ولا تشهد إلا هي، ولا تتحقق إلا بمعرفتها.

2- مؤلفات الششتري :

للششتري عدة مؤلفات ومنها :

أ - ديوان شعري هائل مكون من قصائد وأزجال وموشحات تطرق فيها لكل المواضيع الصوفية : الوجودية والمعرفية، والأخلاقية، وقد قمنا بإعادة تحقيقه ونشره بدار الثقافة، الدار البيضاء، ط 1 ، 2008، بمشاركة صديقنا الأستاذ سعيد أبو الفيوض.

ب - الرسالة العلمية : وهي التي قمنا بتحقيقها والتعليق على مادتها العلمية في كتاب أصدرناهُ في طبعته الأولى عن دار الثقافة، 2004.

ج - المقاليد الوجودية : قمنا كذلك بتحقيقها والتعليق عليها في طبعة أولى سنة 2008.

د - الرسالة البغدادية : وهو النص الذي حققناه وأصدرناه ضمن كتابنا : «نصوص من التراث الصوفي الغرب إسلامي» دار الثقافة 2008.

هـ - الرسالة القدسية : لازالت مخطوطة لها نسختان :

الأولى بدار الكتب المصرية : تصوف 149 رفقة المقاليد الوجودية. **الثانية** بمكتبه «شيحت علي (Shehit Ali) باستنبول تحت رقم 1389/3.

وللششتري مؤلفات أخرى تعتبر في حكم المفقود ومنها :

* «العروة الوثقى»
* «ما يجب على المسلم أن يعلمه»
* «المراتب الإيمانية والإسلامية والاحسانية».

-II-

تاريخ حياة ابن عجيبة شارح النونية

I- تاريخ حياة ابن عجيبة شارح النونية

أ ـ إسمه مولده ونشأته :

1- هو أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن الحسن بن محمد بن عجيبة الحجوجي[1] بن عبد الله بن عجيبة. يمتد نسبهُ إلى مولاي أحمد بن مولاي ادريس الأزهر بن مولاي ادريس الأكبر[2].

2- ينتمي ابن عجيبة إلى أسرة عريقة بشمال المغرب، كانت تستوطن في بداية أمرها مدينة سبتة، لكن بعد أن احتلها المستعمر البرتغالي بداية القرن الخامس عشر الميلادي (15م) حوالي سنة 807هـ، نزحت إلى ريف تطوان بمعية جده «عبد الله» وترسخت جذورها إلى أيامنا هذه.

وقد عرفت هذه الأسرة عند أهل المنطقة منذ حلولها، بصلاحها وتقواها وميلها إلى التزهد في ملذات الحياة، وخشيتها الشديدة لله وسعيها في مرضاته.

ولادته كانت حوالي سنة 1747م الموافق لأواسط سنة 1160هـ في مدشر أو قرية «عجيبش»، بقبيلة الحوز، قرب سوق أنجرة[3].

عاصر ابن عجيبة حكم ثلاث ملوك من الدولة العلوية :

(1) و(2) الحجوجي هذا هو جد والد ابن عجيبة، وهو من أهل «الخطْوَة» : أي أنه كان يقطع مسافات بعيدة بطريقة «السفر بالهمة»، دون أن يغادر موضعه. إذ كان – حسب ما يحكى عنه – يحج بيت الله الحرام ويعود في يومه. فأطلقت عليه كنية الحجوجي (أنظر فهرسه المخطوط بالمكتبة الوطنية تحت رقم 1845د. الرباط، المغرب. ص 34-35.

(3) أنظر مقدمة كتاب «معراج التشوف إلى حقائق التصوف»، تأليف : «ابن عجيبة»، ط 1، 1402هـ – 1982م. ص 5.

السلطان محمد بن عبد الله (ولايته 1171هـ) الذي ساد معه استقرار نسبي عما عرفته ثلاثون سنة خلت، كما أحيى سنة الجهاد وفتح الثغور.

والسلطان المولى يزيد الذي ولي الخلافة سنة 1204هـ بعد وفاة والده الذي امتاز عهده بحصار مدينة سبتة والحرب مع الاسبان.

والسلطان المولى سليمان الذي ولي بعد موت أخيه سنة 1206هـ والذي تميزت خلافته بالتدهور العام، والتراجع الحصاري الخطير، حتى أصبح المغرب مطمعا للاستعمار الأربي : الفرنسي والاسباني.

لقد ولد ابن عجيبة وعاش طوال حياته في مغرب ضعيف سياسيا واجتماعيا واقتصاديا، يتسم بالظلم والتمييز والاضطهاد الاجتماعي والفكري، وتفاعل معها وتأثر بها وحاول التأثير فيها وتصحيح أوضاعها خاصة الفكرية منها. وقد ظهر ذلك جليا على مواقفه ومسيرته العلمية والسياسية وطغى عليها.

كانت تنشأته الاجتماعية تنشأة مفعمة بالقيم الإسلامية والإيمانية، فتشبعت روحه وشخصيته منذ نعومتها بقيم المروءة والمحبة والإحسان، وإخلاص النية والإيمان بالكرامات، مع صدق العبادة وقيام الليل ومباعدة مواطن اللهو، والميل إلى الخلوة والتأمل، مما كان يعرضه إلى عتاب أقاربه[1].

وقد لعبت والدته دوراً أساسيا وحاسما في بناء شخصيته وتكوين بعض مظاهر وجدانه ؛ إذ كانت – كما تحدث عنها في فهرسته – تتميز بالتقوى وخشية الله ومراقبته، قنوعة زاهدة ومتبتلة. كما كانت تحفظ عن ظهر قلب الكثير من الأوراد والأحزاب، كالوظيفة الزروقية في التصوف، وتصلية عبد السلام بن مشيش وغيرهما[2].

---

(1) يقول في ذلك : «ومنذ أخذت عقلي ما تركت الصلاة في وقتها... ولقد كنت وأنا صغير في المكتب نقوم في نصف الليل ونأتي المسجد... فنوذن فيه ونجلس إلى صلاة الصبح. وأنا حينئذ لا أحسن شيئا من القراءة، وكنت والحمد لله، ألهمني الله الخلوة والوحدة، لا ألعب مع الصبيان... حتى كان بعض النساء يعاتبني في ذلك ويقلن لي : .... الوحدة إنما هي لله...» معراج التشوف ص 4.

(2) الفهرس ص 44-45.

فكان لهذا كله الأثر الكبير في تكوينه العلمي والعملي وتشبته بالاتجاه الوجداني الصوفي في التفكير والسلوك، والخوض في علم الباطن واتباع سبله، رغم محاولة والده لإبعاده عن هذا المنهج وحمله على اتباع برامج العلم الظاهر والاقتداء بعلمائه، الذي كان له فيه حظ وافر، دون أن يكون هو الهدف عنده[1].

ب- مراحل تطوره العلمي :

تكون ابن عجيبة العلمي مر عبر مراحل أهمها :

- مرحلة الطفولة ما بين 1160هـ/1747م - 1178هـ/1765م. ابتدأت بحفظ القرآن وتعلم التجويد سواء في مدشره أو بالقرى المجاورة القريبة. ومن أساتذته في ذلك : جده المهدي، وثلة من الفقهاء المرموقين مثل : أحمد الطالب، والصالح عبد الرحمان الكتامي الصنهاجي، والعربي الزوادي، ومحمد أشمل.

ثم توجه إلى دراسة العلم بالإضافة إلى القرآن وعلومه، بمساعدة شيخه «الفقيه محمد السملالي» الذي لازمه مدة عامين درس فيها «مقدمة الأجرمية والألفية وابن عاشر والخراز وجزءاً من حرز الأماني...»[2].

وفي آخر هذه المرحلة، حوالي سنة 1179هـ، وبعد أن توسم فيه والده ملامح الذكاء والشغف بالعلم والعلماء، أخذه إلى مدينة تطوان لملاقاة فطالحها للتضوع من فكرهم. إلا أنه لم يلتقي إلا بعالم واحد، لكنه أشهرهم، ألا وهو «أبو العباس أحمد الورزازي» المتوفى 1179هـ بتطوان، الذي سيكون له تأثير عظيم في حياته العلمية ومواقفه الاجتماعية مستقبلا[3].

---

(1) عن تفاصيل حياة ابن عجيبة العلمية والروحية ؛ أنظر الفهرس، وكذلك الدراسة القيمة التي قام بها الدكتور عبد المجيد الصغير حول ابن عجيبة بكتابه : «اشكالية إصلاح الفكر الصوفي» دار الآفاق الجديدة 1988.

(2) أنظر الفهرس ص 48، ومعراج التشوف ص 5.

(3) الفهرس ص 48، و«تاريخ تطوان»، محمد داود ص 214، مطبعة المهدية 1966.

– مرحلة الشباب واكتمال بناء شخصيته العلمية والروحية، وقد امتدت من 1178هـ/1765م – 1208هـ/1794م. وعرفت بمثابرته في طلب العلم وتحصيل فنونه وعلى رأسها :

- علوم الأذهان : من منطق وكلام (سني أشعري) وعلم الهيئة.
- علم الأديان : من قرآن وعلومه، وفقه وأصول، وحديث شريف وسير، ومغازي وشمائل وتاريخ.
- علوم اللسان : من لغة وتصريف ونحو وبيان، باستثناء الشعر والعروض والحساب، لبرودة قريحته عنها.
- علم الحقيقة : وهو العلم الذي أخذ منه لبه وأصبح محط رجله، فكانت له فيه اليد الطولى والقدم الفالج، وفيه حرز قصب السبق[1].

– مرحلة النضح الفكري والوجداني وتمتد لستة عشرة سنة من 1208هـ/1794م إلى 1224هـ/1809م. وهي المرحلة التي دخل فيها طريق القوم منتقلا من مرتبة العلماء إلى مقام الأولياء بمساعدة شيخين كبيرين في هذا المضمار وهما : **محمد البوزيدي والعربي الدرقاوي**. حتى أصبح حجة للطائفة الصوفية الشاذلية الدرقاوية، والناطق الرسمي بها. محاولا بما أوتي من جهد وقوة صبر، العمل بوعي واصرار على تجديد الخطاب الصوفي وإصلاح فكره[2].

وذلك بالجمع بين الشريعة والحقيقة وجعل القوانين الشرعية تتلائم والاخلاق الصوفية، مع شرح وتوضيح مضامينهما. وجعل مباديء التصوف بسيطة في متناول الجمهور. لأنه وكما كان يعتقد لا يمكن أن ينتشر

(1) وعن مجمل ما حصله من العلوم في مراحل حياته يقول : «والذي حصلناه من هذه العلوم : علوم الأذهان والمنطق والكلام، على مذهب أهل السنة. والمهم من علم الهيئة ومن علم الأديان : علوم القرآن والفقه والأصول.
ثم صحبت الرجال مترقين إلى مقام الشهود والعيان. وأما التصوف، فهو علمي ومحط رجلي، فَلِي فيه اليد الطولى، والقدم الفالج. حرزت فيه قصب السبق على طريق أهل الأذواق فلله الحمد...» (الفهرس ص 149).
(2) أنظر اشكالية إصلاح الفكر الصوفي، ص 140، 141.

التصوف إلا في قالب الشريعة، مسترشدا بما رام تحقيقه شيخه ألأزمني[1] «أبو الحسن الشاذلي»، في تحقيق هذه المعادلة الصعبة.

د- وفاة ابن عجيبة وقبره :

توفي الشيخ ابن عجيبة رحمة الله عليه بقبيلة غمارة في دار شيخه «محمد الوزرازي» في السابع من شوال سنة 1224هـ ودفن بها. غير أنه وبرغبة من أصحابه ومريديه نقل إلى زاوية «بالزميج» في قبيلة أنجرة فأقبر بها[2].

---

(1) عن شيوخه وأساتذته الزمنيين في مجالات العلوم والمعارف التي تلقاها : يذكر ابن عجيبة عددا هاما من الفقهاء والعلماء ورجال التصوف الذين أخذ عنهم في فهرسه، ومنهم حسب قوله : «فأخذت العلم عن الفقيهين العالمين المدرسين : سيدي أحمد الرشتي، وسيدي عبد الكريم بن قريش»... فقرأت على الفقيه الرشتي : الألفية ومختصر خليل، والسلم. ومختصر السنوسي في المنطق، والصغرى، والكبرى، والمقنع والخزراجية.
وقرأت على الشيخ سيدي «عبد الكريم بن قريش» : التفسير، والبخاري مراراً ومسلماً ومختصر خليل، والرسالة، وتحفة الحكام لابن عاصم...
وأخذت عن غيرهما... كالفقيه «سيدي محمد الورزازي»... شيئا من الألفية، ومختصر خليل.
وأخذت عن النحوي الشهير «سيدي محمد العباس» : ألفية ابن مالك وقواعد ابن هشام.
وأخذت أيضا عن القاضي الشهير «سيدي عبد السلام بن قريش» تفسير القرآن العظيم وشمائل الترمذي... وجلست في حلقة سيدي «محمد غيلان»...، وحلقة سيدي «علي شاطر»...
ولما قدم شيخنا الفقيه العلامة سيدي «محمد الجنوي الحسني» مدينة تطوان أخذت عنه : مختصر خليل، والتلخيص، ومختصر السبكي... والبخاري... وجزءاً من مسلم، والرسالة، وحكم ابن عطاء الله في التصوف... وأصول الطريقة للشيخ زروق... وجزئين من تفسير القرآن العظيم.
وسمعت البخاري من شيخنا، شيخ الجماعة العالم العلامة «محمد التاودي ابن سودة» (بمدينة فاس)... وأجازني إجازة تامة.
وأخذت علم الفرائض عن ... العلامة ... سيدي «محمد بنّيس»... وأجازني أيضاً في سائر العلوم.
وجلست في حلقة ... «سيدي أحمد الزعري»... و«سيدي الطيب بن كيران».
(وبعد ذلك) أخذ الله بيدي بمعرفة شيخنا العارف... (بتطوان) «سيدي محمد البوزيدي الحسني»، وشيخه (مولاي العربي الدرقاوي) قطب التربية النبوية، وأصل مادة الطائفة الدرقاوية». (معراج التشوف ص 7 – 8 – 9).

(2) أنظر عن خبر وفاته وقبره : تاريخ تطوان ج 6 ص 254-255.

وضريحه موجود إلى الآن في تلك القرية النائية على هضبة الزميج وهو مرتفع لا يبعد عن مضيق جبل طارق إلا بحوالي خمسة عشرة كيلومترات.

آثار ابن عجيبة :

خلف هذا الشيخ الجليل آثاراً فكرية عظيمة حاول من خلالها ترسيخ الفكر الصوفي الدرقاوي وتطويره والدفاع عنه، بكل ما أوتي من علم ومعرفة، وبعظيم الحزم والمسؤولية. فبلغت مؤلفاته ما يفوق الأربعين، ناهيك عن الرسائل والقصائد الشعرية والتوشيحية. منها ما ألفه في مرحلة ما قبل تصوفه أي قبل سنة 1208هـ. ومنها ما ألفه بعد أن دخل غمار التصوف وأصبح داعية للطريقة الدرقاوية.

ومن أهم هذه المؤلفات :

مؤلفات ما قبل تصوفه وهي كتب لا تخلو من أثر صوفي وإن غلب عليها علم الظاهر.

- اللواحق القدسية في شرح الوظيفة الزروقية[1]
- الأنوار السنية في شرح القصيدة الهمزية[2]
- شرح الحزب الكبير للشاذلي[3]
- شرح أسماء الله الحسنى[4]
- الأربعون حديثا في الأصول والفروع والتصوف[5]
- أزهار البستان في طبقات العلماء والصلحاء والأعيان[6]

---

(1) مكتبة تطوان رقم 301م.
(2) المكتبة الوطنية الرباط رقم 1296ك.
(3) مكتبة تطوان ضمن مجموع رقم 301.
(4) خزانة جامع القرويين رقم 1511.
(5) أورده في فهرسه ص 59-60. ورد في معراج التشوف ص 9.
(6) المكتبة الوطنية الرباط رقم ك 286.

مؤلفات تطبعها تجربة ابن عجيبة الصوفية، وهي مفعمة بعلم الأذواق والحقائق ومنها.

- إيقاظ الهمم في شرح الحكم[1]
- شرح خمرية لابن الفارض[2]
- شرح قصيدة في المحبة للششتري[3]
- شرح منظومة الشيخ محمد البوزيدي في السلوك[4]
- البحر المدير في شرح القرآن المجيد[5]
- شرح نونية الششتري. وهو المؤلف موضوع الدراسة والتحقيق.
- معراج التشوف إلى حقائق التصوف[6]
- الفهرس[7]
- ديوان قصائد وموشحات[8].

---

(1) طبع وبهامشه كتاب الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية، في جزئين بدار المعرفة لبنان بدون تاريخ.

(2) المكتبة الوطنية الرباط رقم 1148ك.

(3) المكتبة الوطنية الرباط رقم 1388د.

(4) ذكره «داود» في تاريخ تطوان، المجلد 6 ص 233.

(5) وهو مجلد ضخم يتكون من 1400 صفحة من القطع الكبير، يوجد بالمكتبة الوطنية الرباط تحت رقم 2101ك. وقد طبع من هذا التفسير مجلدان بالقاهرة سنة 1955م – 1956م يضمان تفسير السور الستة الأولى من القرآن الكريم.

(6) يهتم بالمصطلحات الصوفية رقمه في المكتبة الوطنية الرباط 1974د، وقد طبع من طرف حفيده أحمد محمد بن عجيبة ط 1، 1982 تطوان.

(7) مكتبة تطوان رقم 845.

(8) ورد في مجموع مكتبة تطوان للمخطوطات رقم 845ب.

الفصل الثاني

النص موضوع التحقيق

محتواه - منهجية تأليفه - قيمته التاريخية والعلمية

الفصل الثاني : النص موضوع التحقيق

محتواه ومنهجية تأليفه، قيمته التاريخية والعلمية

أولا : النص موضوع التحقيق

1- محتوى النص ومنهجية تأليفه :

هذا الشرح لابن عجيبة الحسني، ذكره المؤلف في فهرسه حيث قال : «... ثم شرحت نونية الششتوري في أربعة كراريس صغاراً»[1].

وذكره كذلك الأستاذ داود في تاريخ تطوان عند تناوله لحياة ابن عجيبة وآثاره[2].

ومن الغربيين الذين أوردوا ذكر هذا الشرح واعتمدوه في فهم تصوف ابن عجيبة : ج لـ ميشون، سواء في ترجمته إلى الفرنسية «للفهرس»[3] أو في دراسته لفكر ابن عجيبة من خلال بعض نصوصه، عند عرضه لمؤلفات ونظريات الشيخ[4].

يتكون هذا الشرح من حوالي 62 صفحة حسب مخطوطة الرباط، و40 صفحة في مخطوطة عبد الله كَنون. و60 صفحة في مخطوطة الخالدي.

---

(1) أنظر مقدمة معراج التشوف، نفس المعطيات، ص 10.

(2) تاريخ تطوان، المجلد 6، ص 227.

(3) Michon J. L. : L'autobiographie (FAHRASA) du Sofi marocain Ahmad Ibn 'Agiba, Leiden 1969.

(4) Michon J. L. : Le Soufi marocain Ahmad Ibn 'Agiba et son Mirage, Paris, Librairie Philosophique, Jean Vrin 1979.

القصيدة «النونية» المسماة «بالشرق والغرب» في مضمونها الأصلي عند ناظمها أبي الحسن الششتري تدور حول المذهب الصوفي الذي انتهجه، والذي هو تركيب وتهذيب لأهم النظريات الصوفية والفلسفية التي عرفتها الثقافة والفكر الإنسانيين. وتقدم إشارات قصيرة، لكنها دقيقة، لأهم الآراء والأفكار التي أخذ بها. ويذكر فيها عدداً من الأساتذة والأشياخ الذين اقتدى بهم، والذين كانوا أئمة للمذاهب الصوفية المشهورين في عصره. كـ «عبد الحق بن سعين»، «محي الدين بن عربي» رائدا نظرية وحدة الوجود[1]. كما يذكر عددا آخر من شيوخ التصوف والفلسفة من عصور سابقة على عصره، ويعتبر أنهم أثروا في التصوف بالغرب الإسلامي عامة والتصوف الفلسفي الأندلسي خاصة، مثل : «الشابلي» (ت 334هـ) و«النفري» (345هـ) وقضيب البان (ت 573هـ) و«أبي مدين الغوث» (ت 601هـ)، و«السهروردي المقتول» (ت 558هـ) و«الغزالي» (ت 505هـ) و«ابن طفيل» (ت 581هـ) و«ابن رشيد» (ت 595هـ). وقبلهم جميعاً، يذكر : «هِرْمِس» و«سقراط» و«أفاطون» و«أرسطو».

محاولاً من كل ذلك الكشف عن جذور المدرسة الصوفية في الغرب الإسلامي، والتي يظهر فيها دور «ابن مسرة الجبلي»[2] كرائد و«ابن سبعين» كأهم مطور ومأثر.

أما مضمون القصيدة في شرح «ابن عجيبة» فقد اتخذ منحىً خاصاً ؛ فبصفته أحد رجال الطريقة المتميزين، وشيوخها المعتبرين، حاول بتّ الآراء الصوفية، وتلقين السلوكات الأخلاقية السامية، هدفه الموجه هو تصحيح مصار التصوف في عصره، وإصلاح أوضاعه – التي بلغت درجة كبيرة من مظاهر الانحلال – والدفاع عن الطريقة الدرقاوية، والشرح والتنظير

---

(1) أنظر حول فلسفتيهما كتابينا :
أ– التصوف في فلسفة ابن سبعين، دار الثقافة 2006.
ب– ابن عربي ومذهبه الصوفي الفلسفي، دار الثقافة 2004.

(2) أنظر حول ذلك كتابنا : المرحلة الابتدائية في تكون التصوف بالغرب الإسلامي : ابن مسرة ومدرسته. دار الثقافة 2000.

للتجديد الدرقاوي للفكر الشاذلي[1]. موظفا من أجل ذلك ثقافته الفقهية والعلمية الأخرى المختلفة، المساعدة على التفقه في الأمور الدينية والدنيوية وتهذيب السلوك الظاهر، وموظفاً كذلك معرفته وفهمه العميق للتصرف. محتسباً أن العلم الحقيقي هو الذي يجمع بين الظاهر والباطن في مقاربة الحق ومعرفته. فـ **«من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق، ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق. ومن جمع بينهما فقد تحقق»**[2].

في بداية شرحه للنونية يوجه انتقاداً للشيخ «أحمد زروق» الذي شرح نفس القصيدة مقتصراً – في نظره – على حل مَعْمَى ألفاظها، وتبيان معانيها سطحيا، دون قدرته على الغوص في غوامضها والكشف عن أسرارها الربانية. فكثر اعتراضه وتشديده على أهل الله. ويعلل ذلك، بأن «زرُوق» كان إماماً في علوم الطريقة و لم يكن إماماً في علوم الحقيقة.

ثم يعرف بالناظم ويترجم له ويبسط لبعض أحواله ومواقفه الحياتية وانتماءاته المذهبية. فتعرض لأشياخه وعلى رأسهم «ابن سبعين». وحاول تبرأة ذمتهم وإرجاع ما اتهموا به من زيغ ومروق عن الدين : إلى نقص فهم، وقصور في تأويل المتأولين من أهل الظاهر لكلام أهل الباطن الذين «رموا بالحلول والاتحاد مع تنزههم عنه، (ومنهم) «ابن العربي» و«الششتري» و«ابن الفارض»».

ويورد بعد ذلك قول الشيخ «زروق» عن مضمون القصيدة الذي يدور على مقاصد طريق العارفين وتعريف أحوال الرجال، والتي جزأها إلى ثلاث :

الأول : من بداية القصيدة إلى الشطر الأول من البيت (19) : «أمامك هول فاستمع لوصيتي.» وهو في تعيين المطلوب وما يطلب، ووجه المعاملة فيه نفيا وإثباتا.

---

(1) حول دور ابن عجيبة في شرح تجديد الدرقاوية للشاذلية، أنظر «إشكالية إصلاح الفكر الصوفي» ذ. عبد المجيد الصغير، ط 1، 1988 الباب الثاني من ص 53 إلى ص 249.

(2) «ابن عجيبة» : «إيقاض الهمم في شرح الحكم» وبهامشه «الفتوحات الإلهية»، دار المعرفة بيروت (د. ت) ص 5. والقول منسوب إلى الإمام مالك رضي الله عنه.

الثاني : من الشطر الثاني من البيت (19) إلى «فكم وافق أردى وكم سائر هدًى» البيت (39). وفيه قام بذكر العقل وبسط حقيقته القائمة على تناقضاته وتصوره بالمحاسن والقبائح[1].

الثالث : يطرح فيه قيمة العقل والأمور التي أكسبها لذويه من حقائق وأوهام وكمال ونقصان. ويعرض فيه لأهم رجالات وشيوخ التصوف والفلسفة والتصوف الفلسفي، الذين هاموا بالعقل وما أورثهم من حقائق وأوهام.

ثم انطلق بعد ذلك يشرح أبيات القصيدة بيتا بيتا موظفاً لحشد هائل من المدعمات النظرية واللغوية والسلوكية الأخلاقية : من آيات قرآنية كريمة وأحاديث نبوية شريفة وأقوال لفطاحلة المتصوفة والشعراء والأدباء والصالحين والأولياء، ونظريات في الوجود والمعرفة والأخلاق، وأمثلة من تجارب ذوقية روحية.

كما أنه استعمل الكثير من المصطلحات الصوفية والأخرى الفلسفية وكذا الصوفية الفلسفية، كالحظوظ واللحوظ، والحلول والاتحاد. ووحدة الشهود ووحدة الوجود، والكرامات والفناء والبقاء، وذبح النفس، والأحوال والمقامات، والاعتبار، والتجلي، والملك والملكوت. إلى غيرها من أمهات المفاهيم والمصطلحات التي عرفها متصوفة الإسلام عامة، ومتصوفة الغرب الإسلامي خاصة. واستعملها استعمالاً ملائماً ودقيقاً، لوعيه التام بصعوبة الخوض في موضوع التصوف خاصة النظري منه، الذي ينحو نحو التعقيد والترميز والإخفاء.

---

(1) عن هذا الموضوع انظر كتابنا : «أبو الحسن الششتري وفلسفته الصوفية»، دار الثقافة 2005. الباب الثاني «فصل نظرية المعرفة الصوفية».
فهو يرى أن العقل عندما يرتفع بإدراكه من عالم الأشباح إلى عالم الأرواح، فإنه في الواقع لا يعرج، وإنما يرتقي في نفسه، والوهم هو الذي يحيل إلى الغيرية، كما أن الأوهام تلك هي التي تخيل له الإثنينية في الكون ؛ والحقيقة أن لا موجود إلا الله. فالعقل رغم ما له من قيمة عند الإنسان في إدراك بعض الحقائق والتميز والإدراك إلا أنه في محاولته تطبيق منهجه هذا في معرفة حقيقة الوجود، يفشل.

فجاء أسلوبه مطبوعاً من جهة بطابع الرمزية والصرامة التعبيرية. وجاء من جهة أخرى معبراً عن آرائه وتجربته الصوفية بوضوح وتناسق وإحاطة، رغم بعض الأخطاء والخلط الذي سقط تحت وطأتها[1]، والتي في نظرنا لم تنقص شيئا من قيمة عمله[2].

2- قيمة النص التاريخية والعلمية :

شرح نونية «الششتري» لابن عجيبة الحسني، كتاب تم تأليفه في مرحلة متأخرة نسبيا من عمره العلمي والفكري ؛ أي بعد سنة 1208هـ، بعد أن تصوف ودخل الطريقة الدرقاوية وأصبح شيخاً من شيوخها الهامين. وذلك لـمّا أدرك : ... أن علم الباطن مداره على تصفية البواطن من الرذائل، وتحليتها بأنواع الفضائل. حتى تلوح لها الأسرار وتنكشف الحقائق الربانية، وتحدث معرفة العيان وتنال مقام الإحسان...[3]. وهذا ما جعله يكتسي قيمة وأهمية خاصتين في تاريخ الثقافة والفكر المغربي عامة، وبالشمال خاصة. ويمكن أن نركز ذلك في قيمتين أساسيتين :

– قيمة تاريخية، تتجلى في الكشف عن مرحلة أساسية من مراحل نضاله المعرفي والفكري، والتي تبين أهم العلوم السائدة في عصره ومدى تداولها ؛ من منطق وفلسفة وكلام وقصص، وتصوف معتدل وتصوف مُغال، وعلم الفقه وأصول الفقه والفروع... ما كان منها مباحاً الخوض فيه، وما كان محضوراً محرماً[4].

---

(1) أنظر مثلا خَلْطَهُ بين «السهرودي المقتول » الفيلسوف الاشراقي، وبين «السهرودي» أبو النجيب صاحب عوارف المعارف. وكذلك بين سقراط وبوقراط.

(2) ولعل بعضاً من الهفوات التي سقط فيها راجع إلى النص موضوع الشرح، وقد اشتكى المؤلف من ذلك في آخر مؤلفه حين قال : «هذا آخر ما قصدناه من شرح النونية... على تصحيف في متنها، فمن وقف على خلل فليصلحه منها...».

(3) معراج التشوف ص 11.

(4) حيث نجد في عهده نشر ظهير للسلطان «محمد بن عبد الله» يحذر المتعاطين لبعض العلوم خاصة منها تصوف الغلاة وعلم الكلام والمنطق والفلسفة وعلم الفروع، ويحض الناس على مذهب السلف والاكتفاء بالأخذ عن ظاهر الكتاب والسنة. (أنظر عن هذا الظهير كتاب «الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى» للتادلي ج 8 ص 68 دار الكتاب الدار البيضاء، 1956م.

كما تبين انخراطه الكلي في سلك التصوف وانقطاعه عن الخوض في أسلاك علمية أخرى.

– قيمة معرفية : إن ما ضمنه «ابن عجيبة» شرحه من نصوص وآراء وأفكار وأسماء لرجالات الفكر، الذين عرفهم مباشرة وأخذ عنهم، أو تأثر بهم بطريق غير مباشر، ليجعل من عمله هذا وثيقة علمية هامة حفظت لنا بعض النصوص الصوفية النادرة، وأقوال حِكمية بليغة، وأنظار فكرية متميزة.

الفصل الثالث

النسخة الخطية ومنهج التحقيق

الفصل الثالث :
النسخة الخطبة ومنهج التحقيق

أولا : وصف النسخ الخطية

شرح «نونية الششتري» «لابن عجيبة الحسني» كتاب له نسخ مخطوطة عديدة، منها ما هو ملك خاص، مثل مخطوطة السيد عبد السلام الخالدي عضو المجلس العلمي بالعرائش. ومنها ما هو ملك لإحدى الخزانات الوطنية والعمومية، مثل مخطوط المكتبة الوطنية بالرباط، ومكتبة بلدية تطوان ومكتبة عبد الله كَنون بطنجة.

وقد اعتمدنا من أجل انجاز هذا التحقيق ثلاثة نسخ مخطوطة :

الأولى وهي مخطوطة مكتبة عبد الله كَنون، موجودة في مجموع من الورق عدده أربعون صفحة من الصفحة 241 إلى الصفحة 280.

كتب بخط مغربي واضح، لا بأس به من حيث جماليته، ورقه من القطع المتوسط. تتكون كل صفحة من حوالي 26 سطراً، وكل سطر يتكون في المتوسط من 17 كلمة. كتبت على هوامشها بعض الكلمات كتوضيح أو إضافة أو تكملة.

تبتدئ الصفحة الأولى بقوله :

«بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفوًا أحد. قد تنزهت أحديته عن مزاحمة الشركاء، والنظراء والأنداد...».

وتنتهي الصفحة الأخيرة بقوله :

«... وأن يبلغ كل من كتبه وطالعه كل فضل ومأمول، بجاه سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم، وعلى إخوانه المرسلين آمين والحمد لله رب العالمين».

تاريخ الانتهاء من كتابة هذا الشرح كما يصرح واضعه، هو يوم الخميس فاتح رجب سنة 1220هـ. أي أربع سنوات قبل وفاته.

وقد اعتمدنا هذه النسخة وجعلناها الأصل واتخذناها أساسا للتحقيق في الدرجة الأولى، لأنها شبه تامة بالمقارنة مع النسخ الأخرى. رغم الهفوات التي سقط فيها الناسخ والتي سيتم الإشارة إليها في مكانها، ورمزنا لها بحرف «ك».

الثانية نسخة قسم الوثائق والمخطوطات بالمكتبة الوطنية الرباط، في مجموع من الورق، من الورقة 55 إلى الورقة 86، عدد صفحاتها 62 صفحة. مكتوبة بخط مغربي جميل ليس على هوامشه تعليقات ولا شروحات ولا تصحيحات. تحمل نفس تاريخ المخطوطة الأولى، حجمها من القطع المتوسط، مسطرتها 21، كل سطر يتكون في المتوسط من 15 الكلمة، رقمها 1736د/7.

في صفحته الأولى كتب في الأعلى : «اللهم صلي على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفوًا أحد...».

وفي آخر صفحته : «... وأن يبلغ كل من كتبه أو طالعه كل قصد مأمول بجاه سيد الأولين والآخرين والحمد لله رب العالمين.

انتهى بحمد الله وتوفيقه».

ورمزنا لها بحرف «ر».

الثالثة مخطوطة الأستاذ الخالدي، نقلها عن أصل غير معروف في مجموع من الصفحة 129 إلى الصفحة 189، عددها 60 صفحة من القطع الكبير بخط مغربي جبلي لا بأس به. تكثر فيها الأخطاء وسقطت منها كلمات وجمل كثيرة. أخذنا بها لاختلافها جزئيا عن «ك» و«ر».

في أول هذه النسخة كتب : «بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما.

الشرح السابع : شرح نونية الإمام الششتري للعارف الكبير سيدي أحمد بن محمد بنعجيبة الحسنى رضي الله عنه...».

وفي آخرها : « وقد نقله العبد الفقير العمراني الخالدي عبد السلام هنا، وكان الفراغ منه صبيحة يوم الأربعاء 25 ذو القعدة عام 1399هـ/موافق 17 أكتوبر سنة 1977م».

وقد أعطيناها حرف «خ» كرمز لها.

ثانيا : منهج التحقيق

كان أول طريقنا في مقاربة هذا النص من أجل دراسته وتحقيقه، هي قراءتنا المتأنية المتفحصة للنسخ المخطوطة التي توفرت لدينا. وبعد أن اتضح لنا الفرق بينها، اتخذنا أكثرها وضوحا من حيث كتابتها، أصلا لعملنا، مراعين أن تكون أقل النسخ أخطاءً ونقصاً وتحريفاً. وجعلنا من الأخريين سنداً وعونا لنا لسَدِّ ما في الأولى من نقص وتصحيح أخطائها المختلفة.

بعد ذلك قمنا بتخريج الآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة. ووقفنا على الأسماء الأعلام الواردة في المتن وعرفنا بأغلبهم. كما قمنا بشرح المصطلحات الصوفية والفلسفية والصوفية الفلسفية، اعتماداً على المعاجم والقواميس المختصة.

وقد ذيلنا تحقيقنا هذا بالفهارس التالية :

- فهرس الآيات القرآنية
- فهرس الأحاديث النبوية
- فهرس المصطلحات
- فهرس الأعلام
- فهرس المذاهب
- فهرس الكتب
- فهرس المصادر والمراجع
- فهرس الموضوعات

وفي الختام نتقدم بتشكراتنا الحارة إلى كل الذين ساعدونا من قريب أو بعيد على إخراج هذا الشرح. سائلين العزيز القدير أن يتقبل عملنا هذا، ويعيننا على إنجاز ما تبقى في مقرراتنا من أعمال.

والله ولي التوفيق.

الدار البيضاء في 1 يناير 2012

أ. د. محمد العدلوني الادريسي
أستاذ الفلسفة
أستاذ تصوف الغرب الإسلامي

القسم الثاني

أولا : النص المحقق

شرح نونية الششتري
لابن عجيبة الحسني

ثانيا : صور المخطوطات المعتمدة

ثالثا : ملحق

القصيدة النونية كما حققناها
في ديوان الششتري

أولا : النص المحقق

شرح نونية الششتري
لابن عجيبة الحسني

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمّد وآله وصحبه وسلم تسليما

الْحَمْدُ لله الواحِدِ الأحد، الْفَرْدِ الصَّمَد، الَّذي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَد. قَدْ تَنَزَّهَتْ أحديته[1] عن مُزاحمة الشركاءِ والنُّظَراءِ والأنداد، وتقدَّسَتْ عَظَمَةُ ذاتِهِ عن وَصْفِ الحُلولِ[2] والإتّحاد[3]. والصّلاةُ والسلامُ على قطب دائرة الأكوانِ وسيّد الأسْيادِ، الَّذِي من نور فيْضه الأوَّل، ظَهَرَتْ نعمة الإيجاد والإمْدادِ، سيّدنا ومولانا محمد المبعوث بالعِزّ الدَّائِمِ والشرف الفاخِرِ رحمة لِلعِباد. صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه الذين أوضح الله بهم طريق الرشاد، ومحى بهم ظلمة الكفر والعناد[4].

وبَعْدُ : فهذا شرح عجيبٌ لنونية الإمام المحقق بَحْرِ المعرفة في[5] زمانِهِ، وفريد عَصْرِهِ وأوانِهِ، إمام أهْل الأذواق والوُجْدان، وقطْب أهل التوحيد

(1) الأحدية : وهي مرتبة الذات المطلقة أو العماء، ولا نعرف عن الذات الإلهية من حيث هي شيئا، ولا نستطيع أن نصفها بشيء سوى الوجود : «لأنها من هذه الحيثية مجردة من كل اسم ووصف وإضافة [فصوص الحكم، ج 1 ص 90، تقديم وتعليق أبو العلا عفيفي، ط 2، 1982].

(2) الحلول : الحلول لغة : هو أن يكون الشيء حاصلا في الشيء ومختصاً به، بحيث تكون الإشارة إلى أحدهما إشارة إلى الآخر تحقيقاً وتقديرا. والمعنى الصوفي، هو : أن «الحق» اصطفى أجساما حل فيها بمعاني الربوبية وأزال عنها معاني البشرية. ونظرية الحلول قريبة من الفكرة المسيحية القائمة على اتحاد اللاهوت والناسوت في شخص المسيح.

(3) الاتحاد : هو تَصْييرُ ذاتين واحدة، وهو حال الصوفي الواصل، وقيل هو شهود وجود واحد مطلق من حيث أن جميع الأشياء موجودة بوجود ذلك الواحد، معدومة في نفسها. [الكاشاني أو القاشاني الاصطلاحات ق 1 ص 49، تحقيق وتقديم عبد العال شاهين ط 1 1992 القاهرة].

(4) في «ر» و «خ» : الجملة من : «صلى الله إلى : الكفر والعناد» ناقصة.

(5) في «ر» و«خ» : ناقصة

والعِرفانِ «أبي الحَسَن علي بن عبْد الله الشُّشتَرِي»[1]. وقد سَبَقَ إلى شَرْحِها الشيخ[2] العلاَّمة «الصّوفي سيّدي أحمد زَرُّوق» رضي الله عنه. اقتصر فيه على حَلّ ألفاظها، وبيان ما تعلق ببعض[3] معانيها. غَيْرَ أنه لم يَخُضْ في تَيَّارِ بَحْرِ أَسْرارِ التوحيد منها على غَوامِضِ أنوارِها. ولا فَضَّ خاتَم أَسْرارِها، ولا دخَلَ بعرائِسِ أَبْكارِها. ولَعلَّه شَرَحَها قَبْلَ أنْ يُفْتح عليه في أَسْرار الحقيقة. فقد كانَ شيخ شيوخنا سيّدي «علي العمراني»[4]، رضي الله عنه يقول : ما فتح على «الشيخ زرّوق»[5] إلا في آخرِ عُمُرِهِ، أي بحيْث لم يؤلف شيئاً بَعْدَ الفتْح، والله أعْلَم. وَكُتُبُه شاهدة بِذَلِك، إذ الكلامُ وصْف المتَكَلّم، وَمَنْ تَكَلَّم عُرِفَ مِن ساعَتِه، فَهُوَ في عُلومِ الطريقة إمامٌ. وأما في علوم الحقيقة وأسْرار الأذواق فَلَمْ يَنَلْ فيها شيئاً إلا في آخرِ عمرِه، كاد أن يخرج منها صِفْر اليَدَيْنِ، ولذلك كثر اعْتِراضه على أهل النِسْبَةِ[6]، وظَهَرَ في كَلامِهِ التّشديد والتضييق عَليهم.

وقد رأيته في نوم كاليقظة، فقلت له : قَدْ شددت على أهل النِسْبَةِ[7] في «عِدَّة مُريد» حقيقته[8]، فقال : وَما قلْت فيهم ؟ فقلتُ له : قلت كذا وكذا، وَذَكَرْتُ له بعض ما انتقد عليهْم وما شدَّد فيه. فقال : ذَلِكَ الَّذي يُناسِبُ مَذْهَبَ مالِك، فقلْتُ لَه : الصُّوفي الحقيقي لا يُقَلِّد مالِكاً ولا غَيْرَهُ بل يأخذ الشريعة مِن أصلها، والحقيقة من مَعْدنِها. فقال : مَنْ بَلَغَ هَذا أو صَحَبَ مَن بَلغَه لا يتكلَّم مَعَهُ. فقلتُ له[9] : واللَّهِ لَقَدْ بَلَغْناهُ وَصَحِبْنا مَن بَلَغَهُ فغاب عَنِّي.

---

(1) أبو الحسن الششتري : هو علي بن عبد اللّه النميري الششتري (610هـ/668م) عن فلسفته الصوفية، أنظر كتابنا «أبو الحسن الششتري وفلسفته الصوفية ط 1 دا الثقافة الدار البيضاء 2005.

(2) ناقصة : في خ.

(3) في «ر» و«خ» : ما انغلق من بعض.

(4) علي العمراني : هو علي بن عبد الرحمن بن محمد بن علي بن إبراهيم بن عمران الشريف الحسني الإدريسي العمراني، الملقب بالجمال توفي بفاس 1193هـ. انظر ترجمته بسلوة الأنفاس، فهرسة الكوهن.

(5) الشيخ زروق : وهو أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد، صاحب كتاب القواعد في التصوف.

(6) و(7) في «ر» و«خ» : أهل الله، والمقصود بأهل النسبة. أي المنتسبون إلى التصوف.

(8) في ك : عدة مريدين.

(9) في «ر» و«خ» : «له» ناقصة.

وَكانَ بَعْضُ مشايخنا من الفقهاء[1] يقول : الشيخ زروق مُحْتسِب الصوفية. قُلْتُ : إنما يكون مُحْتَسِب صوفية الظَّاهِرِ، أَهْلِ العِبادةِ الظَّاهِرة والتنسك[2] الظّاهِرِ. وأمَّا أهْل التربية والسر الباطن فَلا حسبة له[3] عليهِمْ. إذْ لَمْ يُحِطْ عِلْماً بِما عِنْدَهُمْ. ولقد سَمِعْت شيخ مشايخ التّرْبية في زمانِنا : «مولاي العَرْبي الدّرقاوي الْحَسَنِي»[4] رضي الله عنه يقول : «الشَّيْخ زرُّوق عند أهْل الظَّاهِرِ شيء كَبيرٌ. وعِنْدَ أَهْلِ الباطِنِ شيءٌ صَغير. [وأَهْلُ مَكَّةَ أعْرَف بِشِعابِها[5]][6].

لاَ يَعْرِفُ الشَّوْقَ إلاَّ مَنْ يُكابِدُهُ   وَلا الصَّبابَةَ إلاَّ مَنْ يُعانيها

وَمَراتِبُ الأوْلِياء كَطَبَقاتِ الجِنانِ الأعْلَى[7]، يَعْرِف الأسْفَل دون العَكْس. واللَّهُ تعالى أَعْلَمُ. قال في أَوَّل شَرْحِهِ لهذه القصيدة في التعريف بالشيخ : وأمَّا الشيخ فهو الأستاذ الفقيه المُقرئ : المحدِّث الصوفي العالم العامل الكامل المحقق المدقق، «أبو الحسن علي بن عبد الله النّميري»[8]، ثم الشُّشْتري بمعجمتين أولاهما مضمومة وبَعْدها تاء فوقية. وذلك نسبة إلى شُشتر[9] قرية[10] بالأندلس على مَقْرَبة من[11] لوشة. وبالعراق أيضا قرية تسمَّى بِذَلِكَ.

---

(1) في «ر» و«خ» : مشايخنا من، ناقصة.

(2) في «ر» و«خ» : النسك.

(3) في «ر» : احتساب.

(4) مولاي العربي الدرقاوي الحسني : طريقة الصوفية مبنية على اتباع السنة في الأقوال والأفعال والعبادات ومجانية البدع (1150هـ/1239م). أنظر ترجمته بسلوة الأنفاس ج 1 ص 191 - 192 الترجمة : 112.

(5) في «ر» : ناقصة.

(6) في «خ» و«ك» ناقصة.

(7) في خ : العلي.

(8) في ر : «الضميري» وهو تحريف من الناسخ.

(9) في ر : شُشْتُور.

(10) في ر : في قرية.

(11) في «ك» : حول.

قال «ابن ليون[1]» : «كان من أبْناءِ الملوك والأمراء، فصار من سادة الفقهاءِ»[2] وكان يُقرأ عليه القرْآن بالرّواية[3]. وكان عارفاً بالأصولِ السّتَّة. وأنواع الرّواية[4] وقال «الطواح»[5] : كان من التُّجار السّفّار[6]، ثم صار من الشيوخ الأبرار. قرأ الرّأي، أي الفقه. ثم تصوّف والتزم طريقته[7] فما تشوف[8]، وكان ذا عَزِيمَة وهمّة، مع مشاركته في علوم جمَّة. نزل طرابلس فأخذ عنه أهْلها علوما ثم عَرَضوا عليه قضاءَها فَلَمْ يوافق عليه وَلا حامَ حَوْلَه فاستحمقوهُ فقال في ذلك[9] :

رَضِيَ الْمُتَيَّمُ في الْهَوَى بِجُنونِهِ	خَلُّوهُ يُفْنِي عُمْرَهُ في فُنونِهِ
لا تَعْذِلوهُ فَلَيْسَ يَنْفَعُ عَذلُكُمْ	لَيْسَ السُّلُوُّ عَنِ الْهَوَى مِنْ دِينِه
قَسَماً بِمَنْ ذُكِرَ الْعَقيقُ مِنْ أجْلِهِ	قسـمَ الْمُحِـبُّ بِـحُبِّـهِ وَيَـمِينِـهِ
مـالي سِـواكُـمْ غَيْر أَنِّي تـائِبٌ	عـن فترات[10] الحب أو تَلْوِينه
مـالي إذا هَتَـفَ الْـحَـمـامُ بأَيْكةٍ	أبـداً أحِـنُّ لِشَجْوِهِ وشُـجونِـهِ
وإذا الْـبُـكـاء بِغَـيْـرِ دَمْـعٍ دَأْبُـهُ	فـالصّبُّ يَجْرِي دَمْعُهُ بِعُيونِهِ

وإنَّما أنْشَدَ القصيدة إعتذاراً[11] عَنْ إعْراضِهِ عَنِ القَضاءِ، وكَأنَّه يقول : لَمْ أَتركْهُ زُهْداً فيه وَلاَ رَغْبَة عَن الشريعة إلاَّ أنَّهُ يوجب التشتيت والتلوين.

---

(1) هو ابن ليون التُّجيبي (أبو عثان).
(2) أنظر الرسالة العلمية (أو الرسالة الششترية) تقديم دراسة تحقيق وتعليق، د. محمد العدلوني الإدريسي، ط 1، 2004.
(3) في ر : الروايات.
(4) في ر : الرواة.
(5) في ر : الطواع، وفي خ : الطوام.
(6) في ر : الصفار.
(7) في ر : طريقه.
(8) في «ك» : ناقصة.
(9) أنظر عنوان الدراية : الغبريني ص 240، تحقيق عادل نويهض، بيروت 1979م.
وعن القصيدة، انظر «ديوان أبي الحسن الششتري أمير شعراء الصوفية بالمغرب والأندلس» تحقيق : د. محمد العدلوني الإدريسي وذ. سعيد أبو الفيوض. دار الثقافة 2008. ص 77.
(10) في خ : مِنْ فَتْرَةٍ في.
(11) في خ : إعتزاراً وهو تحريف من طرف الناسخ.

هذا ظاهرُ كلامِهِ. قال الطواح[1] : كان يجيز في **المستصفى**[2] **والمجمل**[3] ولهُ طريقةً حسنةً في **المقامات**، ولكَلامِهِ عُذوبة، و لم تزل معه مصحوبة.

ثم قال : وكان يُرْمي بمذهب شيخه [الإمام الولي الكامل المحقق **سيدي عبد الحق] بن سبعين**[4]. ثم حُمل على الرجوع عنه في حكاية وقعت له ببجاية. والذي كان يرمي به «ابن سبعين»[5]، هو القول بالحلولِ والاتحادِ والميل إلى الزّيْغِ والإلحاد[6] ومعاذ الله أن يكون من أهل ذلك وهو من أهل الْعِلْمِ والتمسك بالأحكام الشرعية[7]. وهو إن كانَتْ له ظواهر تقتضي ذلك، فالواجب أن يوكل علمُها إليهم[8]، وتتأوَّل[9] بالوجهِ الصحيح عليهم، والتَّسْليم أَنْجَى وَأَسْلم. فقد قال الشيخ «**أبو عبد الله المقري**» الفقيه القاضي رحمه الله وغَفَرَ لهُ : الاعتقادُ ولايةٌ والانتقاد جنايةٌ فإن عَرَفْت فاتْبَعْ وإن جَهلت فَسلِّمْ.

---

(1) في ر : الطواعِ، وفي خ : الطواح.

(2) في خ : المصَفى.

(3) في خ : المجل.

(4) ابن سبعين : هو «عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن فتح بن سبعين» (614هـ/1217م) من أبرز أقطاب التصوف المتفلسف في ق 7هـ بالغرب الإسلامي، وهو يمثل حلقة وسطى في نضج التصوف الغرب إسلامي، إذ أن «ابن عربي» يمثل الحلقة الأولى و«الششتري» الحلقة الأخيرة. من أهم مؤلفاته :
- بُدُّ العارف
- الرسائل
- المسائل الصقلية (الكلام على المسائل الصقلية موضوع مراسلته مع الامبراطور فريدريك II (1194م – 1250م).

وفي «ك» الجملة بين معقوفتين ناقصة، وردت في «ر» و«خ».

(5) وفي «ر» و«خ» : الجملة من : ثم حُمل... إلى : ابن سبعين، ناقصة.

(6) في ر : الاتحاد.

(7) في «ر» و«ك» ناقصة.

(8) في ر : لهم.

(9) وفي «خ» : وتأول.

وسُئِلَ «الشيخ القوري» رحمه الله عن «ابن عربي الحاتِمي»[1] فقال : هو أعْرَفُ بكل فَن مِنْ أهْلِ كل فَنّ. قيل : ما سَألْناكَ عَنْ هَذا. فَقالَ : اختلف فيه من الكفر إلى القطبانية. قيلَ لَهُ ماذا تُرَجّحُ ؟ قال : التَّسْليم، وأخذَ يسْتدل لَهُ.

وسُئِلَ «النووي»[2] رحِمَه الله عن ابن عَرَبي الحاتمي فقال : الكلام كلام صوفي و﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَها ما كَسَبَتْ وَلَكُمْ ما كَسَبْتُمْ وَلا تُسْئَلونَ عَمّا كانُوا يَعْمَلونَ﴾[3] وقال «الغزالي»[4] في أجْوبَتِهِ بعد نقل كَلاَمِ النّاس فيه : الأولى أن يُحْكَمَ عَلَى الكلام فيقال : هذا الكلامُ يَقْضِي كذا، وَيَدلُّ على كذا، وَيُنْكَرُ من كَذَا، ولا يتعرض لتكفير صاحبه لاحْتِمالِ رجوعِهِ عَنْه. لاسِيَمَا وَقَدْ كانَ عالِماً بالسُّنَنِ. والأثَرِ[5] وفي كَلامِهِ ما يدُلّ عَلى الاقتداءِ كثيراً[6]. هذا مَعْنَى كلامِهِ. وقد قال الشيخ «أبو بكر بن فورك» رحمه الله : «الغلط في إدْخال ألفِ كافِرٍ بِشُبهَةٍ في الإسلام[7]. ولا الغَلَطُ في إخراج مُسْلِمٍ واحدٍ بِشُبْهَةِ كُفْرٍ[8] نقله عنه عَياض في الشفاء. انتهى كَلام زروق رضي الله عنه.

قلتُ : وسبب انتقادِ أَهْلِ الظّاهِر[9] على أهْلِ الباطِن[10]، أنّ أهْل الباطِن لمَّا استَشْرَفوا على بِحارِ زواخِرِ من التوحيد الخاص،

---

(1) ابن عربي الحاتمي : هو أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الله الطائي ابن العربي الحاتمي (560هـ/1168م ـ 638هـ/1240م) أنظر ترجمته بالفتوحات الملكية، نهاية ج 4.

(2) النووي. وهو الإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي (631هـ/676م) وهو صاحب كتاب : «رياض الصالحين».

(3) البقرة : 134.

(4) في خ : الفرافي ؟ وهو تحريف لإسم : «الغزالي»، والغزالي هو : أبو حامد المولود في مدينة طوس من مدن خراسان سنة (450هـ/1057م) وتوفي بها سنة (505هـ/1111م).

(5) في ر : الآثار.

(6) في خ : إقتداء كثير.

(7) في خ : «في الاسلام» ناقصة.

(8) في خ : بألف شبهة كفر.

(9) أهل الظاهر :وهم الفقهاء المتشبثين بحرفية النصر من قضاة أو أهل الفتيا الذين ينكرون وقوع التجلي.

(10) أهل الباطن : وهو يقصد هنا : المتصوفة العارفون بالله، الذين لا يعتبرون الظاهر دون الباطن ولا الباطن دون الظاهر، لأن حقيقة الوجود هو الوجود الواحد ليس سواه وجود، إنه الظاهر والباطن، العلة والمعلول، الواجب والممكن،..

رامَ[1] بَعْضُهم التعبير[2] عن تِلْكَ الأسرار فضاقت عبارتهم عن ذلك، فَفَهموا مِنْها غَيْرَ ما أَرادُوه فَرُمُوا بالحُلولِ والاتحادِ مع تنزّههم عَنْه. وذلك كـ«ابن العَربي»[3]. و«الششتري» و«ابن الفارض»[4] وأضرابهم.

وهذه الأسرار لا تدرك بالعبارة وإنما تُدرك بالمحبة والسرابة[5] ومنهم من عَبَّر عَنْها بإشارة رقيقة وعِبارة دَقيقة غَطَّاها بنوع من التشريع فَقُبِلَتْ مِنْه[6]. وأقرت في محلها[7]، كـ«ابْن عطاء الله»[8] [رضي الله عنه]، وأشياخِه: «المُرْسِي»[9] و«الشاذلي»[10] و«ابن مشيش»[11]. فَسَلموا من الانتقاد عليهم، وكلهم أولياء رضي الله عنهم أجْمَعين.

(1) في خ: راح.
(2) في ح: للتعبير.
(3) في خ: ابن عربي، وتجدر الإشارة إلى أن هناك فرقاً شاسعاً بين الحلول والاتحاد، ووحدة الوجود، ذلك أن الحلول شعور باطني يطغى على النفس فينطق الصوفي بعبارة أنا الحق... دون حجة أو دليل. وأن الاتحاد وجْد عنيف يغمر النفس عندما تكون بحضرة الألوهية فلا يقدر الصوفي على الكتمان. بينما نظرية وحدة الوجود نظرية واعية صادرة عن عقيدة فلسفية ـ صوفية تدعمها أدلة.
(4) هو: «عمر بن الفارض» الشاعر الصوفي، ناظم التائية الكبرى، (ت. 632هـ) الذي أذعن لسلطان العاطفة، فقضي حياته يتغنى بالحب الإلهي. (أنظر حياته وفلسفته الصوفية: كتاب «ابن الفارض والحب الإلهي» د. مصطفى حلمي، دار المعارف).
(5) في ر: «تنال «بل» بمحبة وعناية، وفي خ: تنال بالصحة والسرابة.
(6) في خ: ناقصة.
(7) في «ر» و«خ»: وأقر في محله.
(8) ابن عطاء الله: هو أحمد بن محمد عبد الكريم بن عطاء اللّه السكندري، توفي 709هـ.
(9) المرسي: هو أبو العباس المرسي، قيل: لم يرث علم الشاذلي عنه غيره، و لم يضع كتبا، وكان يقول كتبي أصحابي، مات سنة 686هـ. من أقواله: علوم هذه الطائفة علوم تحقيق، وعلوم التحقيق لا تحملها عقول عموم الناس.
(10) الشاذلي: أبو الحسن ولد سنة 593 في إحدى قبائل غمراة القريبة من مدينة سبتة. وقد لعب في التصوف الإسلامي دوراً هاماً يشبه الدور الذي لعبه من قبل «أبو حامد الغزالي» توفي سنة 656 بمصر. (أنظر كتاب «أبو الحسن الشاذلي»، عن حياته وتصوفه، علي سالم عمار، دار التأليف، مصر 1951).
(11) ابن مشيش: هو عبد السلام بن مشيش ولد حوالي 563هـ تصوفه سني معتدل أثمر مدرسة عظيمة وهي الشاذلية التي أسسها بالمشرق تلميذه المباشر وحافظ سره والمنظر لآرائه وأقواله أبو الحسن الشاذلي.
أنظر ترجمته ودراسته عن: هسبريس Hesperis II 1961/141.

ولنَرْجع لِمَا كُنّا فيه من التعريف بالشيْخ وذلك أن الششتري أَلَّفَ كتاب : «**العُرْوَة الوُثْقَى**»[1]، وكتاب «**المقاليد الوجودية**»[2]، وكتاب «**الرسالة العلمية**»[3] وهي التي اختصرها ابن ليون التجيبي في : «**الإنابة في الانتصار للطائفة الصوفية**». وله مقطعات وأزجال في الخمرة الأزلية. قال ابن ليون : دُفِنَ «الششتري» رضي الله عنه بالطينة من مضرب[4] دُمياط، وقد ماتَ دونها بثَمانية عَشر ميلاً، فحمله الفقراء على أعْناقِهِمْ حتى أوصَلوهُ إليها.

وقد سُئِلَ قرْب ذَلِك : مَنِ الفقير ؟ فقال. الَّذي يَمْشي بعد مَوْتِهِ ثمانية عشر ميلاً، فكان كما ذَكَر، وَذَلِكَ سنة ثمانية وستين وستمائة «(668هـ)» كذا ذكره **الطواح**[5]. قُلْتُ : فكان في عصْر **الشاذلي**[6] وتأخر مَوْتُهُ عنه بِنَحْوِ اثنتي عشْرَة سنة.

---

(1) العروة الوثقى : (العروة الوثقى في بيان السُّنَن والعلوم) وهي مفقودة مثلها مثل عناوين أخرى للششتري، مثل : «ما يجب على المسلم أن يعلمه إلى وفاته» و«المراتب اليمانية والإسلامية والاحسانية».

(2) المقاليد الوجودية : كتاب لابن الحسن الششتري قمنا بتحقيقه ونشره عن دار الثقافة الدار البيضاء ط 1، 2008.
يدور موضوع المقاليد الوجودية حول تصوف وحدة الوجود، على الطريقة الليسية، التي اعتنق الششتري مبادئها الأساسية، التي يقوم على الفكرة البسيطة التالية : لا وجود إلا الله الواحد المطلق الوجود، وأن سرَّ هذا الوجود المطلق من الممكن أن تدركه فيك لا خارجاً عنك، إذا ما اتبعت طريقا خاصا يدعي بالسفر، والسفر : «يطلق على مراتب النفس وهي تسعة وتسعون سفرة وبعدها المنوعات والطريق» (المقاليد الوجودية).

(3) الرسالة العلمية : وهي كذلك «لابن الحسن الششتري» قمنا بتحقيقها ونشرها في طبعة أولى 2004 دار الثقافة، البيضاء.
ويتعلق موضوع الرسالة العلمية، بالطريقة الششترية، طريقة الفقراء المتجردين : التعريف بها وبمناهجها الذوقية وبزيها الذي تتميز به، مع إظهار مدى تشبثهم بالسنة أو بعدهم عنها، وبسط علومهم النظرية والعملية، والوقوف على مواجدهم الروحية التي يصطلحون بها على أفكارهم الذوقية.

(4) في ر : «في الطيبة وصفر به في» (جملة غير واضحة، كلماتها مشوهة). وفي «خ» : عن مقربة من.

(5) في ر : كما ذكره الطوّاع، وفي خ : كما ذكره الطوام.

(6) يمكن اعتبار عصر الشاذلي، العصر الذي نضج فيه التصوف الفلسفي مع ابن عربي، وابن سبعين، والششتري، إلا أنه لم يتبع آراءه واتخذ منه موقفا منتقدا، وفي المقابل كان داعيا إلى الرجوع إلى الأخلاق الإسلامية المستندة إلى العقيدة الأشعرية ومذهب مالك، وتصوف الجنيد.

قال الشيخ «زروقَ» رضي الله عنه : فأمَّا هذه القصيدة فقد احْتوتْ على مقاصد طريق العارفين وتعريف أُحوال الرّجال، وقد جزَّأَها ثلاثة أجْزاء :

الجُزْء الأول في تعيين المطلوب وما يطلب به وما يقوم فيه، وَوَجه المعاملة في ذلك نفياً وإثباتاً. وهذا من أوَّلِها إلى قَوْلِهِ : «أمامَكَ هَوْل فاسْتَمِع لوصيتي».

الجُزء الثاني من هُنا إلى قوله : «فَكَم واقفٍ أرْدى» ألخ[1]. وقد ذكَر فيه آيات[2] العقل وتضورهُ[3] بالمحاسن والقبائح وما يعرض منه[4].

الجزء الثالث : في ذكر[5] الأمور التي اكتسبها العقل لدويه[6] من نقصٍ أو كَمالٍ وتَضَمَّنَ ذلك تعريف جماعة من الرّجال. وسيُذكر كلاًّ في مَحَلهِ إن شاء الله تعالى[7] :

وهذا أوَّلُ القصيدة، قال رضي الله عنه :

أَرَى طالباً مِنّا الزِّيادَةَ لا الْحُسْنَى   بِفِكْرٍ رَمَى سَهْماً فَعَدَّى بِهِ عَدْنا

يقول رضي الله عَنْهُ : أَرَى طالبا مِنّا مَعاشر الصوفية. بسيرهِ ومجاهدتِهِ، وإحسانِهِ في معاملته، إنما هو الزيادة المذكورة في قوله تعالى : ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيادَةٌ﴾[8] لا الحُسْنَى التي هي الجَنَّة التي فسّرت بها الحُسْنَى. والزّيادة المَذْكورة في الآية هي النّظَر لوجهه[9] الكريم ودوام شهوده. أو المعرفة وزيادة الترقي فيها أبداً سَرْمَداً، وإنما كان مطلبهم ذَلك

(1) في «خ» و«ك» : ناقصة.
(2) في ر : آفات.
(3) في «ر» و«ك» : وتطويره.
(4) في «ر» و«خ» : فيه.
(5) في «ر» و«خ» : ناقصة.
(6) في ر : لزيه، وهو «تحريف» لِ : «ذَويه».
(7) في «ر» و«خ» : ناقصة.
(8) الآية : يونس : 26.
(9) في خ : في وجهه.

لِسُمُوِّ[1] هِمَمِهِمْ وَرَفْعِها عن الأكْوانِ بِأَسْرِهَا. فالجَنَّةُ كَوْنٌ مِنَ الأكْوان، فمن رحل[2] بقلبه عنِ الدّنيا وطلب الجنَّة [وزَخارِفَها][3]، فقد رَحَل من كَوْن إلى كَوْنٍ، فيكونُ كَحِمارِ الرَّحَى ما انْتَقَل عَنْهُ هو الَّذِي انتقل إليه[4]. والمطلوب إنما هو الرَّحِيل مِنَ الكَوْنِ إلَى المُكَوِّنِ. ﴿وأَنَّ إِلَى رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَى﴾[5]. قال الشيخ «أبو مَدين»[6] رضي الله عَنْهُ :

«شتَّانَ بيْن مَنْ هِمَّتُهُ الحورُ والقُصورُ، وَبَيْنَ مَنْ هِمَّتُهُ رَفْعُ الستور ودوام الحضور». وقد مَدَحَ الحق تعالى أهل الصُّفَّة[7] بقوله : ﴿يُريدُونَ وَجْهَهُ﴾[8] أي ذاتَهُ. فَكانَتْ عبادَتهم لإرادة معرفة ذاتِه لا لمعرفة أخرى[9]، وكذلك الصوفية برفع همَّتِهم لا يقصدون[10] إلاَّ مَعْرِفَة الذَّات الأقدس[11] وكشف الحُجُب عنها[12]. وإنما طلبُوا الزّيادة المذكورة بفكرٍ دلَّهم عليْها، ولأنّها[13] أرْفَعُ المَطالِبِ، فكانت بمثابة قوس رمَى سَهْماً وهو نظره السّديد

(1) في «ر» : لمسك، وفي «خ» : لانفكاك
(2) في «ر» : و«ك» : ناقصة.
(3) في ر : ناقصة.
(4) في «ر» و«خ» : صار.
(5) الآية : النجم : 42.
(6) أبو مدين : وهو : «أبو مدين شعيب بن حسين الأنصاري» الملقب «بالغوث» (توفي 594هـ)، يعتبر ذو أهمية خاصة بين متصوفة القرن 6هـ بالغرب الإسلامي. أخذ علومه الذوقية عن مشايخ من أمثال «أبي الحسن بن حرزهم» (ت 559) و«أبي يعزى يلنور» (ت 572هـ)، وقد تميز تصوفه عن شيخاه اللذين كانا تقليديين مباعدين للناس عاملين على نجاة نفسيهما، بأنه كان متجها إلى خدمة الناس وصيانة أمة الإسلام وتحويل جماعة مريديه إلى قوة خادمة للإسلام في كل بلاد الله.
(أنظر كتابنا : «نظرات في التصوف المغربي» ط 1، دار الثقافة 2006).
(7) أهل الصفة : وهم الراتبون بالصفة، عددهم نحو أربعمائة رجل، منهم «أبو هريرة»، و«الأعمى بن أم مكتوم» و«صهيب» و«سلمان» و«خباب» و«بلال»... وهم الذين قال في حقهم رب العزة : ﴿تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون﴾ (التوبة : 92).
(8) الأنعام : 52.
(9) في خ : ناقصة.
(10) في خ : لا يرمون.
(11) في «ر» و«خ» : ناقصة
(12) في ر : الحجوب. وفي خ : الحجاب.
(13) في «ر» و«خ» : وأنها.

وأمَله المديد، الذي لم يَزَل يَجول فيه حتَّى انتهى بهِ لأرفَع المطالب وأسْنَى المآرِب وهي مَعرفة الذَّات الأقدس[1] وشهودها. فعدَّى به[2] بتشديد الدَّال، أي جاوز بذلك النظر. عَدْناً : أي جنَّةُ عَدْنٍ. فَلمْ يلتفِتْ إلَيْها، ولا قَصَّرَ نظره عليها، بل جاوزها[3] إلى ما هو أعظم منها. لأن[4] مقصوده شهود الحبيب الذي هو نعيم الأروَاحِ، لا الجنَّة التي هي نعيم الأشباحِ. وفي ذلك يقول «ابن الفارض»[5] :

لَيْس سُؤْلي مِنَ الجِنانِ نعيماً غَيْرَ أنِّي أُريدُها لأراكَ

وَلاَ يَلْزَمُ مِن سُمُوِّ[6] الهِمَّة عن الشيءِ، احتقار ما سَمَتْ عنه، لأنَّ الله عَظَّمَ شَأْنَ الجنَّةِ وَأَعَدَّها لأوْليائِهِ. وإنَّما الْمُرادُ أنَّ معاملتهم لَيْسَتْ في مُقابلة ذلك، وإنما هي عُبودية ومحبَّة، وطلبٌ لما هو أوْلى وأعْظم، والله أَعْلَمُ.

ولـمَّا كانَ مطلبهم رفع الهمَّة عن الكَوْنَينِ وهُما مِن جُمْلَة السِّوَى الباطِلِ. كما قال الشاعر [«لبيد»][7] :

ألا كُلُّ شَيءٍ ما خَلا اللَّهُ باطِلُ وكـل نـعـيـم لا مَـحـالَـة زَائِـلُ

تحقَّقوا بالحق وصارُوا من أهل الحقّ، فَعَبَّرُوا بالحق[8] عن ذاتِ الحقّ، فَجرَى في مخاطَبتهم اسم الحقّ. فيقولونَ : قال الحق ويقولون الحق[9]، إلى غَيْر ذَلِكَ مما هو معلوم في محاوراتهم[10] رضي الله عنْهُم.

---

(1) في «ر» و«خ» : ناقصة

(2) في «ر» و«خ» : ناقصة.

(3) في «ر» و«خ» : جاوز.

(4) في «ر» و«خ» : وإنما

(5) ابن الفارض : وهو عمر بن علي، الحموي الأصل المصري المولد توفي سنة 632هـ.

(6) في «ر» و«خ» : مسك.

(7) في «ر» و«خ» : الشاعر ناقصة. ولبيد : (560هـ /661م) وهو أبو عقيل لبيد بن ربيعة العامري المصري كان من أشراف قومه وفرسانهم، دخل في الإسلام نحو سنة 629م له ديوان شعره وأشهر ما فيه المعلقة التي تقع في 88 بيتا من البحر الكامل.

(8) في «ر» و«خ» : به.

(9) «ويقولون الحق»، ناقصة.

(10) في «ر» و«خ» : مُحاورهم.

ثم بَيَّنَ أَنَّ المطلوب[1]، هو عَيْن الطالب في الحقيقة عند أهْل الفناءِ فقال :

طـالِبُـنـا مَـطْـلوبُـنـا مِـنْ وُجـودِنَـا نَغِيبُ بِهِ عَنَّا لَدَى الصعق إذْ عَنا

يقول رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : وطالِبُنا، أي والطالِبُ مِنَّا لتلك[2] الزيادة التي هي المعرفة. هو عين مَطْلوبنا، إذ لَيْسَ الأمر خارجاً عن ذاتنا عند تحقيق الفَنَاء[3]. فالطالب هو المطلوب، والمطلوب هو الطالب في الحقيقة، إذا لا إثْنينية ولا غَيْرية عنْد المُحَققينَ مِنْ أهْلِ التوحيد الخاص. وهَذَا كقولِهِ في بعض أزْجالِهِ[4] :

لَـقَـدْ أنـا شَـيْءٌ عَـجِيب لِـمَـنْ رَآنـي
أنـا المُحِـبُّ والحبـيب لَـيْـسَ ثَـمَّ ثـانِـي
يـا قـاصـداً[6] عَـيْـنَ الخَبَرْ غِـطـاهُ أَيْـنَـك
ارْجِـعْ بِـذاتِـكَ واعْـتَـبِـرْ مـا ثَـمَّ غَـيْـرُك
الخَيْـرُ مِـنْـكَ والْـخَـبَـرْ والسِّـر عِـنْـدَك
ارْجِـعْ بِـذاتِـكَ واعْـتَـبِـرْ مـا ثَـمَّ غَـيْـرُك[7]

وقال آخر

لا تَـظُـنُّ الأمْـرَ عَـنْـكَ خـارِجـاً هُـوَ ذَوْقٌ ثـم شُـرْبٌ ثُـمَّ رَيّ

وقال آخر[8] :

أَنـا مَـنْ أَهْـوَى وَمـنْ أَهْـوَى أَنـا نَـحْـنُ روحـان حَـلَـلْـنـا بَـدَنَـا

(1) في «ر» و«خ» : كون المطلوب.
(2) في خ : تلك
(3) الفناء : تبديل الصفات البشرية بالصفات الإلهية دون الذات، فكلما ارتفعت صفة قامت صفة مقامها، فيكون الحق سمعه وبصره. (التهانوي، ص 1158).
(4) الديوان : عنوان الزجل «جمالي شاهد في كل إنسان» لهجته أقرب إلى الفصحى ص 313.
(5) في «ر» و«خ» : يا طالبا.
(6) في الديوان : يا قاصداً، بينما في «ر» و«خ» : يا طالبا.
(7) في الديوان : ترتيب الأبيات مختلف : البيت (5) محل البيت (7) وكذلك في «ر» و«خ».
(8) القسم الخامس من كتاب : «هكذا تكلم الحلاج» (النصوص الصوفية الكاملة)، دراسة وتحقيق «قاسم محمد عباس»، ص 1، 2009، دار المدى للثقافة والنشر، سورية– دمشق، ص 241. =

فليْسَ[1] هُنا حُلولٌ ولا اتْحاد، إذ لا وجود لِلْغَيْرية[2] والإثْنينية، حتَّى يَتَّحِدَ أحدهما بالآخَرِ. كانَ ٱللَّهُ وَلاَ شَيْءَ مَعَهُ وَهُوَ الآن على ما عليه كانَ. فَيَا عَجَباً كَيْفَ يَظْهر الوجود في الْعَدَمِ ؟! أم كَيْفَ يثبتُ الحادِثُ مَعَ من لَهُ وصف[3] الْقِدَم ؟!

وقول الشاعر : «نَحْنُ رَوْحان» الخ،[4] أشار به إلى الرّوحِ وروح الروح[5] التي هي المَعْنَى القائمَة بالأشياء، فهي قائِمَة بالرُّوح. والرّوح قائمة بالجِسْم، والجِسْم تَجَلٍّ[6] من تجليات الحق تجلى به وبَطنَ بَعْد تجلّيه[7] بما ظهر فيه من أوْصاف الْعُبودِية ليتحقق فيه اسْمُه الظّاهِرِ واسْمُه الباطِن.

وفي الحقيقة لا وجود لِلْعَبْدِ أصْلاً، وإنَّمَا تُثْبِت العَبْدَ في عالَمِ الفَرْقِ حِكْمَة، وتنفيه في عالَم الجَمع قُدْرَةً. فإذَا اسْتولَى على العَبْد الجَذبُ والفَناء أصلاً غابَ عَن مقامِ الفَرْقِ، فَلا عَبد أصلاً. وصار الطالب عَيْن المطلوب والمطلوب عَيْن الطالب، والذّاكر عَيْن المَذْكور والمذكور عين الذاكر، ولهذا أشار[8] الشيخُ بقوله : «وَطالِبُنا مَطْلوبُنا من وُجودِنَا»، أي هو مِنْ عَيْنِ

= والقصيدة من [الرمل].
وتتمتها كما يلي :

نَحْنُ مُذْ كُنَّا عَلَى عَهْدِ ٱلْهَوَى	تُضْرَبُ ٱلأَمْثَالُ لِلنَّاسِ بِنَا
فَإِذَا أَبْصَرْتَنِي أَبْصَرْتَهُ	وَإِنْ أَبْصَرْتَهُ أبْصَرْتَنَا
أَيُّهَا ٱلسَّائِلُ عَنْ قِصَّتِنَا	لَوْ تَرَانَا لَمْ تُفَرِّقْ
رُوحُهُ رُوحِي وَرُوحِي رُوحُهُ	مَنْ رَأَى رُوحَيْنِ حَلَّتْ بَدَنَا ؟!

(1) في «ر» و«خ» : ليس.
(2) في «خ» : لنفي الغيرية.
(3) في «ر» و«خ» : ناقصة.
(4) في «ر» و«خ» : ناقصة.
(5) في «ر» و«خ» : ناقصة.
(6) في «ر» و«خ» : ناقصة.
(7) في ر : تجلياته.
(8) في «ر» و«خ» : وهذا الذي لاحظ.

وُجودِنا لا خارجاً عنَّا نغيب به، أي بشهود مطلوبنا عَنَّا، أيْ[1] عَنْ وُجودِنَا. لَدَى الصعق[2] (أي عند الصَّعْق)، وهُو زوال الْعَبْد وفناؤه واضْمِحلالُه عِنْد استيلاء[3] أنْوارِ شمس الحقيقة عليه. [فيفنى ما لم يكُنْ. ويبقى ما لَمْ يَزَلْ. وقوله : «إذا عَنَّا» أي حين عَرْضِ هذا الصَّعْق لوجود العبد الوهمي، نغيب عن وجودِنا وعن كل شيْء][4].

وفي الحِكَمِ : «العارف مَن إذا أشارَ وَجَدَ الحقّ أقرب إليه من إشارته له لفنائِه في وجودِهِ، وانطوائِه في شهودِهِ»[5]. وقال أيضاً : «كَيْف يحتجب الحق بشيء والذي يحتجب به هو به[6] ظاهرٌ وموجودٌ حاضِر»[7] وقال في

(1) في خ : ناقصة.
(2) في خ : الطعن، وهو تحريف.
(3) في «ر» و«خ» : سطوع.
(4) في ك : ما جاء بين معقوفتين : ناقص.
(5) ابن عطاء الله الاسكندري : «الحكم»...
هو تلميذ ياقوت العرش وأبي العباس المرسي. له من المؤلفات : كتاب «التنوير في إسقاط التذكير» وكتب الحكم وكتاب لطائف المنن، وغير لك، توفي سنة 707، من أقواله : الأولياء آيات الله، يتلوها على عباده بإظهار إياهم واحداً بعد واحد، تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق.
وعبد الكريم الحيلي هو أحد أهم مريدي الشيخ الأكبر، محي الدين بن عربي توفي سنة 805هـ – 1403م، وهو صاحب نظرية في «الإنسان الكامل» وصاحب العينية المشهورة، والتي منها قوله :

هُوَ الموجِدُ الأشياءَ وهو وُجودُهُ ... وهو ذواتُ الكُلِّ، وهو الجَوامِعُ
بَدَتْ في نُجومِ الخَلْقِ أنوارُ شَمسية ... فَلَمْ يَبْقَ حُكْمُ النَّجْمِ، والشَّمْسُ طَالِعُ
حقائق ذاتٍ في مراتب حَقِّهِ ... تُسمّى باسمِ الخلق، والحق وَاسِعُ
وفي فِيه من رُوحي نَفَخْتِ كِفايه ... هل الروحُ إلاَّ عَيْنُهُ، يا مُنَازِعُ
فَيَا أحَدِيَّ الذَّاتِ في عين كَثْرَةٍ ... ويا واحد الأشياء، ذانك شَائِعُ
تجليتَ في الأشياء حِينَ خَلَقْتَها ... فها هي مِيطَتْ عنك فيها البَراقِعُ
قَطَعْتَ الوَرَى مِنْ ذاتِ حُسْنِكَ قطعةً ... و لم تَكُ مَوْصُولاً ولاَ فَصْلٌ قاطِعُ

أنظر الباب الثالث والعشرين «في الجمال»، كتاب «الإنسان الكامل في معرفة الأوائل والأواخل»، ط 1، دار الرشاد، البيضاء، المغرب 1998، ص 89.
(6) في «ر» و«خ» : فيه.
(7)

التنوير : «أَبَى المحققون أن يشهَدوا غير الله، لِمَا حَقَّقَهُمْ به مِن شهودِ القيّومية، وإحاطةِ الدّيْمُومية»[1]. وقال الشيخ الجيلي[2] في عَيْنيته :

هُو موجِدُ الأشياءِ وَهُوَ وُجودُها وَعَيْنُ ذَواتِ الكُلِّ وَهْوَ جَوامِعُ

لاَ تَطْمَعُ أَنْ تَفْهم هذه الأسرار إلا بِصُحْبة الرّجال أهْلِ الفناءِ والبَقاء، وإلاَّ بقيتَ مع نفسك تائها[3] مَعَ أَهْلِ الإنكار[4] والانتقادِ علَى أَوْلياء الله على الدَّوام. فَتبُوء بالخيبة والخسْرانِ، والعياذِ بالله. ثم هذا المطلوب إنما ينال ويعرف أيضاً[5] بتركِ الحظوظِ[6] واللحوظِ[7]. كما أبانَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ :

تَرَكْنا حُظوظاً مِنْ حَضيضٍ لُحوظِنا
مَعَ الْمَقْصِد الأقْصَى إلى الْمَطْلَبِ الأسْنَى

قلتُ الحظوظُ : ما تَميلُ النَّفْسُ إليه وَتَهْواه. واللُّحوظُ : الإلتفات إلى الشيء، وقصده بالنظر[8]. والْحَضِيضُ : المكان المنخفض. يقول [فيما معناه] رضي الله عنهُ : تركْنَا حظوظاً مِنْ حظوظِ أَنْفُسِنا، التي تَهْوي بنا[9] إلى الحضيض الأسْفل بِسَبَبِ لحوظِنا لغيْرِ الله تعالى[10]. والتفاتنا إليه. فعبَّرَ عن حظوظ النّفس بالحضيض، وهو التَّساقط إلى المرْكَزِ الأسْفل لأنَّها سببُه. لأنَّ

(1) في «ر» و«خ» مع الله غيره، أنظر التنوير في إسقاط التدبير لابن عطاء الله السكندري وبهامشه تاج العروس، مطبعة ابن شقرون، القاهرة.

(2) في «ر» و«خ». الشيخ الجيلاني وهو خطأ وخلط سقط تحت وطأته ناسخا مخطوطا، الرباط ومخطوط الخالدي. والبيت «لعبد الكريم الجيلي» تلميذ ابن عربي وصاحب كتاب «الإنسان الكامل».

(3) في «خ» : «مع نفسك تائها» ناقصة.

(4) في «ر» و«خ» : التنكير.

(5) في «خ» : ويدرك، وأيضا، ناقصة.

(6) الحظوظ : هي حظوظ النفس، وهي لا تجتمع مع الحقوق لأنهما ضدان لا يجتمعان [اللمع، ص 413].

(7) اللحوظ : ج لحظ : إشارة إلى ملاحظة أبصار القلوب لما يلوح لها من زوائد اليقين بما آمنت به من الغيوب.

(8) في «خ» : ترك النظر.

(9) في «خ» : بصاحبها

(10) في خ : ناقصة.

مَنِ انْهَمَكَ في اللّحوظِ[1] قطعاً يَسْقط إلى الحضيض الأسفل وأضافه إلى اللحوظِ ؛ لأنَّ الاشتغال باللّحوظِ مسبَّب عن لحوظ الغَيْر والإلتفات إليه، وأمَّا لو اشْتغَل بالله لَنَسي حظوظه ولحوظَه. وحاصِل مَعْنَى البيت : تَرَكْنا حظوظاً من حظوظِ[2] النَّفْس التي تَهْوِي بنا إلى الحضيض الأسْفَلِ بِسَبَبِ لُحوظِنَا إيَّاها والتفاتِنا إليها. التي لا يَرْضَى بها ذو هِمَّة عالية، ولا يتمكَّنُ مَعَها فتوح ربَّانية.

والحظوظ ثلاثة : **حظوظ جسمانية، وحظوظ قلبية ، وحظوظ روحية.** وكُلُّها تحجُب عن الله لِمَنْ وَقَفَ مَعَها.

فالجِسمانية : كتمتع النّفس بلذَّة المطاعم والمشارب والملابس[3] والمناكِح والمراكب[4] وما يرْجع إلى ذلك، مما تتمتَّع به البشرية ويزيد في حِسِّها، إذا سكَن شيء منها في القلب[5] لم يَرْحل إلى الله أبداً ما دام ساكنها[6] فيها.

والقلبية : كحُب المالِ والرياسَة والجاه والتقدم وحبّ المَدْح والثناءِ والتعظِيم وإقبال النّاسِ، وكاتصافه بالكِبْر والحسَد وغَيرها من مصائب القلب. وهذه أقبح من الأولى وأصعب منها[7] علاجاً.

واعْتَبِر بقصة آدم مع إبليس فكانَت شَهْوة آدم في بَطْنِه، فتداركه بالتَّوْبَةِ، وكانت شهوة إبليس في قلبه، فَطُرِدَ وأُبْعِدَ.

---

(1) في ر : لحوظ.
(2) في ر : من حظوظ : ناقصة.
(3) في خ : ناقصة.
(4) في ر : ناقصة.
(5) في خ : قلب.
(6) في ر : ساكن.
(7) في ر : «منها» ناقصة.

والحظوظ الروحية[1] كطَلبِ الكَرامات[2] والوقوف مَعَ المقاماتِ وحَلاوة الطّاعات، وغَير ذلك من الخوارقِ. فكلها في العبودية التي هي سَبَبٌ في شهود الرّبوبية. ولذلك قال في الحِكَم : «الحقُّ ليس بِمَحجوبٍ عَنْكَ[3]، وإنّما المحجوب أنْتَ عَنِ النَّظَرِ إليه»[4]. ثم قال : متّصلاً بهَذِهِ الحِكْمَةِ : «أُخْرُجْ مِنْ أوصافِ بِشريتكَ عنْ كُلّ مُناقِضٍ لعُبودِيتكَ، لتكون لنداء الحقّ مجيباً، ومنْ حَضْرتِهِ قريبا»[5]. فكأنَّهُ قال : إنما حجبكَ عنِ النّظَرِ إليه أوصافُ بَشَريتكَ، أُخْرُجْ عَنْها يَحْصل لَكَ النَّظَر إليْه. وعلى هذا المَسْلكَ سَلَكَ الناظِمُ حيثُ قال : «وطالبنا هو مطلوبنا» أقرب إلَيْنا مِنَّا مِنْ وجودِنا. ثم قال : «تَرَكْنا حظوظا» إلخ. فكأنَّهُ يقول : مطلوبُنا أقرب إليْنا مِنَّا، وإنما حجَبَ النّاسَ عَنْه الاشتغالُ بحظوظِهِمْ ولحوظِهم التي أَهْوَتْ بِهِمْ إلى الحضِيضِ الأسْفَلِ[6]. فقد تَرَكْنا ذَلِكَ فَوَجَدْنا الطَّالب مِنَّا عين المطلوب.

وقولُه : «مَعَ الْمَقْصِدِ الأقْصَى». أي مَعَ تَرْكِ المَقْصَدِ الأبْعد : وهو نَعِيم الجِنان مِنَ القصود والحور التي هي الحُسْنَى، فهو[7] وإن كان ليسَ مِنَ الحظّ العاجِل، فهُوَ لحْظ الالتفات إلى الْغَيْرِ. وسَمَّاهُ المَقصد الأقصَى لأنه بعيد من حظوظ هذه الدَّارِ، وعامَّة الناس يقصدونه بمعامَلتهم.

---

(1) في خ : الروحانية.

(2) الكرامات : ج كرامة : وهي للأولياء، والمعجزات للأنبياء، وظهور الكرامات على الأولياء جائز، والدليل على جوازه أنه أمر موهوب في العقل لا يؤدي حصوله إلى رفع أصل من الأصول. [معجم حقي ص 223].

(3) في ر : ناقصة.

(4) أنظر شرح الحكم «لابن عباد الرندي»، ج 1، ص 31، وج 2، ص 128، دار الفكر، ط 1، 2004. ويقول كذلك «إنما حجب الحق عنك شدة قُربه منك»، بيروت لبنان.

(5) شرح الحكم : ج 1، ص 31. يقول كذلك : «مطلب العارفين من الله تعالى الصدق في العبودية والقيام بحقوق الربوبية» نفس المصدر، ج 1، ص 68.

(6) في خ : «الأسفل» ناقصة.

(7) في ر : فإنه.

وقَوْلُهُ : «إِلَى الْمَطْلِبِ الأَسْنَى» أي تركنا ذلك كله قاصدين إلى المطلب الأسنى[1]، وهو الزيادة التي هي المشاهدة والترقي في أنوارِها أبداً سَرْمدا. جعلنا الله من هذا القبيل آمين. فتحصّل أنَّ الْعَبْدَ لا يدخل حضرة الشهود حتى يترك الحظوظ كلها، ويبْقَى بقلبٍ مُفْرَدٍ لله تعالى. كما قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمونا فُرادَى﴾[2].

وقيل للجُنَيْدِ : كيفَ الْوُصول إلى الانقطاع إلى الله عزّ وجلَّ ؟ فقال : «بتوبةٍ تزيل الإصرار، وخوف يقطع التَّسْويف، ورجاء يَبْعَث على مَسالِكِ سائر[3] العمل، وإهانة النفس بقرْبها مِنَ الأجَل وبُعْدِها مِنَ الأمَل»[4]. قيل لَهُ : بماذا يَصِلُ الْعَبد إلى هذا ؟ قال : «بقَلْب مُفردٍ فيه توحيد مجرد»[5] وقال الناظم بعض أبياته ثم ذكر نتيجة ترك الحظوظ واللحوظ وهو كشف حجاب الكائنات فقال[6] :

وَلَـمْ نُـلْقِ كُنْهَ الْكَوْنِ إلاَّ تَوَهُّما ... ولَيْسَ بِشَيْءٍ ثابِتٍ هكذا ألفينا[7]

لي حـبـيـب إنما هـو غـيـور ... يـظـل في الـقـلْـب كـطير حذور

وإذا رأى شـيـئـا امتـنـع أن يـزور

يقول رضي الله عنه : وَلَمْ نُلْق (بضَمّ النون)، أي نَجِدُ كُنْهَ الْكَوْنِ أي حقيقته عنْدَ انكشاف ظُلْمَةِ الحسّ إلاّ تَوَهُّماً، أيْ عَدَماً مَحْضاً. تَوَهَّمَ النّاس أنَّهُ شيء ثابتٌ مَعَ الله وليس شيئا ثابتاً مَعَهُ إنما هُوَ كالْهَباءِ[8] في الْهَواءِ[9].

---

(1) في خ : هذه الجملة ناقصة [أي تركنا ذلك كلية قاصدين إلى المطلق الأسني].
(2) الآية : الأنبياء : 94.
(3) في خ «سائر» ناقصة.
(4) الجنيد : عن اخباره انظر الرسالة القشرية، ص 18 - 19، دار الكتاب العربي، بيروت، دون تاريخ.
(5) الجنيد في ح : «بقلب مفرد يزور» والجملة التي تلت، ناقصة وكذلك الزجل.
(6) الديوان : قسم الأزجال. وإيقاظ الهمم ص 282 دار المعرفة بيروت، دون تاريخ.
(7) في خ : «ألِفْنا»، والصحيح : «ألفينا» انظر الديوان ص 71، البيت (4).
(8) الهباء : كلمة تدل على غبرة ورقّة فيها... والهباء : دقاق التراب... والشيء المنبث الذي تراه في ضوء الشمس. (معجم مقاييس اللغة) والهباء عند المتصوفة، عند ابن عربي بالذات : هو المادة المحدثة التي خلق الله فيها صور العالم، فهي الجوهر المظلم الذي قيل صور أجسام العالم. وهي ما أطلق عليها الفلاسفة الهيولى. (أنظر الفتوحات ج 2 ص 130).
(9) في «ر» : نقص في هذه الفقرة عوضناه بالرجوع إلى «خ» من : «توهم الناس» إلى : «كان الله ولا شيء معه».

إنْ فتَّشته لَمْ تَجدْ شيئاً خارجا عَنْ أَنْوارِ الألوهية. وإنَّما الوجود لله وحْدَهُ. كانَ اللهُ وَلاَ شَيْءَ مَعَهُ. وهُوَ الآن على ما عَلَيْهِ كانَ. على هذا دَرَجَ أهْل الأذْواق من أهْل التوحيد قاطبة. وبِذَلِكَ غَنَّوْا في أشعارهم، كَقَوْلِ الْقائِل[1] :

مُنْذ عَرَفْتُ الإلَـهَ لَمْ أَرَ غَيْراً ... وكَـذا الْغَيْرُ عِنْدَنَا مَمْنوعُ
مُنْذ تَجَمَّعْتُ ما خَشيتُ افْتِراقاً ... فَأنَا الْيَوْمَ واصِلٌ مَجْموعُ
فَلَمْ يَبْقَ إلاَّ اللهُ لَمْ يَبْقَ كائِنٌ ... فَما ثَمَّ مَوْصول وَلا ثَمَّ بائِنُ
بِذا جاءَ بُرْهان الْعِيانِ فَمَا أرَى ... بِعَيْنِي إلاَّ عينه إذْ أُعايِنُ

إلى غَيْرِ ذَلك مِن مواجِيدهم[2] وأذواقهم رضي الله عنهم. قال ابْن عطاء الله في الحِكَم : «ما حَجَبَكَ عَنِ الحقّ وُجودُ مَوْجودٍ مَعَهُ إذ لا شَيْءَ مَعَهُ. وإنَّما حَجَبَك تَوَهُّم مَوْجودٍ مَعَهُ»[3]. وقال في التَّنْوير : «فما سوَى الله تعالى لا يوصف بِفَقْدٍ ولاَ بوجودٍ، لأنه يوجد مَعَهُ غَيْرهُ لثبوت أحَديتِهِ. وَلاَ فقد لغَيْرِه، لأنَّ لا يُفقد إلاَّ ما كان مَوجوداً. وَلَوِ انهتَكَ حجاب الْوَهْمِ، لَوَقَعَ الْعِيان على فَقْدِ الأعْيانِ، ولأشْرَقَتْ نور الايمان، فَغَطَّى وجود الأكْوان»[4].

وقالَ في لطائف المِنَنِ : «وأشْبَه شيء بالكائناتِ وجودُ الظّلال، فالظّل لا موجود باعتبار مَراتِب الوجودِ، ولا معدوم باعتبار مَراتِب الْعَدَمِ»[5]. واعتبار العَدمِ في الظاهِرِ أقربُ لأنَّهُ خيال لا حقيقة له[6]، وتَشَبُّه الكائنات

---

(1) في نفس المعنى أنشد الششتري :

مُنذ عرفتُ ربِّي ... زَالَتْ عَنِّي الأغْيارْ
وانشرح قلبي ... وبدت لي الأسرارْ
وأنا طول حياتي ... في نور وأنوار (الديوان ص 279)

(2) في ر : وظائهم.
(3) ابن عطاء الله : «الحكم». أنظر شرح الحكم ج 2 ص 161.
(4) ابن عطاء الله : «التنوير» : التنوير في اسقاط التدبير وبهامشه «تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس»، مكتبة ابن شقرون القاهرة دون تاريخ. أنظر فصل : «بيان أن العبد لا يصل إلى الرضا ولا يبلغ إلى صريح العبودية إلا بالاستسلام إلى القضاء. ص 10.
(5) ابن عطاء الله : «لطائف المنن»، دار الكتب العلمية بيروت لبنان دون تاريخ
(6) في ر : «له» ناقصة.

بالظلّ لأنّ يُنْسَجُ وَيُعْدَمُ عند وصول الشّمْس إلى مَحلّه. فَكَذلك حِسّ الأواني يُعْدَمُ ويُفْقَدُ عِنْدَ طلوع شَمْس الْعِرْفانِ عليه. فإذا أشرقت شَمسُ المعاني، ارتفع حِسّ الأواني. وإليه الإشارة بقوله تعالى على طريق أهْل الإشارة: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾[1]. أي ظِلّ الكائنات : ﴿وَلَوْ شاءَ لَجَعَلَهُ ساكِناً﴾[2] أي وَلَوْ شاءَ لجعل ذلك الظّلّ ساكِناً. ما ارْتَفَعتْ ظُلْمَتُه عن القلوب. ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ﴾[3] أي شمس العِرْفان ﴿عَلَيْهِ﴾[4] أيْ عَلَى ذَلِكَ الظّلّ ﴿دَلِيلاً﴾[5] حتى صار ذلكَ العارف يستدل بالله على غَيْرِهِ ﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ﴾[6] على قلوب المتوجَهين ﴿قَبْضاً يسيرًا﴾[7] شيئاً فَشَيْئاً على حَسَبِ التصفية[8] والترقية[9] حتّى يَنْقَطِع بالكلية. وقد أشار النّاظم في بعض أزْجالِه إلَى هذا الْمَعْنَى فقال :

تجلّــــتِ المعــــانِـــي   وغـــابَـــتِ الـظّـــلال
كُـــسّـــرَتِ الأوانِــــي   وَمُــــزّق المِثــــال[10]

وقال ابن عطاء الله في الْحِكَم : «الأكْوان ثابتة بإثْباتِهِ، مَمحوّةٌ بأحَدية ذاتِهِ[11]، لا يَدُلُّ على ثُبوتِها استقلال[12]. وإنّما الْمُراد أنّهُ أظهر حِسها لِيُعْرَفَ بِها، ثم مَحاها بِأحديةِ أسْرارِ ذاتِهِ، وهي المعانِي الْقائمة بِها قيام الثلْجَة بالماءِ[13]، فإذا ظهر الماء بدون[14] الثلجة فلا ثَلْجَة، كَما قال صاحِب الْعَيْنِية[15].

---

(1)، (2)، (3)، (4)، (5)، (6)، (7) الفرقان : 45.

(8) التصفية : من الصفاء : ما خلص من ممازجة الفعل من الحقائق في الحين. قال ابن عطاء الله : لا تغتروا بصفاء العبودية فإن فيها نسيان الربوبية، لأنها ممازجة بالطبع ورؤية الفعل.

(9) الترقية من الترقي، وترقى في العلم أي رقي فيه درجة درجة، والترقية في السلوك الصوفي، هو أن تتم تصفية القلب من الأكذار والأغيار وصقل مرآة النفس من الصدأ، يبدأ ترقي قلب السالك من درجة من الكشف إلى درجة أعلى منها إلى أن يتحقق العرفان.

(10) ديوان أبي الحسن الششتري، البيتين من قصيدة زجلية عنوانها : «ليس إلا الله» ص 357، تحقيق الدكتور محمد العدلوني الإدريسي والأستاذ أبو الفيوض ط 1 دار الثقافة 2008.

(11) أَحَدِيَّةُ الذّات : وهي مرتبة الذات المطلقة، وقد تم تحليل هذا المصطلح فيما تقدم.

(12) في خ : الاستقلالُ.

(13) في ر : «الماء» ناقصة.

(14) في ر : تُذوّبان.

(15) العينية : وفي جهة أخرى يقول : =

وما الْكَوْنُ في التِّمْثالِ إلاَّ كَثَلْجَةٍ   وأَنْتَ لَها الماءُ الَّذي هُوَ نابِع
وَما[1] الثَّلْجُ في تَحْقيقِنا غَيْرُ مائِهِ   وَغَيْرِه[2] في حُكْمِ دَعَتْهُ الشَّرائِعُ

وَقَوْلُهُ : هَكَذا الفَناء، أيْ هَكَذَا حقيقةُ الْفَناءِ : مَحْوُ الأشياء واضْمحلا لها كما قال الشيخ أبو الْمَواهِب : حقيقة الْفَناء مَحْوٌ واضمحلالٌ، وذهاب عنْكَ وَزَوالٌ. ومِنَ الأشياء وجود النَّفس، فلا يحقق العَبْدُ الفناء حتَّى يغيب عن وجودِهِ، ووجود الكَوْنِ بِأَسْرِهِ في شهود وجود محبوبه.

وفي نسْخة الشيخ زروق : «ولَيْس بشيءٍ ثابت هكذا الفَناء»[3]. قال : يعْني هكذا وَجَدْنا، إشارة إلى أنَّ معرفَتهم من طريق الذّوق والمُنازلة لا مِنْ طريق العِلْم والمُحاولة. قلت : وهو غَيْر جيّد. لأنه يُؤدي إلى نَوْع تِكْرارٍ مَعَ أَوَّلِ البَيْتِ لأنَّ قولُه : وَلَمْ نَلْقَ، أي نَجِدْ صريحاً في الذَّوْقِ والْوُجْدانِ فَلاَ مَعْنَى لإعادَتِهِ، والله تعالى أَعْلَمُ.

ثم ذكر ما أنتج هذا الوجود فقال :

فَرَفْضُ السّوَى فَرْضٌ عَلَيْنَا لأنَّنا   بِمِلَّةِ مَحْوِ الشّركِ والشّكِّ قَدْ دِنّنا[4]

يقولُ رَضِيَ الله عَنْهُ : فَرَفْضُ السّوَى أيْ طَرْحُهُ والغَيْبة عنه فَرْضٌ واجِبٌ عَلينا معشَر الموحِّدين. وهذا البيْت مُرتَّب على ما قبْله، لأنّ مَن وجَد الكَوْنَ توهُّما لا حقيقة لِوُجودِه، والكَوْن كلّ ما سِوَى الله، تَعَيَّنَ عليه رفْضُهُ وعدم اعْتِبارِه، نظراً واعتباراً ومحبّة واستناداً. فلا يُرَى في الوجود إلاَّ الله، ولا يَعْتمد في أُمورِهِ إلاَّ عليْه. كما قال الشّاعِر :

= فَقَدْ خَلَقَ الأرْضَيْنِ بالْحَقِّ والسَّمَا   كَمَا جَاءَ فِي ٱلْقُرآنِ، إنْ أَنْتَ سَامِعُ
وَمَا ٱلْحَقُّ إلاَّ اللّهُ ؛ لاَشَيْءَ غَيْرُهُ   فَشُمَّ شَذَاهُ، فَهُوَ في الخلقِ ضَائِعُ

(1) في ر : فما.
(2) في خ : وغيران.
(3) قولة الشيخ زروق : شرح النونية.
(4) في الديوان : دِنا، الديوان ص 71. وفي «ر» و«خ» : دِننا.

حَـرامٌ عَـلَـى مَـنْ وَحَّـدَ اللهَ رَبَّـهُ وَأَفـرَدَهُ أنْ يَـحْـتَـذي أحَـداً رِفْـدا
فيا صاحِبِي قِفْ بي عَلَى الحقّ وَقْفَه أَموتُ بها وُجْداً وَأَحْيا بِهَا وُجْدا
وَقُلْ لِمُلوكِ الأرْضِ تَجْهَدْ جُهْدَهَا فَذا الْمُلْكُ مُلْكٌ لا يُباعُ وَلاَ يُهْدَى

وكذلك لا يميل لمحبّتِهِ شَيْءٌ[1] من حُسن الكائنات، وإنما يتَعَشَّق إلى أسْرار المَعاني التي هي الحضْرَة الربانية[2]، التي هي وَجْهُ الرَّحْمـٰن، فافْهَمْ. لأن مَنْ سابقَتْهُ المعاني لا يَلْتَفِتُ إلى جَمالِ صُوَرِ الأواني، وغابَ عَنْها في جَمالِ المتجلّي بِها فيغيب بِحَلاوَةِ لذَّةِ الشّهودِ عَنْ جَمالِ كل مشهودٍ.

ثم علَّلَ رَفْضهُمُ السّوَى[3] بقولِهِ : «لأنَّنا بِمِلَّةِ مَحْوِ الشّرْكِ والشّكّ قَدْ دِنَّا». أي لأنَّنا تمسَّكْنا بِمِلَّةِ الحقيقةِ الإبْراهيمية، التي جاء بها رسولُنا عليه الصَّلاة والسلام، وهي مؤسَّسَة على محوِ الشّرْكِ وَرُؤْيَةِ الْغَيْرِ عن عيْن القَلْبِ. لأنَّ إبراهيم عليه الصّلاة والسّلامُ حين زُجّ بهِ في المنجنيق ورُميَ بهِ في النّارِ، تَعَرَّضَ لَهُ جبريل في الْهَواءِ فقَالَ لَهُ : أَلَكَ حاجَةٌ ؟ فقالَ : أَمَّا إلَيْكَ فَلاَ، وأَمَّا إلَى اللهِ فَبَلَى. فقال جبريل : سَلْهُ فقال إبراهيم : «**عِلْمُهُ بحالِي يُغنِي عن سُؤالي**»[4]. فَلَمْ يلتفِتْ إلى الواسطة قطعاً، ولم يشرك في تملقه أحدا سوَى مَوْلاهُ الذي لا يخفى عليه شيء[5]. وكذلك محو الشّكّ والرّيبة. فإنه عليه السلام طَلَبَ الانتقال مِنْ علم اليقينِ، الذي يمكن أن يُزاحمه خاطِر توهمه[6]، إلى عَيْن الْيَقين الّذي لا يَبْقَى مَعَهُ وَهْمٌ ولا ريبَة أصْلاً. إذ لَيْسَ الخَبَرُ كَالْعِيانِ، وذَلِكَ حين قال : ﴿**رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى**﴾[7] الآية.

---

(1) في ر : بمحبة الشيء.
(2) في خ : «التي هي الحضرة الربانية» ناقصة ولعلها زيادة من طرف ناسخ المخطوط «ر».
(3) السوى : سوى اللّه. لقد درجت الصوفية على تسمية كل ما عدا الله من المخلوقات بالسوى، وكل مربوب هو «سوى» و«غير» في مقابل الله الرب. وفي هذا الصدد قال ابن عربي : «فإن كل ما سوى الله لا يمكنه الخروج عن قبضة الحق، فهو موجبهم» (الفتوحات المكية ج 3 فق 133).
(4) الحديث : كتاب مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابح : القاري ج 8 ص 20. ونص الحديث : «وقال ابراهيم عليه السلام : حَسْبِي من سؤالي علمه بحالي».
(5) في خ : ناقصة.
(6) في ر : تعلمهُ. وخ تهمة.
(7) البقرة : 260.

فأَسعفه الحق تعالى في ذلك حتّى انتقل مِنْ علم اليقين إلى عين اليقين، وهَذا مَعْنَى قوله : «لأَنَّنا بِمِلَّةِ مَحْوِ الشِّرْكِ والشَّكّ قَدْ دِنَّا». أيْ اتَّخَذْناهُ ديناً نتمسَّكُ بهِ ظاهِراً وباطِناً. وعلى هذا يدور فلك قُطْب التّصَوف، بحَيْثُ لا يَبْقَى في الْقَلْبِ رِيبَة وَلاَ تَهْمَة في ظهور الحقّ وانفرادِهِ بالوجودِ، لأَنَّهُمْ بَلَغُوا رُتْبَة الْعِيانِ وارْتَفَعُوا عن مقامِ غَيْب الايمان. وكذلك الأمور الغيبية[1] الموعود بها صارت عِنْدَهُمْ كَأَنَّها حاضرة لَدَيْهِمْ، حَتَّى صارُوا بِحَيْث لو كُشف الغِطاء عَنْهَا وظهرتْ ما ازدادوا يقيناً، كما قال سيّدنا «عليّ» كرّم الله وَجْهَهُ. وكما قال «حارثة» في قضيته المشهورة حين سُئِلَ عَن حقيقة إيمانه. وكذلك «مُعاذ بن جبَل» رضي الله عَنْهُمْ. ثم التفَتَ إلى ما قدَّمناه من مُشاهدة نَفْي الكون[2] مع وجود رفضِه ورأى ذلك كالتناقض فقال :

وَلَـكِنَّـهُ كَيْفَ السَّبِيلُ لِرَفْضِهِ　　　وَرافِضُهُ المَرْفوضُ نَحْنُ وَما كُنَّا

قلت : رافِضهُ مُبْتدأ، والمرفوض خَبَرٌ. وَنَحن خَبَرٌ عن مُضْمر يعود على الرَّافِض، وهو : وَنَحْنُ وما كُنَّا حالٌ. يقول رضي الله عنه : قد قدَّمْنا أَنَّ رَفْضَ السّوَى فَرْضٌ عَلَيْنا ولكنَّهُ إشكال، وهو أنْ نقول : كَيْفَ الطريق إلى رَفْضِهِ. والرافض هو المرفوض، والمرفوض عينُ الرافض لأنَّ الجميع سِوَى. وهو مصدرٌ محضر فالرافض هو نحنُ. وما كُنَّا شيئاً. بل عَدَماً محضاً لا كنَّا من جملة السّوَى فتحصَّل أنَّ الحقّ تعالى هو الَّذي فَعَلَ جميع ذلك حتَّى عَرَفَ نَفْسَهُ وأَزالَ المَوانِعَ عَنْ ذاتِهِ بذاتِهِ. وَيُجاب بأنَّ الحقّ جل جَلالُه، لَمَّا تجَلَّى باسْمِهِ الظَّاهِرِ من عالَمِ الْغَيْبِ إلَى عالَمِ الشَّهادَةِ، تَجَلَّى أيْضاً باسْمه الباطِنِ، فبطن في ظهوره واختفى في حال تجلّيهِ، وذلكَ بِمَا أَسْدَلَ عَلَى وَجْهِهِ مِن رِداءِ كِبْرِيائِهِ، وهي رِداء الحُسْن. ويُسمَّى هذا الرداء عالم الحِكْمَة وعالم

(1) في خ : ناقصة.
(2) في خ : المُكَوَّنِ.

الأشباح وعالَمَ الفَرْق، وإنما تَرَدَّى بِذَلِكَ الرداء[1] لِيَبْقَى الكَنْزُ مَدْفوناً والسرُّ مصوناً. فَسُبحانَ المُدَبِّرُ الحكِيم العليم[2].

فَلَمَّا بَرَزَتْ الروح مِنْ عالَمِ اللَّطافَةِ والصّفاء إلى العالم الحِسّي، انْسَدلَ عليها الحجاب مِن جُمْلَة مَن انسدل عليهم، فما فَتَحَتْ عينيها الحسية[3] إلاَّ في هذا العالم الحِسِّي، فعشقته ومالَتْ إليه وتاهَتْ في فروقِهِ[4] وَنَسيَتْ أصْلها وجَهلتْ رَبَّها فَبَعَث الله تعالى مَنْ يُعالجها من الأنبياء والرُّسلِ وخُلفائِهم من الأولياء الفحول، فأَمَروها بالأدب مَعَ الربوبية في الظّاهِرِ. فَعَلَّموها ثمَّ أَمَروها بالأدَبِ في الباطِنِ مَعَهُ، وهو تَرْكُ الحظوظ واللحوظ ورفضُ كُلِّ ما يشغل عن الله، وَهُوَ المُعَبِّر عنه بالسّوي. فإذا فَعَلَتْ ذَلِكَ رَجَعَتْ إلى أصْلِها، وشاهدت أسْرار رَبِّهَا، وَتَنَزَّهَتْ في جَمالِ ذاتِهِ حين ارْتَفعَ عَنْها رِداء الْحِسّ. فَظَهَرَ حينئذٍ بِهذا الاعتبار الرافض والمرفوض، وانحلِ الإشكال الذي توهموه. وأما لو تركنا هذا الاعتبار لبطلتِ الأحكام والحِكْمَة، وهذا كفْر وزندقة.

فالواجبُ على العارِفِ أَنْ تكون لَهُ عَيْنان : عَيْن تَنْظُر لعالَمِ الْجَمْع، وهو مَقام الفناء فَلا يَرَى إلاَّ الحقّ متجلّيا باسْمه الظّاهر، وهذا هو الحق في عيْن الحقيقة. وَعَيْنٌ تنظر لعالم الفرق وهو نتيجة سعيه الباطن فيثبت الفرق في عين الجمع والشريعة في عين الحقيقة[5]، فيُثبت الحِكْمة والأحكام ويُسَمَّى هذا المقام مقام البقاء. فيكون كاملاً مجموعاً في فَرْقِهِ مفروقاً في جَمْعِهِ، يُعْطي كل ذي حق حقّهُ ويُوَفِّى كلّ ذِي قسطٍ قِسْطَهُ. وبهذا الاعتبار عَنَى الشاعِرُ شاكياً. لِما أُشْكِل عليه مِن ذلك فقال :

---

(1) في خ : «الرداء» ناقصة.

(2) ويمكن أن نلخص معنى البيت (6) من النونية في أنه : يوضح الإشكال الذي يضعه البيت السابق وهو أن : «رفض السوى فرض علينا» إذ كيف يرفض السوى من هو في ذاته سوى، وكل سوى عدم محض، فالرافض هو المرفوض نفسه.

(3) في خ : ناقصة.

(4) في ر : فروقته.

(5) في خ : الفقرة من «وعين تنظر...» إلى «... في عين الحقيقة» ناقصة.

الْـعَـبْـدُ حـقّ والـرَّبُّ حـقّ يـا لَـيْـتَ شِـعْـرِي مَـن الْمُكَلَّفُ
إنْ قـيـل عَـبْـدٌ فـالْـعَـبْـدُ مَـيِّـتٌ أوْ قـيـلَ رَبٌّ أَنَّـى يُـكَـلَّـف

فأجاب شيخ شيوخنا سيدي **عبد الرحمٰن الفاسي** فقال :

نَـعَـمْ بِـحَـقٍّ إثْـبـاتِ عَـبْـد بِـنَـعت فَـرْقٍ بِـهِ يُـكَـلَّـفُ
والْـعَـبْـدُ مَـيِّـتٌ بـكُـلِّ حـالِ لِـسِـرِّ عَـوْنٍ بِـهِ مُـكَـلَّـفُ

فالْعَبْدُ في الحقيقةِ لا وجودَ لَهُ من ذاتِهِ أصْلاً، لَكِنْ لَمَّا تَجلَّى سُبْحانَهُ بِمَظْهَرِ الرُّبوبية في قوالب الْعُبودِية، سُمِّيَ ذلك المَظْهَر باعتبار القالب عبْداً، وهو محذوف باعتبار الْمَظْهَرِ. فإنْ نظرْت إلى مطلق التّجلِّي رأيْت عظمَةً قديمة أزلية ولا عَبْد. وإنْ نظرتَ إلى تطوير ذَلِكَ التجلّي في شكل[1] الْعَبْد وصورَتِهِ، رَأَيْتَ عبداً فقيراً، وإلَى ذلك أشار في الحِكم بقولِه :

«سُبْحانَ مَنْ سَتَرَ سِرَّ الخصوصية. بظهور البَشَرية، وَظَهَرَ بِعَظَمة الرّبوبية في إظهار العُبودِيَّة»[2] وأمَّا قول الشَّاعر :

أَرَبٌّ وَعَـبْـدٌ وَنَـفْـيُ ضِـدِ قُـلْـتُ لَـهُ لَـيْـسَ ذَاكَ عِـنْـدِي
فَـقَـال مـا عِـنْـدَكُـمْ فَـقُـلْـنـا وجـودُ فَـقْـدٍ وَفَـقْـدُ وُجْـدِ
تـوحـيـدُ بـحـقّ تَـرْكِ[3] حَقٌّ ولـيْـسَ حَق[4] سِواي وَحْدِي

فإنَّما أَنْكَرَ وجود العبْد مُستقلاً مفروقا[5] كما هو اعتقاد عامَّة أهْلِ الدَّليل والبُرْهان من أصحابِ اليقينِ[6]، وهُوَ مُحالٌ عندَ العارفِينَ الْمُقَرَّبينَ. وإنَّما أطَلْتُ الكَلاَمَ هُنَا لأنَّ هَذِهِ المَسْأَلَة خَفِيَتْ عَنْ كَثيرٍ مِمَّنْ ينتسِبُ للوجدان والعِرْفان، فضلاً عن غَيْرِهِم، وبالله التوفيق.

---

(1) في خ : بشكل.
(2) أنظر شرح الحكم، جـ 1 ص 86.
(3) في خ : حق يترك.
(4) في خ : من.
(5) في ر : مصروفاً.
(6) في خ : اليمين.

ثُمَّ نَهَى المريد عن نسبْة الفعل إلى نفسه مَعَ كَوْنِهِ لا وجودَ له مع ربِّهِ بناءً على ما تَقَدَّمَ لَهُ. فقال :

فَيـا قـائِـلاً بـالـوَصْـلِ وَالْـوَقْـفَـةِ الَّـتِـي
حُجِبَتْ بِهَا ارْجِعْ وارْعَوِي[1] مِثْلَ ما أُبْنا

قلت ارعوي[2] أمْرٌ مِنِ ارْعَوَى، بِمَعْنَى انزَجَرَ. ومنه قول الشاعِر :

أَلاَ ارْعَـوْا لِمَنْ وَلَّـتْ شـيـبَـتُـهُ[3]   وَأَذِنَـتْ بِـمَـشـيـب بـعـده هَـرَمٌ

وإثْبات الياء في الأمْرِ للوَزْنِ، ومثل صفة لـمَصْدَرٍ محذوفٍ «وَمَا» مَصْدَرية «وأُبْنا»[4] بضَمِّ الْهَمْزِ من آب، أي رجعَ كقلنا من قال، أي انزَجِرْ وارْجِعْ عن ذلِك رجوعاً مثل رجوعِنَا.

يقول رضي اللَّهُ عَنْهُ مُنكراً علَى من يدَّعِي الوصول إلى الله بنفْسِهِ، أيْ بحولِهِ وَقُوَّتِهِ أوْ بمجاهَدتهِ وَرِياضته، وَعَلَى مَنْ يشتكي الْوَقفَة من نَفْسِهِ، إذ كِلاهُما عِلَّةٌ في الطَّرِيقِ وشِرْكٌ كادَ أن يكون جَلياً عند أهْلِ التحقيق. فقال : يا قائلاً بالوصول إلى الله بِنَفْسِهِ وبمجاهدتِهِ، وياقائِلا بالوَقْفَةِ والفترة عن السَّيْر التي حُجِبْتَ بِها عن الوصول، اسْمَع ما أقول لك في نصيحَتِي وارْعَوِ، أي انزَجِرْ عن هذه المقالة وارْجِع إلى الله بالتوبة والاستغفارِ، رجوعا مثل رجوعنَا. فقد كنّا في هذا المحلّ ثم تُبْنا وَرَجَعْنا إلى الله عَنْهُ، فإنَّ ادِّعاء الوصول إلى اللَّهِ مَعَ وجودِ النَّفس، دَعْوَى وكذب، واعتقاد الوصول بالعملِ علة وشِرْكٌ. فيجب على العَبْد التَّوْبَة مِنْ جميع ذلِكَ، فالواجب حينئذٍ الدّخول على الله من باب الكَرَم لا من باب العَمَل. فَمَنْ دَخَلَ من باب الكَرَمِ وَجَدَ البابَ مَفتوحاً، [وَمَنْ دَخَلَ من بابِ العملِ وجَدَ الْباب مَغْلوقاً][5]. وفي

(1) في الديوان : وَارْعَوِ، ص 72.
(2) في خ : ارعَوْ
(3) في خ : شيئه.
(4) في ر : أبناء.
(5) في ر : الجمْلة ما بين معقوفتين ناقصة.

الحِكَم : «لَوْ كُنْتَ لا تَصِلُ إلَى اللهِ إلاَّ بعد فَناءِ مَساوِئِكَ لن تَصِلَ إليه أبَداً، ولكن إذا أراد أنْ يوصِلَكَ إلَيْهِ غَطَّى وصْفَكَ بِوَصْفِهِ ونَعْتَكَ بِنَعْتِهِ، فوصلك إليه بِمَا مِنْهُ إلَيْكَ لا بِمَا مِنْكَ إلَيْهِ»[1].

وَكَذَلِكَ القائِلُ بالوَقفة وهي الفَتْرَةَ التي تَعْتَرِي المريد في السَّيْرِ، بحيْث تَبْرُد قريحتُهُ وتَنْحَلُّ عَزِيمَتُهُ، أنْ[2] لاَ يُظهِرَها إلاَّ لشيْخِهِ، وَلا يَشْتَكِي بِهَا لِغَيْرِهِ، إذ كُلّ ذَلِكَ امتحان من اللّهِ لعَبْدِهِ. فالواجب عليه أن يثبت[3] في الطَّريقِ وَيُلازِم صُحْبَة أهْلِ القوَّةِ والتحقيق، حتى يَمُنّ الكريمُ الوهَّابُ عليه بالقوةِ. فيلتحق بين الأقوياءِ من ذَوِي التحقيق.

وقال بَعْضُهُمْ : الفَرْقُ بَيْن الوقفَة والفترة أنَّ الوقْفَة تردّد في صحَّةِ الطَّريق وشك، والفَتْرَة ضَعْف القريحة، والعزم[4] مَعَ الجَزْم بِصحَّةِ الطَّريق. فالوقفَة أقْبَحُ من الفَتْرَة، فإذا جَزَمَ بِعَدَمِ صحَّةِ الطريق فهو رجوع والعياذُ باللهِ.

وحاصل كلاَم الناظم هو التحقق بالفناءِ عن النفس والغَيْبَة عَنْها بالكلية، بحيث لا يُنْسَب إليها وصل ولا فصل ولا وقوف ولا قوة ولا ضعف، إذ الكلُّ مِنَ اللهِ تعالى ولذلك قال «**محيي الدّين بن عربي**»[5] رضي اللهُ عَنْهُ :

«مَنْ شَاهِدَ أَنَّ الْخَلْقَ لا فِعْل لَهُمْ فَقَدْ جازَ، ومن شَاهِدهُم لا حياةَ لَهُمْ فَقَدْ فازَ، ومن شَاهِدَهُمْ بِعَيْنِ الْعَدَم فَقَدْ وَصَلَ». وَأَنْشَدُوا في ذَلِكَ :

---

(1) الحكم : وأنظر شرح الحكم ج 1 ص 31-32 قوله : «أخرج من أوصاف بشريتك عن كل وصف مناقض لعبوديتك، لتكون لنداء الحق مجيباً ومن حَضْرَتِه قريباً».

(2) في خ : ولا. و«ر» : فلا

(3) في «خ» : فليثبت

(4) في ر : الحزم.

(5) محي الدين بن عربي : هو أبو بكر محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الطائي ابن العربي الحاتمي، أطلق عليه أتباعه «الشيخ الأكبر» وكان يعرفُ في الأندلس باسم «ابن سراقة» أما في المشرق فكان يعرف بابن عربي من غير أداة التعريف تمييزاً له عن القاضي «أبي بكر بن العربي المتكلم والفقيه. ولد سنة 560هـ/1165م بمرسية وتوفي بدمشق سنة 638هـ/1240م.

مَـنْ أَبْـصَـرَ الخَلْقَ كَـالسَّـرابِ	فَـقَـدْ تَـرَقَّـى عَـنِ الْـحِـجابِ
إِلَـــى وجـــودٍ يــراهُ رَتْــقـاً	بِــلا ابْـتِـعـادٍ وَلا اقْـتِـرابِ
وَلَـــمْ يُـــشـاهِــدْ بِــهِ سِــواهُ	هُـنـاكَ يُـهْـدَى إِلَى الصَّـوابِ
بِــلا خِــطـابٌ مِــنْــهُ إِلَــيْــهِ	وَلاَ مُــشِــيرٌ إِلَــى الخِطـابِ

فَقَوْلُهُ : بلاَ خِطابٌ مِنْهُ إليه، يشير إلى قَوْلِهِمْ : مَن عَرَفَ اللَّه كَلَّ لسانُهُ، فالضَّمِير في منْهُ يعود على مَنْ أَبْصَرَ، والله تعالى أَعْلَمُ.

ثـم بيَّنَ أصْلَ العِلَلِ فقَالَ :

تَـقَـيَّـدْتَ بـالأَوْهـامِ لَـمَّا تَـداخَـلَـتْ	عَلَيْكَ وَنورُ الْعَقْلِ أَوْرَثَكَ السِّجْنا

يقول رضي الله عَنْهُ لِمَنْ وَقَفَ مَع الاِسْتِدْلاَلِ، وَقَنَعَ بِمَقامِ الإيمانِ لَمَّا تَداخَلَتْ عليه الأوهامُ والشكوك والخواطِر : تقَيَّدتَ بِها وحُجِبْتَ عن مَقامِ العيان[1]. وَالْمُرادُ بالأَوْهامِ : وَهْمُ وجودِ الكَوْنِ واسْتِقلاله وشفعية الآثار[2]، إذ من وقف مع ظلمة الكون[3] وَلَمْ يَشْهَد الحقّ معه أو عنده ولا قبله[4] أو بَعْدَهُ، فقد أعوزه وجود الأنوارِ وحُجِبَتْ عنه شموس المعارف بالوقوف مع سحب الآثار وَوَهْم تخلّف الرّزق مع أنه مضمون. فاشتغَل بتحْصيل أسْبابِهِ وجمعه باجتهاده واحْتِكارِهِ، فأعوزته أنْوارُ التَّوَكُّلِ، وتظلَّمَ باطِنُهُ بهَمِّ الرِّزْقِ وخَوْفِ الفقر وَوَهْمِ ضَرَرِ الخَلْقِ أو نَفْعِهِم، فاشتغل باطِنُهُ بتحصيل أَغْراضِهِمْ وتظلَّمَ بِالْخَوْفِ مِنْهُمْ.

فهذه [هيَ][5] الأَوْهامُ التي تداخَلَتْ قلوبَ أَهْلِ الحِجابِ، فبقوا من وراءِ البابِ. وَتَداخُلُ [الأَوْهامِ] هُوَ تراكمها وَتَرادُفُها على القلب حتَّى انْحَصَرَتْ فِكرَتُهُ فيها، وتقيَّدَ قَلْبُهُ مَعَها. والوقوف أيضاً مع نور الْعَقْلِ يورِثُ السِّجْنَ،

---

(1) خ : الإيمان.
(2) في خ : ومشاهدة الأثر.
(3) في ر : وحِسِّهِ. و «خ» حسه.
(4) في خ : «معه ولا» ناقصة.
(5) في «ر» و«ك» : «هي» ناقصة.

وهو البقاءُ مَعَ دائِرَةِ الأكوانِ، لأنَّ غاية ما يدرك العقل : أنَّ الصَّنْعَة تحتاج إِلَى صانِع، وَلاَ يَنْفذ نورُهُ إلى ما وراء حس الكائنات بحيث يفضي إِلَى أَسْرارِ المَعاني وشهودِ الْمُكَوِّنِ، لأنَّ ذَلِكَ مِن مَدارِكِ الرُّوحِ والسِّرِّ. فإذا صفت الرّوحُ وغلب عليها ذكر الله، فُتِحَتْ لهَا مَيادِين الْغيوبِ وَخرَجَتْ فِكْرَتُها عن دائِرَةِ الأكْوانِ إلى فَضاءِ شهود المُكَوِّنِ. وإلى ما ذكره النَّاظِم، أشارَ في الحِكَمِ بِقَوْلِهِ : «الكائِن في الكَوْنِ و لم يُفتح له ميادين الْغُيوب، مَسْجونٌ بمُحيطاتِهِ، مَحْصورٌ في هَيْكَلِ ذاتِهِ»[1]. وهَـذا الأمْـرُ لا يَـفْـهـمـه إلا أَهْلِ الأذواق وإلاَّ فحسبك الإيمان بالله والتصديقِ بوجوهِ عِنْدَ أرْبابِهِ وذلك ولاية. وقد تُحْجَبُ القلوبُ بالأنْوارِ، كما تحجَب بالأغْيار. وإلى ذَلِكَ أشارَ الناظِمُ[2] بقَوْلِهِ :

وَهِمْـتُ بـالأنوارِ فَهِمْنَـا أُصولَهَـا ... وَمَـنْـبَـعَـهَـا مِنْ أَيْنَ كانَ فَمَا هِمْنَا

وَقَدْ تَحْجُبُ الأنْوارُ لِلْعَبْدِ مِثْلَ مَا ... تَقَيَّدَ مِنْ إظْلام نَفْسٍ حَوَتْ ضِغْنَا

يقول رضي الله عنه : وَهِمْتَ أَيُّها الْعَبْدُ المَحْجوبُ عَنِ الله، أي تِهْتَ وَتَلفْتَ عَنِ السَّيْرِ إلى حضْرَةِ الحق وشُهودِهِ بأَنْوارِ قد فَهِمْنا نَحْنُ أصولَهَا، ومن أين تَفَرَّعَتْ وَمَنْبَعَها ومن أين نَبَعَتْ وَظَهَرَتْ [ومن أين] كانَتْ. «فَمَا هِمْنَا»، أيْ فَما تِهْنا عَنْ طَرِيقِ الحَقّ بالوقوف مَعَها والرُّكونِ إلَيْها. وَذَلِكَ كَأَنْوارِ حَلاوَةِ الطَّاعاتِ وَلَذَّةِ المُناجاةِ، وَظُهورِ الكراماتِ والتنزّه في المقاماتِ وهذا شأن العباد والزُّهادِ والصّالحين. من وقوفهم مع ما ذكر، واعتمادهم عليه، ورؤيتهم ذلك[3] غايَة الوصولِ وهم أشَدّ الناس حجاباً عَنِ الله تعالى. ولا يخرجهم من ذلِكَ إلاَّ صُحْبَة شيخ كامل مع انقياده له شامل. وكتحقيق المَسائِلِ وتحرير النوازل، والتَّفَنُّن في أنواع العلوم. وهذه أيضا حجب كبيرة وعِلَلٌ خطيرة لأن أصحابها يرون أنَّهُمْ حازُوا قَصَبَ السَّبْقِ بذلك في الكمالاتِ وهم بالنسبة إلى الفحول من الرِّجال في بداية البدايات، ولا يخرجهم من ذلِكَ إلاَّ حطُّ رؤوسِهم للعارفين مشايخ التّرْبية. وكتحقيق

(1) أنظر شرح الحكم ج 2، ص 191.
(2) في خ : «الناظم» ناقصة.
(3) في : خ : فقد وقفوا معها واعتمدوا عليها ورأوا...

الأدلَّة العقلية والنقلية في معرفة الحقّ من طريق الاستدلال، وهُوَ من أعظم الحجب وأفظعها[1] لعلماء الكلام[2] وقِسْ على هذا سائر العلوم والأحوال والواردات. فَمَنْ وقف معَ شَيْءٍ من هذه الأنوار ولَمْ تنفُذْ بصيرته إلى شهود ذات الحقّ سبحانه، فهو محجوب عن رؤية النور الأصْلِي يقول رضي الله عنه : فنحن قد فَهِمْنا هذه الأنوار، وَعَلِمْنا أصْلها ومنبَعَها فَرَحَلْنَا عَنْها وما هِمْنا بالوقوف مَعَها وتهنا، بل تجاوزناها وعبرناها.

---

(1) في خ : الحجاب.

(2) نقد المتكلمين والعقل الكلامي والمنهج الكلامي في البحث عن الحقيقة ومعرفتها عن طريق الاستدلال، كان من أهم المهام الفكرية لدى المتصوفة خاصة المتأخرين منهم بالغرب الإسلامي، رغم أن منهم من جعل من الكلام مدخلاً للتصوف. وذلك لاعتداد المتكلمين، وخاصة منهم المعتزلة، بالعقل وإعطائه الأولوية والأسبقية في فهم العقيدة وشرحها، أسبقية على النص الديني، وأولويته على الوجدان الباطني والكشف الرباني.

ومن أهم من انتقد الاستدلال الكلامي في المعرفة الإلهية نجد :

ـ ابن عربي الحاتمي : (560هـ ـ 632م) الذي يرى أن علم الكلام جَدلي نتائجه ضنية في مقابل علم الأذواق الذي يتصف باليقين، وكلما كان الناس بعيدين عن هذا العلم ومجادلاته كلما كانت لطيفتهم قابلة لتلقي التجلي الإلهي وفي هذا يقول : «ثم نرجع إلى السبب الذي لأجله منعنا المتأهب لتجلي الحق إلى قلبه من النظر في صحّة العقائد من جهة علم الكلام... فالعامة بحمد الله سليمة عقائدهم... ما لم يطالعوا شيئا من علم الكلام... [أما] أهل النظر والتأويل... فإما مصيب أو مخطئ بالنظر إلى ما يناقص الظاهر ما جاء به الشرع». الفتوحات ج 1 ص 34).

ـ ابن سبعين الغافقي : (614هـ ـ 668م) الذي وجه انتقادات ذريعة للمذهب الكلامي خاصة منه الأشعري. والذي جعله يحمل على الأشاعرة كما يرى هو : ادعاؤهم أنهم هم الحماة الحقيقيون للشريعة الشارحون لها والمدافعون عنها، بينما الشريعة في نظره واضحة راسخة في المعمور : «إن الحق أظهر وأجل وأقهر وأعلى وشاهد لنفسه ومنصور على خصمه ومعظم بذاته». (كتاب بُدُّ العارف : ص 111).

ومن ثمة فهو يحكم على منهج المتكلمين (الأشاعرة) بأنه : «غير صحيح وعلى غير الوجه الصناعي» (بُدُّ العارف، ص 99).

وبأن : «علم الأشعرية فاسد الأصل قبيح الفرع لا نتيجة له من حيث هو علم» (بُدُّ العارف، ص 101).

ـ أبو الحسن الششتري (610هـ ـ 668م) : الذي يوجه انتقادات شديدة لمفكري الإسلام من فلاسفة ومتكلمين وفقهاء الذين اعتمدوا العقل بالأساس من أجل معرفة الحقيقة المطلقة، لأن علمهم القائم على العقل حجاب لهم لأن الله وراء تلك العلوم. لأن معرفة الحق ليست من اختصاص العقل لأن الحق مطلق والعقل محدود : «يعجز العقل في تركيبه ويقف في تحليله» (الششتري، المقاليد الوجودية).

وفي بعض الإشارات عن الله عز وجل : «عَبْدِي لا تَرْكَنَنَّ إلى شَيْءٍ دونَنا، فإنَّكَ إنْ رَكَنْتَ إلَى الْعِلْمِ جَهَّلْناكَ فيهِ، وإنْ رَكَنْتَ إلى عمل رَدَدْناهُ علَيْكَ، وإنْ رَكَنْتَ إلى حالٍ وقفْناكَ مَعَهُ، وإنْ رَكَنْتَ إلى مَعْرِفَةٍ نَكَّرْناها عَلَيْكَ فَأي حيلة لك ؟ فكن لنا عَبْداً حتَّى نكونَ لَكَ رَبًّا»[1] أو كما قال تعالى.

وقال في الحِكَمِ : «لا تطْلُبْ بَقاء الواردات بَعْدَ أنْ بَسَطت أنْوارَهَا، وأَوْدَعْت أَسْرارَهَا، فَلَكَ في الله غِنىً عَنْ كُلِّ شيءٍ، ولَيْس يُغْنيكَ عنه شيءٌ»[2].

ومن هذا المعنى أيضا. قَوْلُ الشيخ مَوْلانا[3] **«عبد السلام بن مشيش»** رضي الله عنه في شأن مقام الرضَى والتسليم لتلميذه «أبي الحسن» : «أخاف أن تشغلني حلاوتهما عن الله عز وجل»[4]. وحاصل هذا كلّه : من لَمْ يَتَّصِلْ بشيخ التربية ويعطيه الانقياد من نفسه الانقياد الكلي لاَ يطمع في الرَّحيل عن هذه الأمور أبَداً، ولو عمل ما عمل.

وقولُه : «وقد تُحْجَبُ الأنوار» الخ، هو تقريرٌ لما قَبْلَهُ. والمراد بالأنْوارِ ما تقدَّمَ مِنْ حَلاوَةِ الطاعات وتحقيق المقامات، وتتابع الأحوال والسكَرات، وفيْض العلوم الرَّسْمِيَّاتِ واللَّدُنيات. إذكل هذه الأنوار تحجب العبد إذا استحْلاها وَوَقَفَ مَعَها، وتُسَمَّى أَنْوارَ التوجُّه.

قال في الحِكَم : «اهْتَدَى الرَّاحلون إليه بأَنْوارِ التوجّه، والواصلون لهم أنوارُ المُواجهة، فالأوَّلون للأنوار وهؤلاء الأنوار لَهُمْ، لأنهم لله لا لشيْءٍ دونَه»[5] : ﴿**قُلْ اللهُ ثمَّ ذَرْهُمْ في خَوْضِهِمْ يَلْعَبونَ**﴾[6].

---

(1) والنص كما ورد في تفسير ابن عجيبة يخالف بعضه النص الذي بين أيدينا. أنظر التفسير الكبير لابن عجيبة في قوله تعالى : الآية 97 من سورة طه.

(2) أنظر شرح الحكم ج 2 ص 101.

(3) في ر : «مولانا» ناقصة.

(4) في «خ» و«ر» : عز وجل ناقصة.

(5) أنظر شرح الحكم ج 1 ص 30. وفي الحكم : التوجه.

(6) الأنعام : 91.

وأنوار المواجهة هي أنوار الشهود، لأنها تواجه الْعَبْد فيغرق فيها وتستولي عليه فيَغِيبُ عن رُؤْية الأغيار، التي هي كل ما سِوَى الله.

وقوله : «مثل ما تقيَّد من إظلام نَفْس حَوَتْ ضِغْنَا». أيْ قد تحجب الأنوار العبد وتقيّده عن النهوض إلى الله تعالى[1]، مثل ما تحجبه وتقيده[2] من أجْل ظلام[3]، نفسٍ، غَشي القَلْب بظلمة الْهَوَى والحظوظ حين حَوَتْ ضِغْناً، أي خُبْثاً في الباطن، وهي سائِر الأدواء والأمراض : مِنَ الحسد والكِبْر والحقد وغيرها مما هو مُقَرَّرٌ في مَحَلِّه. وَحَوَى الشيءَ : ضَمَّهُ وصار في حَوْزِهِ. ثم نَهَى عَنْ دَعْوَى الاتصال والوِصالِ والأمْن مِنَ السَّلْبِ والانفصال فَقَال :

وَأَيُّ وِصالٍ في القضية[4] يُدْعَى وَأَكْمَلُ مَنْ في الناسِ لَمْ يَدَّعِ الأمْنا

يقول رضي الله عَنْهُ : قَدْ تَكَلَّمَ النَّاسُ في قضية الوصال والاتّصال، فمن ادعى أنه بلغ من ذلك النهاية فهو في ذلك تائه[5] ومخطيء غاية. كيف يَدَّعي عبد الوصول في الولاية والنِّهاية [في الْعِلْم] وقد قال تعالى لسيِّدِ العارفين : ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾[6]. فَلَوْ عاشَ الْعَبْدُ المجتبى عُمرَ الدُّنيا والآخرة يترَقَّى في العلوم والمعارف ما بَلَغَ معشار عُشرها. إذ ليست هناك غاية ينتهي إليها : ﴿**قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد...**﴾ الآية[7]. وكذا من ادَّعَى التمكينَ في الوصول إلى الحقّ والأمن من الرجوع[8] إلى الخلق، فهو في مهامه نفسه وتيه جهله مستهلك ومستغرق. كيف يَدّعِي في المسألة الاتصال والوصول والأمن من السَّلْبِ والحصول. والحال أن أَكْمل مَنْ في النّاس وهُو سيّد الوجود لَمْ

(1) في خ : «تعالى» ناقصة.

(2) في خ : تقييده.

(3) في خ : ظلم.

(4) في الديوان : في القضية. أنظر البيت (11). أما في «خ» و«ر» : الحقيقة.

(5) في «ر» و«خ» : وادعى كل واحد أنه بلغ في ذلك الغاية النهاية وهو في ذلك تآلف مخطيء.

(6) طه : 114.

(7) الكهف : 109.

(8) في «خ» و«ر» : من الرجوع إلى ومستغرق، ناقصة.

يَدّ ع الأمْنَ ؟! حتّى قال : ﴿وَمَا أَدْرِي ما يُفْعَلُ بي وَلا بِكُمْ﴾[1]. وهذا منه ﷺ مَعَ اتّساع في العِلْم والمَعْرِفة، لأنّ صاحب الاتِساع لا يقِفُ مَعَ وَعْدٍ ولا وعِيد. إنما ينظر ما سيبرز[2] من عُنصُر القدرة في كل لَحْظَةَ [لغيْب المشيئة][3].

ولذلك كان كل عارف لا يزول اضطرارُه، وَلا يكون مَعَ غَيْرِ الله قرارهُ، واعْتَبِرْ ذلك في الأنبياء عليهم الصلاة والسلامُ. كقول الخليل عليه الصلاة والسلامُ : ﴿وَلاَ أخافُ ما تُشْرِكونَ بِهِ إلاّ أنْ يَشآءَ رَبّي شَيْئاً﴾[4]. فاسْتَثْنَى مع جَزْمِهِ بِعَدَمِ خَوْفِهِ من أَصْنامِهِم، ثم بيَّنَ وَجْهَ الاسْتِثْناءِ فَقال : ﴿وَسِعَ رَبّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْما﴾[5]. وكذلك سيّدنا «شُعَيْب» عليه الصلاة والسلام حيث قال : ﴿وَما يَكونُ لَنا أن نّعودَ فيهَا إلاّ أن يشاءَ اللّهُ رَبُّنا وَسِعَ رَبُّنا كُلَّ شَيْءٍ عِلْما﴾[6]. وكذلك اعتبر بقضية نبينا ﷺ مع «الصديق» يَوْمَ بَدْرٍ، حيث باتَ ﷺ يتَضَرَّعُ وَيَدْعُو مَعَ وَعْدِ اللّهِ له بالنَّصْرِ حتَّى قال له «الصّديق»[7] : «أَمْسِكْ يا رَسولَ اللّهِ فإنَّ

---

(1) الأحقاف : 9.

(2) في ك : جاءت الجملة كما يلي «لأن الأمر في نفسه وحقيقته اقتضى ذلك الاتساع وعدم الوقوف مع وَعْدٍ ووعيد، فهو إنما ينظر إلى ما يبرز..

(3) المشيئة : في اللغة الإرادة، وقد ورد ذلك في قوله تعالى : ﴿لو أراد الله أن يتخذ ولداً لاصطفى مما يخلق ما يشاء﴾ (39 : 4).
وقد تتداخل «المشيئة مع غيرها من المفاهيم مما يجعل قابلية تميزها عن غيرها صعباً، فهي تتداخل مع «الإرادة» و«الأمر» و«العلم» وغيرها.
ـ ارتباط المشيئة مع الإرادة يكون خاصة في التكوين، وما الوجود بأمره إلا مظهر لهما ومجلى.
ـ ارتباط المشيئة بالأمر : يكون فيه أمر المشيئة إنما يتوجه على إيجاد عين الفعل، لا على من ظهر على يديه فيستحيل ألا يكون.
ـ ارتباط المشيئة والعلم : إن المشيئة في شمولها للوجود تغاير الإرادة وتلامس بذلك العلم الإلهي، لأن العلم الإلهي يشمل كل الموجودات، ويبسط سلطته على كل الممكنات ما ظهر منها وما لم يظهر شأنه في ذلك شأن المشيئة. (حول المشيئة وتداخلاتها أنظر : الفتوحات المكية، ج 3، ص 397، وص 356، والفصوص ج 1 ص 165، ص 82 - 83.

(4)، (5) الأنعام : 80.

(6) الأعراف : 80.

(7) في ر : نقص من : «يوم بدر...» إلى : «حتى قال الصديق».

اللَّهَ مُنْجِزٌ لَكَ ما وَعَدَكَ به»[1]. فَوَقَفَ الصِّدِيق يوْمَ ظاهِرِ الوَعْدِ ونفذ عليه الصلاة والسّلام إلى باطن العلم وغَيْبِ المشيئةِ لاتّساعِ عِلْمِهِ باللَّهِ، فلم يزل اضطراره لشهوده – القبضتين الوعد والوعيد، ولم يكن مع غير الله قرارهُ لرجوعه إلى الله مولاه في الحالتين، أعني الوعد والوعيد، لأنه غرق في بحار التجريد والتفريد، ليس له عن نفسه اخبار ولا له مع غير الله قرار[2].

والحاصل أنه عليه الصلاة والسّلام مَأمون[3] في الدُّنْيا والآخِرَة، بِوَعْدِ اللَّهِ له بِذَلِكَ حَيْثُ قال له : ﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْراً عَزِيزاً﴾[4]. هَذا باعْتِبار الدّنْيَا وقد بُلِغَهُ. وقال [تعالى] : ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾[5]. وهذا باعْتِبارِ الآخِرَةِ وسيبلغه إياهُ، فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله، فلهذا السر العظيم والخطر الجسيم أَظْهَرَ العُبودِية وَلَمْ يَقِفْ مَعَ شَيْءٍ ﷺ. وكذلك خُلَفاؤه من الأولياء لا يقفون مَعَ وَعْدٍ وَلاَ وَعِيدٍ. ولنفوذ بصيرتهم إلى باطن العلم وغيبة المشيئَةِ، وشرف وعظم، لفنائهم عن وجوده وانطوائهم في شهوده جل شأنه.

وفي بَعْضِ الأَخْبار يقول اللَّهُ تَعالَى :

«عَبْدِي لا تَأْمَنْ مَكْرِي وَإِنْ أَمَّنْتُكَ فإنَّ عِلْمِي لا يحيط به مُحيطٌ»[6]. هذا وقد يَبْلُغونَ مِنَ التمكين مع الحقّ تعالى مقاماً يَتَرَجَّحُ مَعَهُ الأمْنُ، لِقَوْلِهِ عز من قائل : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَنَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمْ الأَمْنُ وَهُمْ

---

(1) كتاب النهاية في غريب الحديث لابن الأثير، باب ك، د.

(2) في «خ» و«ر» : الفقرة من : «لا لشهوده... إلى قرار» ناقصة.

(3) في ر : مأمور وفي خ : مومون : هو تحريف من طرف الناسخ.

(4) الفتح : 3.

(5) الضحى : 5.

(6) وذلك مصداقاً لقوله تعالى : ﴿فلا يأمنُ مَكْرَ اللَّهِ إلاَّ القوم الخاسرون﴾. (الأعراف : 99). والحديث القدسي موجود في تفسير البحر المديد لابن عجيبة الحسني. ونصّه : «فلا تأمن مكري وإن أمنتك، ولا تيأس من حلمي وإن أبعدتك، فعلمي لا يُحيط به محيط إلا من هو بكل شيء محيط».

مُهْتَدون﴾[1]. فَمَنْ تحقق بغاية الايمان حتى بلغ مِنْهُ مقام العِيان، وانتقَى عَنْهُ الشرك الجلي والخَفِي، فقد حَصَلَ لَهُ الأَمْنُ والأمان وفَقْدِ الأعيان لانتهاك الوهم.

قال الشيخ «**أبو الحسن**» رضي الله عَنْه : «يَبْلُغُ الْوَلِيُّ مَقاماً يُقالُ لَهُ : اِفْعَلْ ما شِئْتَ فقد أَصْحَبْناكَ السَّلامَة وَأَسْقطْنا عَنْكَ الْمَلامَة»[2]. وقال في شأنِ تلميذه «**الْمُرْسِي**» : «قَدْ تَمكَّنَ الشيخ أبو العَبَّاس مع اللَّهِ تمكنا لَوْ طَلَبَ الحِجابَ لَمْ يُحْجَبِ[3]»[4]. ويُسَمَّى هذا المقام مَقامَ المحبوبية. ويُعضّدُهُ قولُهُ تعالَى في حَقّ «**سُلَيْمان**» عليه السّلام : **﴿هَذا عَطاؤُنَا فَآمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْر حِساب﴾**[5].

هَذا وَإنْ كانَ في مَقام النبوءة، فلأهل الولاية قِسْط منه بِحَسَبِ الوِراثَةِ. وَبَعْدَ هَذا كلّه فالأصل ما أصّلناهُ من أنهم لا يزالهم خوفهم، فَلا يَزول اضطرارهم، وَلا يكون مَعَ غَيْرِ الله فرارهُم لاتّساع دائِرَةِ عِلْمِهِمْ كما قدمناه[6]. وقد حققنا هذه المسألة في التفسير في سورة الأنعام والأحقاف فانْظُرْهُ إنْ شِئْت. وبِآللّهِ التوفيق.

وقد تكَلَّمَ النَّاسُ في حقيقة الوصول، قال [**ابن عطاء**] في الحِكَم : «وُصولُكَ إلى الله وُصولكَ إلَى الْعِلْم بِهِ، وإلاَّ فَجَلَّ رَبُّنَا أَن يَتّصل به شيء، أَوْ يَتَّصل هو بشَيْء. وَأَحْسَنُ ما يُقال في حقيقة الوصول : أَنَّهُ فَناء الرسوم والأشكال، بظهور الكبير المتعال، فَيَفْنَى مَا لَمْ يَكُنْ وهو الْوَهْمُ والْجَهْلُ،

---

(1) الأنعام : 82.

(2) وقال ابن عطاء الله السكندري : «وسمعتُ الشيخ أبا العباس (رض) يقول عن نفسه : والله ما سار الأولياء من (ق) إلى (ق) حتى يلقوا واحداً مثلنا...» لطائف المنن ص 66.

(3) في خ : لم يجدهُ.

(4) وقد قال الشيخ الشاذلي في حق تلميذه أبي العباس كذلك : «... لن تهلك أمة فيها أربعة : إمام، وولي، وصديق، وسخي... الإمام هو أبو العباس» لطائف المنن ص 66.

(5) ص : 39.

(6) في «خ» و«ر» : «كما قدمناه» ناقصة. وفي الأصل «وقد بقي» بدل «ولا زال».

وَيَبْقَى ما لم يَزُلْ وهو الحق وَحْدَه، فقد كان وحْده لا شَيْء مَعَه ولا زالَ عَلى ما كانَ عليْهِ[1]. فالوصول إلى اللّهِ عبارة عن تحقق الْعِلْم بوجوده، وَغيْبة الْعَبْد عَنْ وجوده في وُجودِ مَعْبودِهِ حتى لا يُشاهد إلاَّ عَظمَتَهُ في كل شيَءٍ، **مرتديةً**[2] بِرِداءِ الْكِبْرِياء لِيَبْقَى السِّرُّ مَصوناً والْكَنْزِ مَدْفوناً. ثم بَرْهَنَ عن كَوْن الوصول لا يكون بِمُجَرَّدِ الدَّعْوَى فقال :

وَلَـوْ كـانَ سِـرُّ الـلَّـهِ يُـدْرَكُ هَـكَـذا   لَقال لَنا الْجُمْهور ها نَحْنُ ما خِبْنا

يقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لَوْ كانَ سِرُّ اللَّهِ وهو **الولاَيَة**[3] والمعرفة على سبيل الْعِيانِ، وَهُوَ مَعْنَى الوصول إلى اللَّهِ يُدْرَكُ هَكَذا. أيْ بِمُجَرَّدِ الدَّعْوَى، وَمَعَ وجود النَّفْس وراحَة الجِسْم ورقود القَلب[4] تحت ظِلّ الجاهِ[5]. لقال جمهور النّاس أي عامَّتُهُم : ها نَحْنُ ما خِبْنا في الْمَعْرِفَةِ، بل نَحْنُ وَأَنْتُمْ فيها سواء. أيْ لو كانَت تُنال بِلا مُجاهدة وَلا تَرْبِيَة لادّعاها كلّ النّاس، لكنّها لا تُنال إلاَّ بِذَبْح النُّفوس[6] وَحَطِّ الرّؤس لأرْبابِها. وَبَذْلِ الْفُلوس زُهْداً فيها، وارْتِكابِ الشَّـدائِدِ والأهْـوالِ، وَتَـتـابـع الـواردات والأحْـوالِ، وَمُـفـارقـة الأوطـان والأحباب، والغَيْبة عن الْعَشائِرِ والأصحاب.

---

(1) أنظر شرح الحكم ج 2 ص 129.
(2) في خ : مرتديا.
(3) الولاية : هي قيام العبد بالحق عند الفناء عن نفسه، وقيل تولي الحق سبحانه عبده بظهور أسمائه وصفاته علما وعينا وحالاً وأثر لذة وتصرفا. (الكاشاني، ص 79).
(4) في خ : «القلب» ناقصة.
(5) في خ : الجمود.
(6) ذبح النفس : هو رمز وتلويح إستقاه من سورة البقرة التي قال فيها رب العزة : ﴿إنّ اللَّهَ يأمركم أن تذبحوا بقرة﴾ (البقرة : 67). وبقرة كل إنسان هي نفسه، والله أمر بذبحها وقتل شهواتها فيها أو كما قال الأنصاري : «ذبح النفس بسيوف المخالفة، وهو أول الطريق...» (الرسالة القشيرية، هامش ص 71 شرح زكريا الأنصاري أو كما أنشد الششتري :

وعـنـد ذبـح نـفـسـي   انـقـشـع لي عـمـائـي

قال في الحِكَم : «لَوْلا مَيادِن النّفوس ما تَحقَّقَ سَيْر السّائِرين»[1]. وقال أيْضا : «كَيْفَ تُخْرَقُ لَكَ العوائِدُ وأنْتَ لَمْ تخرق مِن نَفْسك العوائِد»[2]. وَقَدْ بَيَّنَ ذلِكَ الشيخ بِقَوْلِهِ :

فَـكَـمْ دونَـهُ مِـنْ فِـتْـنَـةٍ وَبَـلِـيَّـةٍ   وَكَمْ مَهْمَهٍ[3] مِنْ قَبْل ذَلِكَ قَدْ جُبْنَا

يقول رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ : فَكَمْ دونَ الْوُصول مِن فِتْنَةٍ وَبَلِيَّة، أي كم مِن امتحانٍ واختبارٍ **للمريد**[4] ؟ هل هو صادِق في الطَّلَبِ أو هُوَ كاذِبٌ فيه ؟ فإن ثبت وصبَرَ وَصَلَ وإلاَّ رَجَعَ من حيث جاءَ. فَأَوَّل ذلِكَ تسْليط النَّاسِ عليه بالإذاية الإهانة والتَّصْغير والهِجْرانِ، ورُبَّما أداهم ذلك ضَرْبِهِ وَسِجْنِه[5] وتطويفه وقتله، فإن صَبَرَ على ذَلِكَ تعرَّضَ له إبليس بالتخويف والتسويف وتبعيد الفَتح وتَبْطيءِ السَّيْرِ. فإنْ صَبَرَ على ذَلك تعرَّضَتْ لَهُ الدّنْيا بتزيين زَخارِفِها وحظوظها وزَهْرَتِها، فإن أَعْرضَ عَنْها تَعَرَّضَتْ لَهُ الآخِرَةُ بحورِها وقصورها وسائر نَعِيمها، فإن أَعْرضَ عنها، تعرَّضَتْ[6] لَهُ الكرامات وصَوْلة **الأحْوالِ**[7] وَحَلاوَة **المقامات**[8]. فإن أَعْرَضَ عن هذا كُلّه قال له الحق جلَّ

---

(1) الحكم : ولهذا قال كذلك في النفس : «حظ النفس في المعصية ظاهر جلي، وحظها في الطاعات باطن خفي، ومداواة ما خفي صعب علاجه» شرح الحكم ج 2 ص 123.

(2) الحكم : ويقول كذلك : «متى وردت الواردات الإلهية عليك هدمت العوائد عليك، إن الملوك إذا دخوا قرية أفسدوها». شرح الحكم، ج 2 ص 160.

(3) مهْمَه : المفازة البعيدة، البلد المقفر. القفاز.

(4) المريد : هو من انقطع إلى الله عن نظر واستبصار وتجرد عن إرادته، أو هو سالك الطريق بالمجاهدة الشاقة والمكابدة والصبر على البلاء رجاء الحصول على النعماء، إذ علم أنه ما يقع في الوجود إلا ما يريده الله تعالى، لا ما يريده غيره، فيمحو إرادته فلا يريد إلا ما يريده الحق. (حفني، ص 242).

(5) في ر : ومنحة.

(6) في ر : تعرض.

(7) الأحوال : الغيبة والحضور، والصحو والسكر، والوجد والهجوم، والفناء والبقاء، كلها من أحوال القلوب المتحققة بالذكر والتعظيم لله. (السراج الطوسي، اللمع، تحقيق طه سرور، القاهرة 1960 ص 490).

(8) المقامات : صاحب كتاب قوت القلوب جعل المقامات تسعة وهي : التوبة، الصبر، الشكر، الرجاء، الخوف، الزهد، والتوكل، الرضا، والمحبة. (أبو طالب المكي، ج 2 =

جَلالُه : مَرْحَبا وَأَهْلاً هَذِهِ حضْرَةَ قُدْسِيا تَنَعَّمْ فيها بِما شِئْتَ وَتَنَزَّهْ [بِفِكْرِكَ] حَيْثُ شِئْتَ. [وَيُقال لَهُ حِينَئِذ] :

لَكَ الدَّهْرُ طَوْعٌ والأنامُ عَبيدُ　　فَعِشْ كُلّ يَوْم مِنْ أَيَّامِكَ عيدُ

وإنْ وَقَفَ مَعَ شيءٍ مِنْ هَذا رَجَعَ من الطريق، وأَمَّا مَن وَصَلَ فَلا رُجوعَ لهُ. [أيْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَكَرَمِهِ، لأنّ اللَّهَ لا يجب عليه شيء]. وَالْوصول عبارة عن تحقيق الفَناء والتَّمَكُّن في البَقاء. وقولُه : «وَكَمْ مَهْمَهٍ الخ». وهي المفازة البعيدة. وَيُجْمَعُ على مَهامِه. وَمَعْنَى «جُبْنا» : قطعْنا. والجوبُ : هو القطْع، أي كَمْ مِن مَفازَة للنَّفسِ قَدْ قَطَعْناها بالمُجاهَدَة والمُكابَدَة والرّياضة ؛ كمشاقّ الأسْفار إلى زيارة المشايخ والإخْوان وكَقَطْع عوائِد النَّفْس وَمَا رَكَنَتْ إليه مِنَ الْجاه والرياسة وإقبال الخلق وتحمل أداهم وإظهار الذل لديهم والإعراض عنهم والانقطاع إلى الله بالكلية. وهذا هو خَرْقُ العوائد الذي هو شرط في عمارة الباطِن.

قال بَعْضُهُمْ : لا ينال ما عِنْدَ اللَّهِ إلاَّ بنضج الجلودِ وصلق الكبود. وقال الشيخ «زَرّوق» رضي اللَّهُ عَنْه : «إنّ الْمُريد لاَيَصِلُ لِعَيْنِ الحقيقة حتّى يَرَى مِنَ الْمِحَنِ والفِتَنِ والبلايا ما لا مَزيد عليْهِ. ويجوب مَعَ ذَلِكَ مهامه تحارُ فيها القَطَا[1] وتقصُر فيها الخُطى. فَمَن عصَمَه اللَّه نفذ، ومَنْ أهانَه رجع فتقابله الدُّنيا والخلق بالإدْبارِ، والنفس بالتعصبِ، وإبْليس بالتسلّطِ. فإن صَبَرَ وجاهَدَ وجدّ والْتَزَمَ، [فازَ وَوَصَل][2]. وإلاَّ هَلَكَ في أَوْدِيَة الهوى، ثم يُقابله بعد ذلك بالإقبال والتبشير[3]، فإن جد نجى[4] وإلاَّ ذَهَبَ في الاغترار

= القاهرة 1321، ص 95). ورغم كثرة الاشتباه والتداخل بين الحال والمقام إلا أنه يمكن الوقوف علي الفرق بينهما، كما يرى السهرودي أبو النجيب : فالحال سمي حالا لتحوله والمقام مقاماً لاستقراره، وقد يكون الشيء بعينه حالا ثم يصير مقاماً. (عوارف المعارف الباب 60 ص 231 إلى 237).

(1) في خ : «تحار فيها القطا» ناقصة.

(2) في «ر» و«ك» : «فاز ووصل» ناقصة.

(3) في «خ» : التخير. وفي «ر» : التسخير

(4) في «خ» و«ر» : فإن سكر وجد ربْحاً.

والاسْتِرسال وَنَحْوهما. ثم يقابله الجميع بالحكمين، فإن حُفظ ثبت وإلاَّ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ في اتباع الْهَوَى رداً وقبولاً»[1].

وقاتل الشيخ «عبْد القادر» في عيْنيته في هذه المَعْنَى[2] :

وَإِيَّـاكَ فـاصْبـِرْ لا تَـمُـلَّ فـإنَّـمـا بِصَبْرِ الْفَتَى جاءَتْ إِلَيْهِ الْمَطامِعُ
وَهَوِّنْ علَى النَّفْسِ ارْتِكاباً لِهَوْلِها فَغَيْرُ مُحِبِّ مَنْ ردعته[3] الفَجائِعُ

قلتُ : مَنِ اتَّصَلَ بشيخ التَّرْبية سهل عليه ذلِك كله إن الْتَزَمَ نفسه الانقياد وتَأَدَّبَ، وإنْ لَمْ يتصل بشيخ التَّرْبِيَة، أتعَبَ نَفْسَهُ بِلا طائِلٍ، كما جَرَّبْنَا ذَلِكَ وَذقناه. وجَرِّبْ ففي التجريب علم الحقائق، وباللَّهِ التوفيق. وتمام ذلك كلّه إدامَة السّيْرِ وَعَدَم الإلتفات إلى الغَيْرِ كما أبانَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ

فَلاَ تَلْتَفِتْ في السير غَيْراً وَكُلّ مَا سِوَى اللَّهِ غَيْرٌ فاتَّخِذْ ذِكْرَهُ حِصْنَا
وَكُـلُّ مَـقَـامٍ لاَ تَـقُـمْ فـيـهِ إِنَّـهُ حِجابٌ فَجُدَّ السَّيْرَ واسْتَنْجِدْ الْعَوْنَا

يقول رضي الله عنهُ : فَلاَ تلتفِت في حالِ السَّيْرِ إلى غَيْرٍ، أي غير الله تعالى أياً مَّا كان سواء[4]، كان علوماً أو أحْوالاً، أومقاماتٍ أو طاعات أو كرامات، أو إقبال الخلق أو إدبارَهُمْ أو ظهوراً أو عِزّاً أوْ غَيْرَ ذَلِكَ. لأن كل ما سِوَى الله غَيْرٌ، والغير حجابٌ عظيم لِمَنْ وَقَفَ مَعَهُ. فالمقصود والمطلوبُ

---

(1) قول زروق : شرح النونيّة.

(2) الشيخ عبد القادر الجيلاني : وهو الإمام «محي الدين أبو محمد عبد القادر الجيلاني، نسبه يرتفع إلى الإمام علي كرم الله وجهه. مولده كان في جيلان سنة 470هـ، وفي بغداد تلقى علومه ابتداء من سنة 478هـ، إذ درس فقه الحنابلة، ودرس علوم عصره وأتقنها على يد شيوخ كبار مثل : «أبي الوفاء بن عقيل»، و«محمد بن الحسن الباقلاني»، و«أبي الخير حماد بن مسلم الدباس»، والقاضي «أبي سعيد المخرمي». طريقته التي أطلق عليها «القادرية» إستطاعت أن ترجع بالتصوف إلى ما كان عليه في العصر الأول، فكانت طريقته التوحيد وصفا وحكما وحالاً، وتحقيقه الشرع ظاهراً وباطناً. فمذهبه وطريقته سنية معتدلة تتلخص في قوله كما قال «الشعراني» : اتبعوا ولا تبتدعوا، وأطيعوا ولا تخالفوا.
أنظر فيما يخص هذه الشخصية الصوفية كتاب أبو الحسن الندوي : «رجال الفكر والدعوة في الإسلام»، دار القلم، الكويت ط 4، 1394هـ/1974م من ص 253 إلى ص 260.

(3) في «ر» و«خ» : دهته.

(4) في «ر» و«خ» : فلا تلتفت في حال السير إلى غير الله تعالى. أيا ما كان سواء.

هو الوصول إلى شهود [عظمة][1] ذات الحقّ عياناً، ومعرفته دواماً واتّصالاً. فاتّخِذْ ذِكْرَهُ بِقَلْبك حصناً من تلك القواطِع، و﴿قل **ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ**﴾[2]. ولاشك أنَّ ذِكْرَ[3] ٱللَّهِ حصْن منيع مِنَ الشيطانِ وسائِر القواطِع. يكون أوَّلاً باللّسانِ، ثم بالقَلْبِ، ثم بالرُّوحِ، ثمّ بالسِّرِّ. وهو مقام التمكين من المعرفة، فحينَئِذٍ يحصل الأمن من الشّيطان ومن سائر القواطع في القلب.

ومن جملة القواطع الوقوف مع المقامات، فلذلكَ قال: «وكل مقام لا تُقَمْ فيه أنَّهُ حجابٌ». وَلاَ مفهوم للمقامات وكذلك الأحوال والوارداتُ فلا ينبغي للمريد استجلاؤهَا ولا التطلع إلَيْها.

قال [**ابن عطاء الله**] في الحِكَم: «لاَ تطلب بَقاءَ الْوارِداتِ بَعْدَ أنْ بُسِطَتْ أَنْوارُها، وَأُودِعَتْ أَسْرارُها، فَلَكَ في الله غِنًى عَنْ كُلِّ شَيْءٍ، وليْسَ يُغْنِيك عنْهُ شَيْءٌ. تَطَلُّعُكَ إلَى بَقاءِ غَيْره[4]. دليلٌ على عَدَمِ وُجْدانِكَ له. واستيحاشكَ لفُقْدانِ ما سِواهُ، دليلٌ عَلَى عَدَمِ وَصْلَتِكَ بِهِ»[5].

وقال الشيخ «**أبو هادي**» في صباحِ يوم لأصحابه: بِمَ يَرْتَفِعُ الْعَبْدُ من حالَةٍ لما هُوَ أَرْفَع منها ؟ قالوا: بِفَضْلِ الله ورحْمَتِهِ، قال: إنَّما سألْتُكُمْ عن السَّبَبِ الخاصِّ بِهَذا الأمْر. قالوا: من عنْد الشيخ. قال: يخلق الله له **هِمَّةً**[6]

(1) في «ر» و«ك»: ناقصة.

(2) الأنعام: 91.

(3) في ر: «ذكر» ناقصة.

(4) في «خ» و«ر» غيرك.

(5) شرح الحكم نفس المصدر السابق ص 161-162.

(6) الهمة: هو ما يطلق بإزاء تجريد القلب بالمُنَى، ويطلق بإزاء أول صدق المريد، ويطلق بإزاء جمع الهمم لصفاء الإلهام (ابن عربي، المصطلحات).
والهمة كما ذهب إلى ذلك ابن عربي: «... على نوعين، ولها مرتبتان: همة تكون في أصل خلقة العبد وجبلته. وهمة تحصل له بعد أن لم تكن... فإذا علمها [الإنسان] من نفسه، صرفها فيما أراد من الموجودات، كنطق عيسى عليه السلام في المهد بأمر الله، وهمة مريم... إنها (أي الهمة... كلها أسباب يفعل الق سبحانه وتعالى الأشيء عندها لابها...» (مواق النجوم ص 84). يقول في «ر» و«خ» الشيخ عبد القادر رضي الله عنه.

أعْلَى مِنْ هِمَّتِهِ، فيرفعه بها إلى رُتْبَةٍ أَعْلَى من رتبتِهِ. قُلْتُ : وأقْوَى الأسباب في الارْتِفاع الانكسارُ والاتضاعُ، فإذا انْكَسَرَ المُريدُ اتَّضَعَ لسيِّدِهِ بِسَبَبٍ أو بغَيْرِ سَبَبٍ، حَصَلَ له التَّرَقِّي إلى مَقام لَمْ يَكُن يَعْرِفُه.

ثم أمَرَ الشيخ بالجِدِّ في السَّيْرِ والنهوضِ فقال : «فَجُدّ السَّيْرَ»، أي فجُدَّ الْعَزْمَ وَدُمْ على جِهادِ نَفْسِكَ ومخالفتها، فلولا مَيادِين النّفوس ما تحقق سَيْر السَّائِرِينَ. والْزِمْ صُحْبَة الرِّجال والمشايخ، فَلا عَوْنَ أَعْظَم من ذَلِكَ. وتَأَمَّلْ ما قاله الشيخ **عبْد القادر** رَضِيَ الله عنْهُ في عَيْنيته[1] :

فَشَمِّرْ وَلُذْ بالأوْلِياءِ فإنَّهُمْ ... لَهُمْ في كِتابِ اللَّهِ تِلْكَ الْوَقائِعُ
هُمُ الذُّخْرُ لِلْمَلْهوفِ والكَنْزُ لِلرَّجا ... وَمِنْهُمْ يَنالُ الصِّبُّ مَنْ هُوَ طامِع
بِهِمْ يُهْتَدَى للعَيْنِ مَنْ ضَلَّ في الْعَمَا ... بِهِمْ تَجْذُب العشاقُ والرَّبْعُ شاسِعُ

واسْتَنْجِدِ الْعَوْنَ : أي أَطْلُبْهُ مَنَ الله بعد تحصيل ما تقدَّمَ، فإنَّهُ يُعينك علَى ما تريدُ. والاسْتنجادُ : الإلحاحُ في الطَّلَبِ. قالَهُ في القاموس ثم ذَكَرَ وَجْهَ الْعَمَلِ في الفرار من الوقوف مع الغَيْرِ، فقالَ :

وَمَهْمَا تَرَى كُلَّ الْمَراتِبِ تُجْتَلَى ... عَلَيْكَ فَحُلْ عَنْهَا فَعَنْ مِثْلِهَا حُلْنَا
وَقُلْ : لَيْسَ في غَيْرِ ذاتِكَ مَطْلَبٌ ... فَلاَ صورَةٌ تُجْلَى وَلا طُرْفَةٌ تُجْنَى

يقول رَضِيَ الله عنهُ : وَمَهْما تَرَى كُلَّ الْمَراتِب، مَراتِب أهْلِ التحقيق والتَّقْرِيب «تُجْلَى»، أي تظهر عليكَ كظهور الكرامات، والكشف عنْ أسرار المقامات، وحلاوة الطاعات وإقبال العز والغنى [الحسي][2]. «فَحُلْ عَنْهَا»،

(1) في «ك» الجيلي ويقول الشيخ عبد القادر في عينيته كذلك عن المشايخ :

وَإنْ سَاقَكَ المقدورُ أو جَابكَ الْقَضَا ... إلَى شَيْخٍ حَقٍّ فِي الْحقيقَة بَارِعُ
وكُنْ عنده كَالمَيِّت عِنْدَ مُغْسَلٍ ... يُقَلِّبُهُ مَا شَاءَ، وَهُوَ مُطَاوِعُ
وَسلِّم لَه فِمَا تَرَاهُ، ولو يَكُنْ ... على غَيْرِ مَشْروعٍ، فَثَمَّ مُخَادِعُ
وَفِي قِصَّةِ الْخِضْرِ الْكريم كِفايَةٌ ... بِقَتْلِ غُلامٍ وَالْكَلِيمُ يُرافِعُ

(2) في «خ» : الورى وأبناء الجنس. وفي «ك» : ناقصة.

أي تَحوَّلْ بِهِمَّتِكَ عَنْ الالتفاتِ إِلَيْها، وعدم الوقوف مَعَها فقد جُلنا عن مثلها وقصرنا الوُصول إلى منشئها ومجريها. فإنَّ الوقوف مَعَ شيءٍ مِنْ ذَلِكَ حجابٌ عَن شهودِ الحقّ. قال [في الحكم] : «ما أَرادَتْ هِمَّةُ سالِك أنْ تقف عندما كُشِفَ لَها إلا ونادَتْهُ هَواتِفُ الحقيقة الَّذِي تطلب أمامَكَ. وَلاَ تَبَرَّجَتْ ظواهِر المكوّنات إلاَّ ونادَتْهُ حقيقتها : ﴿إنَّما نَحْنُ فتنة فَلا تَكْفُرْ﴾[1]»[2].

والمراتب الَّتي تُجْتَلَى للسائر في سَيْرِهِ ثلاث : مرتبة الفناء في الأفعال، ومرتبة الفناء في الصفات، ومرتبة الفناء في الذَّاتِ. فإذا كُشِفَ للسَّائِرِ[3] عن توحيد الأفعال وذاقَ حَلاوَتَهُ، وأرادَتْ همَّته أن تقف مع ذَلِكَ المَقام، نادَتْهُ هواتِف الْفَناء في الصّفاتِ[4]، الَّذِي تطلبُه أمامَك. وإذا ترَقَّى إلى الفَناء في الصِّفاتِ وكُشف له عَنْ سرِّ توحيد الصّفات، واسْتشرف على الفناءِ في الذّاتِ، وأرادَتْ هِمَّتُهُ أنْ تَقِفَ مَع ذَلِكَ الْمَقامِ، نادَتْهُ هواتِفُ حقيقة الْفَناءِ في الذَّاتِ، وكُشِفَ لهُ عَنْ سرِّ توحيد الذّاتِ، وأرادَتْ همَّته أن تقف مَعَ ذَلِكَ المقام، نادَتْهُ هواتِفُ حقيقة البقاء وبقاء[5] البقاء. وهكذا إلى ما لاَ نهاية لَهُ مِنَ التَّرَقِّي.

وإذا تَبَرَّجَتْ، أي ظَهَرَتْ بزِينَتِهَا وَزَخارفها ظواهرُ المكوِّناتِ بخَرْقِ عوائِدِها وانقيادِها لَهُ، وتصرفِهِ فيها بهِمَّتِهِ، كالمَشْي على الماءِ، والطَّيرانِ في الهواءِ، وطَيِّ المسافة البعيدة في لَحْظةٍ. وغَيْرِ ذَلِكَ من الكَراماتِ الحسيَّة و[إذَا] أرادَتْ هِمَّةُ السالِك أن تقف مَعَها نادَتْه هواتِفُ الحقيقة، وهي أَسْرارُ المَعاني الباطنة إنَّما نَحْن فِتْنَة فلا تدجر جئنا نَخْتَبِرُكَ هَلْ تَقف مَعَ ظواهرنا فَتُحْجَبَ بِها، أَوْ تَنْفُذ إلَى باطِنِها فتعرف مالِكَها والمتجلّي بِهَا.

---

(1) في خ : هواتف الحقيقة.
(2) أنظر شرح الحكم ج 1 ص 23، 24. وقوله تعالى في سورة البقرة الآية 102.
(3) في خ : السائرين.
(4) في ر : الذات.
(5) في ر : في بقاء.

قال الشيخ «**أبو عُثمان بن عاشور**» [رضي اللَّهُ عنه] : «خَرَجْتُ مِنْ بَغْدادَ أُرِيدُ الْمَوْصِلَ، فَأَنَا أَسِيرُ وإذَا بالدُّنْيا عُرِضَتْ عَلَي بعِزّها وَجاهِها، ورفعتها ومراكبِها وَمَلابِسِها ومزيناتها ومشْتهياتِها، فأعْرضت عَنْها. فعُرِضَت عليَّ الجَنَّةُ بحورِها وقصورِها وأنهارِها وثمارِها، فلم أشْتَغِلْ بِها. فَقيلَ لِي يا عُثْمان، لَوْ وقَفْتَ مع الأولى لَحَجَبْناكَ عن الثانية، ولو وقفت مع الثانية لَحَجبْناكَ عنّا، فَها نَحْنُ لك وقَسْطُك من الدَّارَيْن يَأْتِيكَ».

وقال بَعْضُهُمْ : مَنْ سَمَتْ هِمَّتُهُ عَنِ الأكْوانِ، وَصَلَ إلى مُكَوِّنِها. وَمَنْ وَقَفَ بِهِمَّتِهِ مَعَ شَيْءٍ دونَ الحقّ فاتَهُ الحق وَهْوَ أَعَزّ مِن أن يرضَى أن يكون مَعَهُ شَيْءٍ. وإِلَى هَذا أشارَ الشيخ بِقوْلِه رضي الله عنه : وقل ليس لي غير ذاتك مطلب ولا اربٌ وإنما مطلبي وأربي الوصول إلى رؤيتك ومعرفتك. فَلا يشغلنَّكَ عَنْه أَيُّها السائر صورَة تُجْلَى، أي تظهر لَك من نَوع الكراماتِ. وَلاَ طرفة تجْنَى كوجود الثمار من غَيْر إبَّانِها، أو حَلاَوَةِ الطاعات فإنَّها سُموم قاتِلَة.

قال الشيخ «**أبو يزيد**» رضي اللَّهُ عنْهُ[1]. «أَوْقَفَنِي الحقّ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقال: تُريد الطرف[2] فقُلْتُ لا. فقال : تُرِيد القرب. فقلْت لا. فقالَ : تريدُ االتحف. قُلْت لا. فقال : فَما تريدُ ؟ قلتُ : أريدُ أَنْ لا أُرِيد لأنّي أَنَا الْمُراد وأَنْتَ الْمُريد». وَحَكَى أَنَّهُ قالَ : كانَ الحق [تعالى] يريني الكرامات فأعرضُ عَنْهَا، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ مِنِّي جَعَلَ لي إلى مَعْرِفَتِهِ سَبيلاً.

وقال بَعْضُهم : كُشف لي عن أرْبَعين حَوْراء فَرَأيْتهُنَّ يتشخشخن[3]، فالتَفَتُّ إِلَيْهِنَّ فَحُجِبْتُ عَنِ مَقامي مدَّة، ثم كشف لي عن ثمانينَ، فسجدتُ وَأنَا أقولُ : اللَّهُمَّ إنِّي أَعوذُ بِكَ مِمَّا سِواكَ.

---

(1) أبو يزيد (طيفور البسطامي)، كان جده مجوسيا وأسلم، وكانوا ثلاثة إخوة : آدم وطيفور وعلي، كلهم كانوا زهاداً، وكان أبو يزيد أرفعهم حالاً، قيل توفي سنة 261هـ. من أقواله : لو نظرتم إلى رجل أعطي من الكرامات حتى يرتقي في الهواء، فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي : وحفظ الحدود وأدب الشريعة. عن أقواله وأخباره أنظر الرسالة ص 13، 14.

(2) في «ر» : القرب.

(3) في «خ» و«ر» : يتشخصن.

وقال شيخ شيوخِنا «علي العمراني»[1] رضي اللَّهُ عَنْه الملقب بالجمال [قال فيما معناه] : (اشْتَقْتُ يَوْماً إِلَى الجَنَّةِ، فإذا أَنَا فيها آكُل من ثمارِها، وأقطف من أزهارِها، وأشرَبُ من أَنْهارِها. فشغلني ذلك عن [حلاوَة] الشهود فَتُبْتُ إلى اللَّهِ فَأَخْرَجَني من سِجْنِها).

وقال «الجُنَيْد» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «أَلْطَفُ ما يُخادَعُ بِهِ الأَوْلِياء الكَراماتُ والمعونات»[2]. ويُحْكَى أنَّ «بشراً الحافِي»[3] رضي اللَّهُ عنْهُ، رَأَى «علي بن أبي طالب» في النَّوْم، فقال لَهُ : «يا أَميرَ المومنينَ ما أَحْسَنَ عَطْف الأغنياء على الفقراء رَجاء الثواب، فقال لَهُ عليّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ : وَأَحْسَنُ مِنْ ذَلِكَ، تِيْهُ الفقراء على الأغنياء[4].

قال بَعْض المشايخ : وَأَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ هِمَّةُ العارِفينَ، تتلاشى[5] فيها جميع المقدورات[6] فضلاً عن المخلوقات.

ولَمَّا قدِمَ الشيخ «أبو الحسن» رضي اللَّهُ عَنْهُ على القُطْب «ابن مشيش» رضي الله عنه، وجَدَهُ في مغارته يَدْعو، فَكَرِهَ الدخول عليه ليلاً، وكانَ في نية الشيخ «أبي الحَسَن»[7]. أن يُنَفِّعَ الله الناس به، وجلبُهُم إليْه[8] ليدعُوهم إلى

---

(1) علي العمراني : هو علي بن عبد الرحمن بن محمد بن علي بن إبراهيم بن عمران الحسني الإدريسي، توفي بفاس يوم السبت 19 ربيع الأول سنة 1193هـ عن 106أعوام (أنظر ترجمته بسلوة الأنفاس، وفهرسة الكوهن.

(2) عن آراء الجنيد الصوفيَّة أنظر الرسالة القشيرية في علم التصوف للقضيري دار الكتاب العربي (د، ت) ص 18 – 19 – 20.

(3) بشر الحافي : أصله من مرو، سكن بغداد ومات بها سنة 227هـ. سبب توبته : أنه أصاب في الطريق ورقة مكتوبا فيها اسم الله عز وجل قد وطئتها الأقدام، فأخذها واشترى بدرهم بما طيب بها الوقة وجعلها في شق حائط... فرأى في نومه هاتفا يقول : يا بشر طيبت إسمي، لأطيبن إسمك في الدنيا والآخرة... عن أقواله وأخباره انظر الرسالة القشيرية ص 11.

(4) في خ : ناقصة.

(5) في خ : تتشاكى له.

(6) في ر : المعذورات.

(7) في ر : أبو الحسن.

(8) في ر : عليه.

اللَّهِ. وكانَ هذا الحال يتردَّد في خاطِرِهِ، هل يدخل المدن[1] أوْ ينْقَطع في الجبال، والقفارللعبادة ؟ فسمعَ الشيخ من داخِلِ المغارة يقول : اللَّهُمَّ إنْ قوماً طلبوا[2] منك أن تُسَخِّرَ لَهُمْ خَلْقَكَ فسخّرْتَهُمْ لهُمْ فرضوا منك[3] بذلك. وأنَا أسْأَلُكَ اعوجاجَهُمْ عَلَيَّ، حتَّى لا يكون مَلْجَئِي إلاَّ إلَيْكَ.

فقال الشيخ «أبو الحسن» : قُلْتُ يا نَفسي أنظر من أي بَحْرٍ يغترف هذا الرَّجل؟! فَلَمَّا دَخَلت وَسَلَّمت عليْه، قلت لَهُ : كَيْفَ أَنْتَ يا سَيِّدِي. قال : أصبحت أَشْكو مِنْ بَرَدِ الرِّضَى[4] والتَّسْلِيم، كما أصبحت تشكو أَنْتَ من حرِّ التَّدْبير والاخْتيار. فقلت : ياسيِّدي أمَّا شَكْوايَ من حرّ التَّدْبير والاخْتيارِ فقد ذُقْتُهُ وَأَنا فيهِ، وَأَمَّا شكواكَ أنْتَ مِنْ بَرَدِ الرِّضَا والتسْلِيمِ فما ذُقْتُهُ فقال[5] : أخافُ أَنْ تشغلَني حَلاوَتُهُما عَنِ اللَّهِ عز وجل. ثم قال له : يا سيّدي سَمِعْتُكَ البارحة تقول : اللَّهُمَّ إني أَسْأَلك اعْوجاجَ الخَلْقِ عَلَيَّ. فقال [ابن مشيش] : يا أَبَا «الحسن» عِوَضَ أن تقول : يا رَبِّ سَخِّرْ لي خَلْقَكَ، قل يا ربِّ كُنْ لي، أَتَرَى إن كانَ لَكَ أيفوتُكَ شَيْءٌ ؟ فما هذا الجبان[6] ؟! انتهى بمعْناه.

فهذه المقامات والحكايات كلها ترشد المريد إلى التعلّق باللَّهِ وَعَدَمِ الالتفات إلى ما سواه كائناً ما كانَ. ولما حَرَّضَ على الفَناء والفِرارِ مما سوى اللَّهِ، أَمرَ بالتّمَسك بالشريعة، وهو مقامُ البقاء وكَمال الكَمال فقال :

وَسِرْ نَحْوَ أعْلامِ الْيَمِينِ[7] فإنَّها ... سَبيلٌ بِها يُمْنٌ فَلا تَتْرُكِ الْيُمْنَا

---

(1) في خ : للمدن.

(2) في «خ» : قد طلبوا. وفي «ر» : يصلون.

(3) في خ : ورضوا، «منك» : ناقصة.

(4) الرضا : الرضا يرتبط بالقضاء من ناحية وطاقة الفرد على الصبر عليه وبالتالي الرضاء به، ومن ناحية أخرى يرتبط الرضا بحقيقة وعمق الإيمان بالعدل الإلهي، فالله في قضائه في كل الأحوال. (المعجم الصوفي ص 729).

(5) في «ر» و«خ» : فلماذا قال.

(6) في خ : ما هذه الجبانة، وقول الشاذلي جاء هنا بمعناه لا بنصه.

(7) ويقصد الششتري بأعلام اليمين لواء الشريعة المحمدية، عملا بالقول التالي : من تصوف و لم يفقه فقد تزندق، ومن تفقه و لم يتصوف فقد تفسق، ومن جمع بينهما فقد تحقق.

يقول رضي اللَّهُ عَنْهُ : إذا أَفْردتَ قلبَكَ لله وَلاحَتْ عَلَيْكَ أَنْوارُ الفَناءِ، فَتَمَسَّكْ بالشريعة المحمدية، وسِرْ نحو أعلام[1] أهل اليَمِينِ. واسْتَظِلْ معهم تحت ظِلّ لِواءِ الشريعة وأعْلامِها، فإنّها طريق بها يُمْنٌ وَبَرَكَة ونجاة وغَنيمة، فَلا تَتْرُكِ اليُمْنَ والبركَة فَتَقَع في الخُسْرانِ والنَّدامَةِ. ولذلك قيلَ :

مَنْ تَصَوَّفَ وَلَمْ يَتفَقَّهْ فَقَدْ تَزَنْدَقَ. وَمَنْ تَفَقَّهَ وَلَمْ يَتَصَوَّفْ فَقَدْ تفَسَّقَ. وَمَنْ جَمَعَ بَيْنَهُما فَقَدْ تَحقَّقَ.

قال «الشيخ زروق» رضي اللَّهُ عَنْهُ :

تَزَنْدَقَ الأَوَّلُ لإهْمالِهِ الشريعة، وقد جاءَ بها الصَّادِقُ المصدوقُ، فهي باب الدّخول إلى اللَّهِ. وَتَفَسَّقَ الثاني لإهمالِهِ الحقيقة. وتحقق الثالث لجمعه بينَهُما. قال : وكان شيخنا «**أبو العبّاس بن عقبة الحَضْرَمي**»[2] كثيرا ما يُنْشد هذين البيتين :

وَسَلّمْ لِسَلْمَى وَسِرْ حَيْث سارَت[3] اتّبَعْ رِياحَ الصَّبَا وَدُرْ حَيْثُ دارَت

وَمُرادُهُ بِسَلْمَى [فيما أظنُّه][4] : الشريعة واللَّهُ أعْلَمُ. قُلْتُ : بل الظَّاهِر أنّها الحقيقة إذا هِيَ التي يكني عنها أهْلُ الفنّ بِسَلْمَى وعزَّة ولَيْلَى، وأيضا هِيَ المتصرفة في الأشياء كلها، فيجب الميل مَعَها أيْنَ ما ظَهَرَتْ والسَّيْر بِسَيْرِها حيث سارَتْ. وأمَّا الشريعة فإنّها رِداءٌ لَها وَسِتْرٌ عليها، واللَّهُ أَعْلَم.

---

(1) في خ : ناقصة.

(2) أبو العباس بن عقبة الحضرمي : وهو أبو العباس شهاب الدين أحمد بن عبد القادر بن محمد بن عمر بن عقبة الحضرمي اليمني. ولد بحضرموت عام 824هـ/1421م وتوفي بالقاهرة عام 895هـ/1489م.

أنظر كتاب : «أحمد زروق والزروقية» دراسة حياة وفكر ومذهب وطريقة. تأليف : «فهمي علي خشيم» ط 3 2003م دار المدار الإسلامي بيروت – لبنان. ص 46.

(3) أنظر شرح الشيخ زروق لنونية الشُشتري مخطوط الأسكوريال بإسبانيا رقم 4-168. وفي «خ» جاء البيت كما يلي :

واتبع رياح القضاء ودُرْ حيث دارت وسلم لسلمى وسر حيث سارت

(4) في «ر» و«خ» : «فيما أظنه» ناقصة.

فالتمسكُ برسوم الشريعة [لأهلِ الحقيقة] فَرْضٌ لازِمٌ، وَمَنْ أَخَلَّ بِهِ رَجَعَ من حَيْثُ جاءَ بل لا يُرْجَى فَلاحُهُ. وقال «**الساحلي**»[1] في «**بغيته**» لَمَّا تَكَلَّم على آدابِ مَقامِ الإحسانِ بعد كَلاَمٍ : الثالث : إقامة رسوم الشريعة [أحْسن إقامة]، فَهِيَ شعار العُبودية وهي الوَسائِل إلى دَرْكِ الحقائِق الإلهية. وَمَنْ ظَنَّ أَنَّ ذَلِكَ مُسْتَغْنَى عَنْهُ عِنْدَ مَوارِدِ التحقيق، فَهُوَ مَغْبونٌ في حقيقته مفتونٌ في وِجْهَتِهِ، راضٍ بالحرمانِ وَالْهَوانِ. وَمِن عَلامات صِدْقِ أَهْلِ الاخْتِصاصِ في اسْتغراقهم الحِفظ عليها في إقامة الرُّسوم الشرعية. كَمَا أَنَّ مِنْ عَلامَةِ الخِذْلانِ حَلّ اليَدِ مِنْ عُرْوَةِ الشريعة عِنْدَ وُرودِ الحقائق، رزقنا الله مِنْ حِفْظِهِ وَكَلاءَتِهِ ما يَحْمِلنا على مناهِجِ الْعارِفينَ. قُلْتُ : ورسوم الشريعة هو فِعْلُ المأموراتِ وَتَرْكِ الْمُنْهِياتِ، نَهْي تحريم، أو [نَهْي] كَراهةٍ.

وقال أيضا في شروطِ المَعْرِفَةِ الثالث : المحافظة على الرّسوم الشرعية وإقامة الوظائف الرَّبَّانية، اقتداء بإمامِ العارفين وسيّد الْمُقَرَّبين الَّذي تفطرت[2] قدماهُ من طول القيام في الصلاة وذلك من تمكن مَعْرِفته ﷺ. وقد ضَلَّ قَوْمٌ وزَلَّتْ أَقْدامُهُم حين ادَّعَوْا المعرفة وقالوا بترك الشريعة، ورَأَوا ذَلِكَ منَ باب[3] البر والتقوى. ولم يشعرُوا بأنَّ ذلِكَ تعطيلٌ وكُفْرٌ، إذ حاش[4] المعرفة من ذَلِكَ.

---

(1) الساحلي : قوله في البغية : بغية السالك في أشرف المسالك، مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم 2224 د. وهو كتاب يحاول فيه صاحبه قطع الطريق على المدعين من الجهلة المتعالمين، كما يهدف إلى تسهيل الطريق للمسافرين بإشارة وتلويح دون إيضاح وتصريح، إشارة تجنب الكشف عن مصون ما ستروه لما حفظوه وكتموه... (البغية ص 119). وأنظر كذلك الدراسة التي خصصها له الدكتور محمد مفتاح ضمن الفصل السادس : الخطاب الصوفي والتوفيق ضمن كتابه : الخطاب الصوفي ط 1 دار الرشاد 1998.

(2) في ر : تومرت.

(3) في خ : ناقصة.

(4) في خ : وحاشَ. وفي ر : وحاشا.

قال إمام هذه الطريقة وسيّد أهْل الحقيقة «أبو القاسم الجُنَيْد» [رضي اللَّهُ عَنْه] : القَوْلُ بإسْقاطِ الأعْمال عنْدِي عظيمٌ، والَّذِي يسْرِق وَيزْنِي أحْسَن حالا عِنْدي منَ الَّذِي يقول بإسقاط الأعمال»[1]. أي أعمال الشريعة.

قال «النقشَبْندِي»[2] ولقد صَدق رضي اللَّهُ عَنْهُ : فإن السّارق والزّاني عاص بِسَرِقَتِهِ وزناهُ، وَلا يَصِلُ إلى حدّ الكُفْر. وأَمَّا القائل بسقوط الفرائِض وتحليل المحرمات، المُعْتَقِدُ لِذَلِكَ السقوط فقد انْسَلَّ من الايمان انسلال[3] الشَّعْرَة من العجين. ثم قال «الجُنَيد» : «فإنَّ العارفين أخَذُوا الأعمال مِنَ اللَّهِ ورجعوا منها إلى الله». ثم قال : «وَلَوْ بَقيتُ أَلْفَ عام لَمْ أنقُصْ مِن الشريعة ذَرَّةً»[4].

[ثمّ] قال «السّاحلي»[5] في آدابِ المعرفة الثالث : مُلازَمَة الهيبة وهو الصعود إلى غايَتِها، فإنَّ الهَيْبَة من أمارات المعرفة، كلما ازدادتْ معرفته ازْدادت هِيبَتهُ وكلما ازدادت هيبتُه ازدادت معرفته، وقد يُعَبَّر عن الهيْبة بالخشية. قال تعالى : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبادِهِ ٱلْعُلَماءُ﴾[6]. وقال ﷺ «أنَا أَعْرَفُكُمْ بِاللَّهِ وَأَشَدُّكُمْ خشيتهُ»[7]. فإن قلت : كَلامك يشير إلى المعرفة، والمعرِفَة محوٌ مطلق، والمَحْوُ المطلق فَناءٌ عن الرّسوم والصفات والهيْبة من الرّسوم

---

(1) قول الجنيد : الرسالة القشيرية نفس المعطيات السابقة ص 19.

(2) النقشبندي : هو العارف بالله «بهاء الدين محمد بن محمد الشريف الحسيني الحسني الأوسي البخاري.

(3) في خ : إسلال.

(4) قول الجنيد : الرسالة القشيرية نفس المعطيات السابقة ص 19.

(5) «الساحلي» : هو محمد بن عبد الرحمن بن ابراهيم الساحلي (679هـ – 754هـ) ابن صاحب طريقة صوفية أندلسية تعرف بالساحلية وخليفته على رئاستها. أنظر بغية الملتمس الباب 6 ص 306 وابن الخطيب، الإحاطة ج : 3 ص 239 – ص 241. وابن فرحون، الديباج المذهب ط مصر 1330هـ ص 334-335.

من أهم كتبه الصوفية «بغية السالك في أشرف المسالك» و«النفحة القدسية في الأخبار الساحلية».

(3) فاطر : 28.

(7) الحديث. ونص الحديث كما ورد في تلبيس ابليس لان الجوزي : «أنا أعرفكم بالله وأشدكم له خشية».

والصفات. فالجواب أنَّ العارفَ وإنْ كانَ بِهَذِهِ المَثابَة من الاستغراقِ في معرفته[1]. والاستهلاك في موجِدِهِ لشُهوده. فَمِنْ علاماتِ قرْبه، وإن اخْتُطِفَ عن إحساسه، أنْ تَبْقَى رسومُ الأدَبِ محفوظة عليه بحفظ الله تعالَى إيَّاها عليْه، وإقامته فيها مقام الحَمْد. فيكون سرّه مستغرقاً في شهودِهِ وَرَسْمِهِ، قائماً بوظائف معبُودِه». انتهى مِنَ البُغْيَةِ.

ولله دَرُّ سيدي «**عبد الله الهبطي**»[2] حيث قال في منظومَتِهِ الَّتِي سَمَّها شَمسَ الضُّحَى :

وثالثُ الفُصولِ في الشريعَة	لأنها إلى الْهُدَى ذَريعَةْ
فكُلُّ بابٍ دونَهَا مَسْدودُ	وَمَنْ أَتَى مِنْ غَيْرِهَا مَرْدودُ
قدِ اصْطَفاها رَبُّنا عَزَّ وَجَلّ	بفَضْلِهِ وَجودِهِ عَلَى الْمِلَلْ
طريقَةُ العَدنَان للرَّحْمَنِ[3]	مَحْفوفَةٌ بالنُّورِ والرِّضْوانِ
طُوبَى لِمَنْ أَتَى بِهَا لِلْعَرْضِ	وَالْوَيْلُ لِلَّذِي بِها لَمْ يَقْضِ

وإنَّما أَطَلْتُ الكَلاَمَ هُنا، لأنِّي رَأَيْتُ كَثيراً مِنَ الفُقَراءِ حَلُّوا أيديهم مِنَ االشَّرِيعَةِ فَظَهَرَ عَلَيْهِمُ المَسْخُ وَالْبُعْدُ، وَالْعِياذُ بِالله مِنَ السَّلْبِ بَعْدَ الْعَطاءِ. ثم حَذَّرَ الشيخ من الوقوفِ مَعَ مُجَرَّدِ الْعَقْلِ لأنَّهُ مَعْقولٌ عن شهودِ الأسرارِ فَقال:

أَمامَكَ هَوْلٌ فاسْتَمِعْ لِوَصِيَّتِي	عِقالٌ مِنَ الْعَقْلِ الَّذي مِنْهُ قَدْ تُبْنا[4]

(1) في خ : معروفه.

(2) عبد الله الهبطي : من أصول طنجية، هاجر جده لبلاد الأخماس بعد احتلال البرتغال لطنجة حوالي سنة 841هـ توفي قرب شفشاون. أنظر عبد الله التلبدي، كتاب المطرب ط 1، 1980هـ، ص 160.

(3) في «ر» و«خ» : الرحمن للعدنان.

(4) لابد هنا من الإشارة إلى مسألة هامة عند الششتري تتعلق بـ«العقل»، فالعقل باعتباره جزء من الإنسان المخلوق المحدث، فهو مخلوق مثله، إذ المحدث الفاني لا يعرف القديم الأزلي، فالعلم، والقياس العقل والحواس، والتحليل والنقد، تعتبر حواجز تقف دون معرفة الإنسان للحقيقة اليقينية، ولهذا وكما يرى كان من الواجب تجاوزها، لكن هذا لا يعني رفضه للعقل جملة وتفصيلاً، بل يعتبر العقل أساسي وضروري في مرحلة من مراحل اليقين. فهو عندما ينكر الحس والعقل ويرفض العلم، فهو يقوم بذلك من أجل التنبيه والتحسيس بقيمتها ودورها التمهيدي المساعد، إنها حجاب وحاجِبٌ، وذلك بالمعنى التالي : =

قُلْتُ عِقالٌ بَدَلٌ مِنْ هَوْل. يقول رضي اللَّهُ عَنْهُ : قُدَّامَك أَيُّها السَّائِر هَـوْلٌ عَـظِيـمٌ، وَهُـوَ عِـقـالُ فِـكْرَتِكَ عَنِ النُّفود إلى مَيادِينِ الْغُيوبِ وفضاء الشهودِ. وَهَذا العِقال هو عقلكَ حَيْثُ وَقَفْتَ مَعَهُ وَلَمْ تُدْرِكْ إلاَّ ما أَدْرَكَهُ مِنْ صنعة الكَوْنِ وافتقاره إلَى صانعه، و لم تَنْفُذ إلى ما وَراءَهُ من شهود الْمُكَوِّنِ في مَظاهِرِ مُكَوِّناتِهِ، فإنَّ أَسْرارَ الْمَعاني خارجة عن دائِرَةِ الْعُقولِ وإحاطَةِ النُّقولِ، كما قال «ابن الفارض» رضي الله عنه في تائِيَّتِهِ[1].

وَلاَ تَكُنْ مِمَّنْ طَيَّشَتْهُ دُروسُهُ	بحَيْثُ اسْتَخَفَّتْ عَقْلَهُ واسْتَفَزَّتِ
فَثَمَّ وَرَاءَ النَّقْلِ عِلْمٌ يَدِقُّ عَنْ	مَدارِكِ غَاياتِ[2] الْعُقولِ السَّليمَةِ
تَلَقَّيْتَهُ مِنِّي وَعَنِّي أَخَذْتَهُ	وَنَفْسِيَ كانَتْ مِنْ عَطاءِ مَمَدَّتي

فاسْتَمعْ لِوَصِيَّتِي وَهِيَ[3] :أن لا تقف[4] مَعَ تَوَهُّماتِ العَقْلِ وَتخيلاتِهِ التي قدْ[5] تُبْنَى[6] مِنْها، وَرَجَعْنا إلى ربِّنَا عنها فاشتغلْنَا بِذِكْرِه ذِكْراً مُتَّصِلاً، وَتَرَكْنا حُظوظَنَا وَلُحوظَنا فَأَشْرَقَتْ علَيْنا الأنْوار، ولاحَتْ علَيْنا الأسْرار. فَخَرَجْنا عن دائِرة الأكوانِ، وأَفْضَيْنا إلَى فضاءِ الشهودِ والعِيانِ، بسبب

= بالعقل يمكن معرفة الوجود بمساعدة الحس، ولما كان الوجود بما فيه ومن فيه تجل لله عبر أسمائه : «فالأسماء تنتقل عن الذات، ذات الحق الواحد، ويكون طلوعها بالوهم على الحق فهي غير الحق، لكن تُحَقِّقُ الحق وتبين بها المراتب، وهي آلة موصلة لذلك. فإذا وصلت فلا حاجة بها [كما لا حاجة للعقل]، لكنها ليس لها انفكاك من الوجود، فمثلها بوجه ما إذا وصلتك إلى ذات ما، مثل الحاجب مع الملك يدلك عليه ويعلمك كيف يكون الدخول إليه وبين يديه...».
(المقاليد الوجودية، تقديم تحقيق الدكتور محمد العدلوني الإدريسي ط 1، 2008 دار الثقافة ص 106.

(1) ابن الفارض : (التائية الكبرى) : الأبيات : 674 و675 و676. وقد ورد خطأ طروسه بدل دروسه (وهو خطأ من الشارح، أنظر كتابه الفتوحات الإلهية على هامش إيقاظ الهمم ص 38).
وهو يعني أن النقلي أرقى من العلم العقلي الذي يأتي عن طريق التفكير والدرس. أنظر : ابن الفارض والحب الإلهي : ذ. مصطفى حلمي، ص 246.
(2) في «ك» : غاية.
(3) في ر : وهو.
(4) في خ : لا تقف. وفي ك إلا ان تقف.
(5) في خ : ناقصة.
(6) في ر : تُبْنا.

صحبَةِ المشايخ [وخِدْمَتِهِمْ] مع امتثالِ أَمْرِهِمْ، وَلَوْ أفضت بنا إلى العَطَبِ، وتصديقِ قَوْلِهِمْ وَلَوْ كانَ مُحالاً. كَما قال «الشاذلي» رضي الله عَنْهُ : «إذا جالَسْتَ إِلَى الكُبَراءِ، فَدَعْ ما تَعْرِفُ لِمَا لا تَعْرِفُ، لتفوز بِالسِّرِّ الْمَكْنونِ»[1].

ثُمَّ ذَكَرَ وَبالَ مَنْ وَقَفَ مَعَ عَقْلِهِ فَقَالَ :

أَبادَ الوَرَى بالْمُشْكِلاتِ وَقَبْلَهُمْ بِأَوْهامِهِ قَدْ أَهْلَكَ الْجِنَّ وَالْبِنَّا

الجِنُّ وَالبِنُّ[2] : قبيلَتانِ مِنَ الجِنِّ عَمَّرَتَا الأَرْضَ قَبْلَ آدَمَ، هَكَذا وُجِدَ بِخَطِّ القَوْري[3]، أما الجن فَقَدْ ذَكَرَهُ في القاموسِ وَنَصُّهُ : والجِنُّ بالْكَسْرِ : حَيٌّ مِنَ الجِنِّ مِنهُمْ الكلابُ السُّودُ البُهْمُ أو سَفَلَةُ الجِنِّ وَضُعَفاؤُهُم أو كِلابُهُمْ أو خَلْقٌ بَيْن الجِنِّ والإِنْسِ.

وأَمَّا البِنُّ[4] : فَقَالَ في القاموسِ أَيْضاً : البِنَّة: الرِّيح الطيبة. ثم قال : وَمَوْضع بِكَابل، وَبَلْدَة بِبَغْداد، وحِصْنٌ بالأَنْدَلس. فَلَمْ يَذْكُر أَنَّهُ من قبائِلِ الجن، لكن مِنْ أَثْبَتِ حجة و لمْ يَذْكُرْه في مادّة المقصور.

يقول رضي اللَّهُ عَنْهُ في ذَمِّ الْعَقْلِ : «أبادَ الْوَرَى» إلى من وَقَفَ مَعَهُ. وحَكَّمَهُ في أمورِ عقائِده. أي أَهْلَكَهُمْ وَأَتْلَفَهُمْ بالْمُشْكِلاتِ النظرية ردّاً وَقَبولاً، إن العقْل إذا لَمْ يتَأَيَّد بأَنْوارِ الشريعة وَلَمْ يَقِفْ مَعَ الحِجابِ الأَعْظَمِ، وهو النبيّ ﷺ، ضَلَّ وَأَضَلّ. وَهَذا سَبَبُ هَلاكِ الْمُعْتَزِلَةِ[5] والْقَدرية[6]

(1) قول الشاذلي كذلك : «من آداب مجالسة الأكابر عدم التجسس على عقائدهم، لأن آداب مجالسة العلماء عدم تحديثهم بغير المنقول»
كتاب طبقات الشاذلية الكبرى، نفس المعطيات ص 44.

(2) في ر : البنا.

(3) في «ر» و«خ» : النووي. ولعله يعني به الشيخ القوري.

(4) في ر : البنا.

(5)، (6) المعتزلة : فرقة من أهم الفرق الكلامية ظهرت في ق 2 هـ، وهي حركة عقلية منظمة تقوم على شرح العقيدة والدفاع عنها. وقد اجتمعت رغم تعدد فصائلها، على خمسة أصول هي : التوحيد، العدل، الوعد والوعيد، المنزلة بين المنزلتين، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وسميت بالقدرية تاريخيا، لقولهم القدر خيره وشره من الإنسان.

والجهمية[1] وغيرهم من الطوائف الضَّالَة، الاثنين والسَّبعين المفترقة في هذه المِلَّةِ[2] ومن قَبْلِهِمْ من **الفلاسفة والطَّبائِعيينَ**[3] وأضْرابهم حَيْثُ لَمْ يتقَيَّدُوا بالْوَحْيِ الإلَهِيّ. بل اسْتَصْغَرُوهُ كَمَا قال تعالى : ﴿**فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ**﴾[4] [أي سُرُّوا بما عِندَهُمْ واسْتَهانُوا بغَيْرِهِ بقَوْلِهِ : ﴿**وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ**﴾[5]].

قيل إنه صادقٌ بالفلاسفَة وإنَّهُمْ اعْتَقَدُوا أنَّ عِنْدَهُمْ من العلم ما يَسْتغنونَ بِهِ عَنْ عِلْم الأنبياءِ عليْهِمْ السلامُ. وَلَمَّا سَمِعَ «**سقراط**»[6] الحكيم «**بموسى**» عليه السلام. قيل لهُ : لَوْ هاجَرت إليه فقال : نَحْنُ قَوْمٌ مهذبون لاحاجَةَ إلَى مَنْ يهذبنا.

وَرَأى بَعْضُ الصَّالحين النّبي ﷺ فَسَأَلَهُ عن «**ابن سيناء**»[7]، فقال ﷺ : إنَّهُ أَرادَ أنْ يَصِلَ إلَى الله من غير واسِطَة، فانْقَطَعَ عن اللَّهِ. قلت : وَعَلَى فَرْضِ

---

(1) الجهمية : في خ : الجمامية، وهو تحريف.
والجهمية هي فرقة دينية سياسية، وهي عكس المعتزلة، تقول بالجبر، وأن القدر خيره وشره من اللّه لا من الإنسان. وتنسب الجهمية إلى أحد مؤسسيها : «الجهم بن صفوان».

(2) كما جاء في الحديث الشريف : «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاثة وسبعين فرقة... كلهم في النار إلا ملة واحدة... ما أنا عليه وأصحابي» عن أبي هريرة رضي الله عنه.
أنظر كتاب «الفرق بين الفرق» لعبد القاهر البغدادي، الباب الأول ص : 4-5 دار الآفاق الجديدة، بيروت ط 4، 1980م.

(3) الطبائعيون : فلاسفة المدرسة الطبيعية اليونانية، الأيونية المعروفون «بالفلاسفة الطبيعيين» والذين أرجعوا حقيقة الوجود إلى أحد عناصره (الماء، الهواء، النار، التراب) ـ الاستفساطات ـ مثل : طاليس (ق 5 ق م) = أصل الوجود ماء. أو ديموقريطس (ق 5 ق م) = أصل الوجود النار.

(4) غافر : 83.

(5) النحل : 34.

(6) في «ر» و «خ» و«ك» : بقراط، والمقصود هنا سقراط الفيلسوف لأن بقراط كان طبيبا وهو صاحب القسم المهني المشهور.

(7) ابن سينا هو أبو الحسين بن عبد اللّه بن الحسن بن علي، الملقّب بالشيخ الرئيس ولد في بخارى 370هـ/890م. وتوفي 428هـ/1038م. طبيب وفيلسوف ومنطقي..

وُقوفِهِمْ بَعْد رياضة نفوسهم وتهْذيبِهَا على التجريد وانْكشافِ حضرة القدس لهم، فَلا يظفَرونَ بالعُبودِيَة المحضة، وَلاَ بالفَناءِ في التوحيد الخاص الصرف، ولا التخلص التام مِنْ لَوْثِ وجودِهِمْ. لأن الشّأْنَ أن تكونَ عَيْن الاسْمِ لا أَنْ تَعْرِفَ الاسْمَ والْعَيْنَ، وَأَنْ تُقْتَبَسَ من مشكاةِ مَهْبط الْوَحْيِ وانصباب أَنْوارِ الغَيْبِ، إنَّمَا تَفيضُ بواسِطَةِ دَرَّة الوجود ومظهر سر العيّان والشهود الأحمدي الأحدي صلى الله عليه وعلى آله وسلم. فافهم.

قال شيخ شيوخَنا أبو زيد العارف سيدي «**عبد الرحمن الفاسي**»[1] رحمه الله تعالى ورضي عنه.

والحاصِلُ أنَّ مجرد العقل لا يُنْجِي صاحِبَهُ، بل يضرُّهُ إنْ وَقَفَ مَعَهُ، وَلأنه لا ينفذ سالك إلى اللَّهِ تعالى إلاَّ بالغَيْبَةِ عَنْهُ[2] فيتَلَقَّى في بدايَتِهِ ما يَرِدُ مِنْ قِبَلِ شَيْخِهِ وتسليمه له بالكلية ولَوْ كانَ مُحالاً في نَظَرِهِ. فإذا انقاد واستسلم اعتقد، وإذا اعتقد أدخله الله حضرة قدسية بواسطة شيخه فيتلقى حينئذ ما يَرِد عليه مِنْ رَبِّه. وإذا تلقى ما يرد عليه من ربه تَرَكَ عَقْلَهُ وَراءَ ظَهْرِهِ. لأنَّ نورَ الْعَقْلِ كَالْقَمَرِ، ونور الْمَعْرِفَةِ كَالشَّمْسِ، وَلاَ وجودَ لنور القمَرِ عِنْدَ سطوع الشَّمْسِ. وَهَذا قَبْلَ كَمالِ تصفِيَتِهِ كَمَا سَيَأْتِي إن شاء الله[3].

---

(1) عبد الرحمن الفاسي : أبو زيد بن عبد القادر ولد 1040هـ.
انظر ترجمته بشجرة النور الزكية، 325.

(2) وقد ذهب الشيخ الأكبر، «محيي الدين بن عربي» في التأكيد على أن «مجرد العقل لا ينجي صاحبه» ولاَ يوصله إلى الحقّ إن كان غير ملتزم ومتقيد بالشرع. وفي هذا الصدد يقول عن تمايزهما وعلاقتها :

«لـلشـرع نـورٌ ولـلألْـبـاب مـيـزانُ ... والشَّـرْعُ لـلـعَـقـل تـأيـيـدٌ وسُـلْـطـانُ
وَٱلْـكَـشْـفُ نـورٌ وَلَـكِـنَّ لَـيْـسَ تُـدرِكُـهُ ... إلاَّ عُـقـولٌ لَـهَـا في ٱلْـوَزْنِ رجْـحـانُ

واعْلم يا أخي أن العقول بأسرها : المَلَكِيَّة والبشرية بل العقل الأول الذي هو أول موجود في عالم التدوين والتسطير قد عَلِمَتِ قصورها وجهلها بحقيقة ذات باريها، وأنها ما تعرف من هذه الذات المنزهة إلا قدْرَ ما يطلبُ العالم...». (رسائل ابن عربي ط 1، دار صادر، 1997، كتاب الوصايا، ص 503، 504.

(3) في خ : يأتي.

وَقوْلُهُ : «وَقَبْلَهُمْ قَدْ أَهْلَكَ بِأَوْهامِهِ الجِنّ والبَنّا». يعْني : أنَّ العَقْلَ قد أهلك قَبْل الوَرى[1]. أي الإنسان أهْلَكَ بأَوْهامِهِ وتزيينه[2] قبيلتين من الجنّ، وزين لهم[3] الكفر والفساد حتى حارَبَتْهُمُ الملائكة وَأَسَرَتْ أَباهُمْ إبْليس، فَأَسْلَمَ وَعَبَدَ الله في السماوات. فَلَمَّا أُمِرَ بالسُّجودِ لَهُ زين له عقلُه[4] التكبر فَطُرِد وَأُبْعِدَ، وَلَوْ خَرَجَ عَنْ عَقْلِهِ ورأيه فاسْتعمل القياسَ الفاسِدَ في تَفْضيل النّارِ علَى الطين وَباللَّهِ التوفيق[5]. وإذا كانَ العقْلُ مَهْلَكَةً فالخروج عنه واجِبٌ وعلَيْه مَدارُ السُّلوك. كما أبانَ ذلِكَ بِقَوْلِهِ :

مَحَجَّتُنا قَطْعُ الحِجا وهو حجتُنا ... وَحُجَّتُنا تَتْلوهُ باءٌ بِها تهْنا[6]

يقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «محجَّتُنا» أي طريقتنا التي نسلك عليها إلى ربِّنَا هي «قطع الحِجا». أي العَقْل أي الغَيْبَة عَنْهُ بالاشتغال بِذِكْرِ اللَّهِ والفناء فيه، حتَّى تفيض علينا أنْوار المواجهة والشهود، فَتَغيب عَنِ الشاهد بالمشْهودِ. فَلَيْسَتْ طَريقتُنا طريقة اسْتِدْلال [لفَهْمِ الطَّريق] حتَّى نحتاج فيها إلى الْعَقْلِ، بل إنّما هيَ طريقة أذْواقٍ وَوُجْدانٍ، يغيبُ الدَّليلُ في المَدْلولِ والذَّاكِرِ في المَذْكورِ والواصل في المَوْصول، فَنَسْتَدِل باللَّهِ على غَيْرِهِ فَلاَ نَجِدُهُ. وهَذا هُوَ حجُّنا وغايَة بُغيَتِناوعَرَفةُ وقوفنا، مَنْ وَصَلَ إليه تَمَّ نُسْكُهُ وَحَجُّه، وَمَنْ تَعَوَّقَ عنْهُ خابَ سَعْيُهُ وضاعَ تَعَبُهُ. وهو[7] أيضا حُجَّتُنا وَبُرْهان مَعْرِفَتِنَا، فَمادامَ

---

(1) في خ : إن العقل قبل الوراء.

(2) في «ر» و«خ» : تربيته.

(3) في «خ» و«ر» : والبن زين له.

(4) في خ : «زين» ناقصة، وفَهْمُهُ، بَدل : عقله.

(5) في «ر» و«ك» : وباللّه التوفيق» ناقصة.

(6) هذا البيت، ورقمه في النونية (21) في «ر» : ناقص. ومُلَخَّصُهُ أن سبيل التصوف ليس سبيل العقل، بل سبيل الذوق، و هو المراد بقطع الحجا والوصول إلى الله عن طريق سلوك الذوق والوجدان، وهو المقصد الأسنى، وهو محجتهم، حجتهم. وقوله «باء بها تهنا» يقصد بها «باء الوحدة» الذي بها كان وسيكون الوجود. استنادا للقول المأثور : «بي كان وبي يكون كل ما هو كائن».

(7) في «خ» و«ك» : وهذا.

السَّالِكُ يَفْتَقِرُ إلى الاسْتِدْلالِ فَهُوَ في الطَّرِيق وفي هوة عقله غريق، فإذا اسْتَغْنَى عنِ الدَّليلِ بشهود المدلول ورُؤيتِه، فقد تحقق بوُصولُه إلى عين التحقيق وبغيته.

قال في الحِكَم : «إلهِي كيْفَ يُسْتَدَلُّ علَيْكَ بما[1] هُوَ في وُجودِهِ مُفْتَقِرٌ إلَيْكَ، أيكونُ لِغَيْرِكَ مِنَ الظُّهورِ ما لَيْسَ لَكَ، مَتَى غِبْتَ حَتَّى تحتاج إلى دليلٍ يدلُّ عليكَ. ومتى بَعُدَتْ حتى تكون الآثار هي التي تُوصِلُ إليكَ»[2].

وقول صاحب الحكم بما هو في وجوده مُفْتَقِرٌ إلَيْكَ يشير إلى حِسّ الْكائِناتِ، مَعَ أنَّها لا وجودَ لَهَا أصْلاً، لأن المَعْرِفَةُ اسْتهلاكُ الحِسِّ في المَعْنَى. وقال الشّيخ «**أبو العباس**» رضي الله عَهُ : «كَيْفَ يُعْرَفُ بِالْمَعارِفِ مَنْ بِهِ عُرِفَتِ الْمَعارِفُ»[3]. وأَنْشَدُوا :

عَجِبْتُ لِمَنْ يَبْغِي عَلَيْكَ شَهادةً وأَنْتَ الذِي أَشْهَدَتَهُ كُلّ شاهِدِ

وَفِكْرة العقل التي هي من **الاعتبار**[4] تَعْمشُ عَيْنَ البصيرة التي هي مَبْنَى فِكْرَةِ أهل الاسْتِبْصارِ، ولا نخلص[5] لأهل الاستبصار إلاَّ بقطع موادّ العَقْلِ والاسْتِدْلالِ. وقوله : «تَتْلوهُ باء» : أي وَتَتْلُو ما ذُكِرَ من حَجّنا وحُجَّتِنا باء الْوَحْدةِ، لأننا قد تِهْنا بِها وغِبْنا في بَحْرِها عن وجودِنا وَرَسْمِنا وَعَقْلِنا وَفَهْمِنَا. ولله درُّ شيخ شيوخنا «**سيّدي عبد الرحمن المجذوب**»[6] حيث قال :

يـا قـرِئِـينَ عِـلْـمَ التَّـوْحِـيـدْ اهـنـا الـبـحـورْ الـلّـي تَـغْـبِـي
هَـذا مَـقـامْ أَهْـلِ التَّـجْـرِيـدْ الْـــواقِـــفينْ مَـــعَ رَبِّـــي

---

(1) في «ر» و«خ» : بمن.
(2) الحكم : أنظر شرح الحكم، ج 2، ص 216.
(3) في «ر» و«خ» : أبو الحسن. ويقول رضي الله عنه في نص آخر : «العارف بالله تعلى لا تنغصهُ حُظوظ النف، لأن بالله تعالى فيما يأخذ وفيما يترك» عناب الطبقات ص 29.
(4) الاعتبار : من العبرة واستعمال العقل والبصيرة، وهو عند الصوفية : أن يرعى الصوفي الدنيا للفناء والعاملين فيها للموت وعمرانها للخراب. وقيل هو اسم المعتبرة، وهي رؤية الدنيا كلها باستعال النظر في فناء جزئها...
(5) في خ : تَخْلُفُ : وهو تحريف.
(6) عبد الرحمـن المجذوب : صوفي وزجال مغربي توفي سنة 1562م.

وباءُ الوَحدةِ تشير إلى : بِي كانَ وبي يكون كل ما هو كائن في توحيد الأفْعال، وَبِي قامَتِ الأشْياء في توحِيد الصفات[1]. فإذَا غَرِقَ الْعَبْدُ في تَيَّارِ بَحْرِ الذَّاتِ، غابَ عَنْ حُكْمِ عَقْلِهِ واسْتَغْنَى بِشُهودِ رَبِّهِ عن الاسْتِدْلال بِعَقْلِهِ، إذْ لَيْسَ الخَبَرُ كَالعِيانِ. ونقطة الباءِ يُشيرونَ بَها إلى نقطة الكَوْنِ. لأنه مَظْهَر تَجَلّي الذاتِ الأقدس فهو مُعَرِّفٌ لها، كَما عُرِفَتِ الْباءُ بِنُقطتِها. وقد سأل «الجُنَيْد» «الشِّبْلي» مَنْ أَنْتَ؟ فقال : أنَا نقطة الْباء.فَأجابَهُ «الجُنَيْد» بتحقيق ذَلِكَ إذ قال له :

«أنْتَ شاهِدٌ مَا لَمْ تَجْعَلْ لِنَفْسِكَ قَدْراً»[2] أي أنْتَ محقّق لمعْرِفَتي لأنَهُ شيخهُ، مَا لَمْ تُثْبت لنفسك وجوداً مع الحقّ، لأن النقطة لها انفصال [عن الباءِ] وَلاَ انْفِصال[3] للعارف عن معروفه، وَلاَ للكَوْنِ بِأَسْرِهِ عَنِ التجلّي بهِ. وَقَدْ أَشارَ النّاظِمُ إلَى هذا المَعْنَى في قصيدته المشهورة، حيث قال :

نُقْطَةَ الباءِ كُنْ إذا شِئْتَ تَسْمو ... أَوْ فَدَعْ ذِكْرَ قُرْبِنَا يا مُوَلَّهْ[4]

ويحتمل أنه يُشير بنقطة الباءِ هنا إلى العبودية، وهي التجلّي بالسُّفليات [دون العلويات]، لأنَّها سَبَب السمو والارْتفاع، واللَّهُ أعْلَمُ.

ومن الوبال الوقوف مَعَ الْعَقْلِ الذي يُبْطِئُ السّيْرَ كما قال رضي الله عنْهُ :

يُبْطِئُنا عند الصُّعودِ لأنَّهُ ... يَوَدُّ لَوْ أَنَّ للِصَّعِيدِ قَدْ أَخْلَدْنَا

يقول رضِيَ الله عنه في شأْنِ الْعَقْلِ وحاله : إنَّهُ يُبْطِئُنا، أي يعوقُنا عن الصعود عَنْهُ إلَى أسْرارِ التوحيد الخاصّ بالوقوفِ مَعَ دَلاَئِلِهِ وَبراهينه، لأنَّهُ يَرَى أَنَّ ما أَدْرَكه لا غايَة فَوْقَهُ. وَأَسْرارُ التوحيدِ الخاصّ خارجة عن مداركِ العقول، وإنما كان يُبْطِئُنا عن الصعود مِنْهُ إلَى التَرقِّي في مَدارِجِ تلك الأسْرارِ لأنَّهُ لا يُحِبُّ أَنْ نُفارِقَهُ، بَلْ يُحِبُّ بَقاءَنا في عقالِه أبداً[5].

---

(1) في «ر» و«خ» : الذات.

(2) قول الجنيد : الرسالة القشيرية، نفس المعطيات، ص 20.

(3) في ر : ولا فصل.

(4) القصيدة : سنة المحبين، ديوان الششتري ص 57 البيت الثامن.

(5) في ر : في عقالنا وفي «خ» و«ر» : أبداً ناقصة.

وَكَذَلِكَ العوائد التي تَعَوَّدْنَا بِهَا لا تُحِبُّ أنْ نُفارقها، وكذا حُظوظ النَّفْسِ لاتُحِبُّ أنْ نَخْرُجَ عَنْها. بل جميع ذَلِكَ يحبُّ أن نَخْلُدَ للصَّعِيد، أي نُقيمَ في عالَمِ الأشباحِ، وهو عالم الصلصال حتَّى نبقى في قياده[1] مرهونين مَعَهُ[2]. فيشغلنا العقل بعلومِهِ وفهومِهِ وأوهامه وأحكامِهِ، وتشغلنا العوائد بالوقوف مَعَها، والنفس بالعكوف على حظوظها. وكُلُّ هَذا مانِعٌ لإشراق أنوار التوحيد والعروج إلى أسرارِ التّفريد. فَلابُدَّ مِنَ الخروج عن العقل وَخَرْقِ العوائِدِ، ومُخالفة النفس. وإلاَّ بقينا في عالَم الأشْباح مَحْجوبين عن عالمِ الأرواح، مَسْجونينَ في ظُلْمَةِ الأكوانِ عن شهودِ الْمُكَوِّنِ.

تنبيه

تنبيه : لكل نبيه ما ذَكَرَهُ الناظم من ذَمِّ الْعَقْلِ إنَّما هو لِمُريد سُلوك طريق الأذْواق، فَلابُدَّ له أنْ يَنْعَزِلَ أوَّلاً عن عَقْلِهِ وَعِلْمِهِ وَفَهْمِهِ، وينظر إلى ما يشير به عليه شيخُهُ. حتى يزُجَّ بهِ[3] في [نورِ] الحَضْرَةِ، فيستغني حينئذ بذَوْقه عَنْ عَقْلِهِ. وَأَمَّا مَنْ قنَعَ بمَقام الإيمان وبَقِيَ في محلّ الاستِدلالِ والبُرْهانِ. فلابُدَّ مِن اسْتِعْمالِهِ والاعتناء بشأْنِهِ في اسْتِخْراجِ البراهِين العقلية والنَّقْلية. لأنه ما عُرِفَ الإلَهُ إلا بِهِ، وَلاَ عُبِد إلاَّ بِهِ. وفي الحديث : «**قِوامُ الْمَرْءِ عَقْلُهُ. وَلا دِينَ لَمَنْ لا عَقْلَ لَهُ**»[4].

وَقالَ أيضا[5] عليه الصَّلاة والسلامُ : «**المَغبونُ مَن أخطأ حظَّهُ مِنَ الْعَقْلِ، وما تَوَصَّلَ النَّاسُ بشيءٍ أفضل منه في الدّنيا والآخرة**»[6]. وقال أيضاً : «**أساس الدِّين الْعَقْلُ، وسَيدُ النّاس أَعْقَلُهُمْ**»[7]. وقال : «**سَيِّدُ أهْلِ الجَنَّةِ بعد الْمُرْسَلينَ أَفْضَلُهُمْ**

(1) في ر : قيامه : وهو تحريف.
(2) ر : «معه» ناقصة.
(3) في ر : رجع به. وفي خ : فإذا زُجَّ به.
(4) الحديث. ابن حجر : المطالب العالية، في باب العقل وفصله.
(5) في خ : ناقصة.
(6) الحديث. النص بهذا المعنى ورد في مدح العقل وفضله للوطواط صاحب كتاب غُرَر الخصائص الواضحة.
(7) الحديث. لم نجده فيما لدينا من مصادر الحديث الشريف.

عَقْلاً»[1]. وقال: «مَوْتُ أَلْفِ عابدٍ صائِمِ النَّهارِ قائِمِ اللَّيْلِ، أَهْوَنُ مِنْ مَوْتِ عاقِلٍ عَقَلَ عن اللّٰهِ أَمْرُهُ وَنَهْيَه وَما أَحَلَّ لَهُ وَمَا حَرَّمَ عَلَيْهِ، وانْتَفَعَ بِعِلْمِهِ وَنَفَعَ بِهِ وإِنْ كانَ لاَ يَزِيدُ عَنِ الفَرائِضِ التي فرض عز وجل عليه كبير زيادةٍ»[2].

وقال ﷺ: «قَسَّمَ الله الْعَقْلَ على ثلاثة أجزاء، فَمَنْ كُنَّ فيهِ كَمُلَ عَقْلُهُ وَمَنْ لَمْ يَكُنْ فيه فَلا عَقْلَ لَهُ: حُسْنُ المعرفة بالله، وَحُسْنُ الطَّاعَةِ. وَحُسْنُ الصَّبْرِ على أَمْرِهِ وعن نهيه»[3].

والعَقْلُ عَلى قِسْمَيْن: عَقْلٌ مَوْهوبٌ، وعَقْلٌ مَكْسوبٌ. فَالْمَوْهوبُ هُوَ الَّذِي يَسْتَعْمِلُهُ صاحِبُهُ فيما يُقَرِّبُهُ إلىَ ربه. ويُعَرِّفُهُ به. والمكسوبُ، الَّذِي يَكْسِبُهُ العَبْدُ بالتجارب والمِحَنِ[4]، وَيَسْتَعْمِلُهُ صاحِبُهُ في أمرِ دُنْياهُ، والله تَعَالى أَعْلَمُ.

ثم أخذ في ذِكْرِ تَطَوُّراتِه[5] وتحويلاتِهِ فَقالَ:

تَلوحُ لَنَا الأَطْوارُ مِنهُ ثَلاثَة: كَراءٍ وَمَرْئِيٍّ ورُؤْيَةِ ما قُلْنَا

يقول رضي اللهُ عَنْهُ: إنَّ العَقْلَ يَتَطَوَّرُ باعْتِبارِ كَمالِهِ وَنُقْصانِهِ[6] على ثلاثة أطوارٍ: فَتارة يتطور باعْتِبَار الرَّائي، أي[7] الناظر [بهِ فيه][8] فيتطوَّر بوَصْفِهِ، فإنْ كان النَّاظِرُ بِهِ كامِلاً اتصف عمله بالكَمالِ، وإنْ كانَ ناقِصاً

(1) الحديث. كتاب الفردوس بمأثور الخطاب ج 2 ص 325 المؤلف أبو شجاع شرويه ت 509 هـ.
(2) الحديث. إحياء علوم الدين للغزالي عن عمر (ض) الإحياء ج 1 ص 9. دار النشر المعرفة بيروت.
(3) الحديث. كتاب مسند الحادث، (زوائد الهيثمي) ج 2 ص 800.
(4) هذا التعريف «للعقل» أورده في هذا المعنى «إسحاق بن وهب» كتاب «نقد النثر»، ص 6، بيروت 1980.
وكذلك «الغزالي» في «إحياء علوم الدين» ج 1، ص 145، دار الفكر، بيروت 1980.
(5) في ر: تطويراته.
(6) في ر: نقصانه به.
(7) في ر: «أي» ناقصة.
(8) في خ: «فيه» ناقصة. وفي ك: به فيه ناقصة.

اتَّصَفَ بالنُّقْص وكماله في الرائي باعْتبارِ عِرْفانِهِ وإيقانه[1] وَزُهْدِهِ وَوَرَعِهِ، وصلاحِهِ وَكَمالِ، وَقُرْبِهِ مِنْ رَبِّهِ وطاعته. ونقصانه فيه باعْتبار جَهْلِهِ وضُعْفِ يَقينِهِ وَحِرْصِهِ وطَمَعه، وجزعِهِ وَبُعْدِهِ مِنْ رَبِّهِ وَفِسْقِهِ.

فالعقْلُ يَزْدادُ نورُهُ بالطاعةِ والنَّزاهَةِ والعِفَّةِ والتفرُّغِ مِنَ الشَّواغِلِ، وتنقُصُ بالمعصية والحرص[2] وحبّ الدّنيا والحظوظ واتّباع الهَوَى. كما قال الشاعر :

إنارَةُ العَقْلِ مَكْسوفٌ بطَوْعِ الهوَى[3]   وَعَقْلُ عاصِي الْهوَى يَزْدادُ تَنْويراً

وتارةً يُنْظَرُ فيها باعْتِبارِ الْمَرئي، أي المنظورِ فيهِ فيتَطوَّر بنَعْتِهِ ووصفه، فإن كان النظر فيه علوماً نافعة أو أحوالاً سَنِيَّةً يريد الظهور فيها[4]. ظهر فيها. أو مقامات عالية يريد الترقي إلَيْها لِكَمالٍ أو مَعْرِفَة كامِلةٍ يريد الصُّعودَ إليْها، ترقي بعقله[5] في معارجِها. فهذا العقل كاملٌ بكمالِ المنظور فيه، وهو المُرادُ بالمَرْئيِّ. وإن كانَ الْمَرْئيُّ أي المنظور فيه ناقصاً، كالعلوم الجدلية، أوْ فَلْسَفِية، أوْ الأقْوال الفاسِدَةُ تُسَوِّسُ بَذْرَةَ الإيمانِ، أوْ كان أمورا تخييلية أو وهْمِيةٌ للحقيقية، وَقِسْ على هذا.

فهَذا العَقْلُ ناقصٌ بنقصان المنظور فيه. وتارة ينظر[6] باعتبار ما قُلناهُ فيما سبق، فإنْ كان صاحِبُهُ يريد طريق الأذواق والْوُجْدانِ، فالنَّظَرُ بهِ نُقْصان والوقوف معه خِذلان. وإن كان صاحبه قاصدا تصحيح مقام الإيمان على طريق الاسْتِدلالِ والبُرهانِ، فالنَّظَرُ بهِ كَمال وعرفان واعْتباره واجبٌ في البراهين التي لا تُدْرَكُ إلاَّ بهِ في بابِهِ.وإن أَيَّدَه بأنْوار الشريعة، الكتاب[7]

---

(1) في خ : إتقانه.
(2) الحرص : البُخل والشُّح واليد المغلولة (لسان العرب).
(3) في «ر» و«خ» بطبع.
(4) في «ر» و«خ» : التجلي بها.
(5) في «ر» و«خ» : بعلمه
(6) في خ : أنظار. وفي خ : من الكتاب
(7) في ر : والكتاب.

والسنة، فهو كمال الكمال في بابه ؛ وهذا معنى قوله : «تلوح» أي تظهر لنا الأطوار منه ثلاثة : تارة يتطوَّرُ كراءٍ به، وتارة كمرئي فيه، وتارة كرؤية كما قلناه[1] فيما تقدم وسلف من التفصيل والله تعالى أعلمُ.

ثم ذكره النَّاظم أطواراً باعتبار الرأي فقال :

وَيُبْصِرُ عَبْداً عِنْدَ طَوْر بَقائِهِ وَيَرْجِعُ مَولَى بِالفَنا وَهُوَ لا يَفْنَى

يقول رضي الله عنه إنّ العقل يتطوَّر أيضاً باعتبار الرائي في مقام البقاءِ والفناءِ والسلوك والجذب، فإن كان صاحبه في مقام البقاء الأوَّل وهو مقام الحجاب، أَبْصَرَ العقل بأن صاحبه عبدٌ، ما بَرح عن مقام العبودية، وهو الشهود الأول وحقيقة رؤية خلق بلا حق، وإن كان صاحبه في مقام الفناء والمحو وهو شهود حق بلا خلق لغيبوبة العبد وفنائه ومحوه في شهود المعبود، أَبْصَرَ العقل بأن صاحبه في مقام الحرية[2] ويسمّى هذا **مقام الجذبِ**، وهو اختطاف العقل من شهود الكَوْنِ إلى شهودِ المُكَوِّن، أو من شهود الخلق إلى شهود الحقّ. فالعقل[3] لا يفنى بفناء صاحبه، وإنما يتغطَّى نوره بنور شمس العِرفان، كنور القمر مع الشمس. أو كما يتغطى نوره بالخمرة الحسية، كذلك يتَغَطَّى بالخمرة المعنوية الأزلية. فإذا صَحا المريد من سكرته وخرج من الفناءِ إلى البقاء الثاني، رجع نور العقل إليه فيميز به بين الحسّ والمَعْنَى وبين الحِكْمة والقدرة، وبين الشريعة والحقيقة. فيعْطي كل ذي حقٍّ حقهُ، ويوفي[4] كل ذي قسطٍ قِسْطَهُ.

فالبقاء بَقاءانِ : بقاءٌ أولٌ وهو بقاء النَّفس، وحقيقته شهود خلق[5] بلا حق. وبقاءٌ ثانٍ بقاء بِاللّهِ وهو شهود خلق بِحَقّ. فمراد الناظم البقاء[6] الأول،

(1) في خ : «كرؤية ماء» وهو تحريف. وفي ر : كرؤية ما كما قلنا.
(2) في خ : الفقرة من : «وحقيقة رؤية خلق...» إلى «مقام الحرية». ناقصة.
(3) في ر : الحق.
(4) في خ : «ويوفّى» ناقصة.
(5) في خ : «الخلق».
(6) في خ : «البقاء» ناقصة.

لأنَّ صاحبَه عبدٌ محض. وأمَّا البقاء الثاني فصاحبه [مخيَّر]، إن نظر[1] إلى نَفْسِهِ رَأى [نفسه] عبداً. وإن نظر إلى معناه وسرّه رأى ربا ، فهو يتطور كيْف شاء[2]، العبودية طوْعُ يديه[3] والحرية طوع يديه[4]. وهذه حقيقة العارفُ الكامِل، وقد يطور[5] العقل لوحاً وقلماً، كما أبان ذلِكَ النَّاظِم بقولِهِ :

وَلَوْحاً إذا لاحَتْ سُطورُ كِيانِنا   به فيهِ وَهُوَ اللَّوْحُ وَالْقَلَمُ الأدْنَى

يقول رضي اللَّهُ عنهُ : ويبصر العقل أيضاً لوحاً، أي كاللوح المحفوظ إذا لاحت سُطورُ الكائِنات، إذا صَفا وعظم[6] نورهُ حتى اتصل بالعقل الأكْبَرِ، وهو أوَّلُ نور فاض من بحْرِ الجبروتِ. وفي الحديث : «**أوَّلُ ما خلق اللَّه العَقل. فقال له : أقبل فَأَقْبلَ، ثم قال له : أَدبر فَأَدْبَرَ. ثم قال : فوعزَّتِي وجلالي لا أُعطيكَ إلاَّ لِمَنْ أَحْبَبْتُ مِنْ عِبادِي**»[7] وهو حديث متكلَّمٌ فيه بالوضع والضعفِ. ويُسَمَّى أيْضاً [هَذا العَقْل][8] : الرّوحَ الأعْظَم فإذا[9] تطَهَّرتِ الرّوح وَكمُلَ صفاؤهَا، استولى نورها على الكائِنات بِأَسْرِها. [فالعَقل والرّوح إذا كمُل تطهيرهما انْطوى فيهما جميع الكائنات] وصار كاللوح المحفوظ. وإلى ذلك أشار [**ابن البنا الصوفي**] في «المباحث الأصليةَ حيث قال[10] :

(1) في خ : رأى.
(2) في خ : يشاء.
(3)، (4) في خ : يده.
(5) في ر : يتطور.
(6) في خ : وتطهر.
(7) الحديث : رواه الطبراني في حديث أبي أمامه، وأبو نعيم من حديث عائشة بإسناد ضعيف (المغني 74/1) وقال ابن تيمية : إنه موضوع وكذب باتفاق، (تمييز الطيب ص 41) وقد جاء بالصيغة التالية : «أول ما خلق اللّه العقل، فقال له أقبل فأقبل، ثم قال : أدبر فأدبر، فقال : وعزّتي وجلالي ما خلقت خلقا أحسن منك، بك أعز وبك أدل، وبك أعطي وبك أمنع».
(8) في «ر» و«ك» : «العقل» ناقص.
(9) في ر : فإن.
(10) وابن البنا هذا، كما أورد ذلك ابن عجيبة في شرح المباحث الأصلية ج 1 ص 6، غير صاحب الحساب فإنه ابن البنا الصوفي توفي بمراكش سنة 721هـ. وقد ذكر ذلك صاحب الجذوة.

أَعْقِلْ فأَنْتَ نسْخة الوجودِ ... للهِ ما أَعْلاكَ من موجودِ
أَلَيْسَ فيكَ العرشُ والْكُرْسِيُّ ... والْعالَم العُلْوي والسّفليّ
مَا الكَوْنُ إلاَّ رجُلٌ كَبير ... وأنت كَوْنٌ مِثلُه صَغيرُ

وقال النّاظِمُ في بعض أزْجالِه[1] :

وأَنْتَ مرأَى للنظر قطب الزمانِ ... وفيك يطوى ما انتشر مِنَ الأواني

وقوله [هنا] : «سطور كياننا»، أصْله كواننا جمع كون[2] فيجمع على أكوانٍ وكِوانٍ، أي يصير لوحاً إذا لاحَتْ سُطور أكْوانِنَا لصاحبِهِ فيه ؛ أي في عَقْلِهِ. وهو حينئذ اللَّوْح المحفوظ الأدْنَى [والقلم الأدْنَى]، أي الأصغَر، إذِ الأكبَر هو اللَّوْح المحفوظ والقلم الذي يكتب فيه. ومِن تصرُّفِهِ بالقلمية في لوحه ما ذكره [الناظم][3] بقوله :

يَمُدُّ خطوطَ الدَّهْرِ عِنْدَ الْتِفاتِهِ ... إحاطَتُهُ الْقُصْوَى الَّتي فيها أُظْهِرْنا

يقول رضي الله عنهُ : لَمَّا شَبَّهَ الْعَقْلَ بالْقَلَمِ إذا اتَّصَل نوره بالعَقْلِ الأكْبَرِ يمدُّ هذا العقل خطوط الدّهْر. فيتجلى[4] فيه الماضي والآتي والحال. فَكَأَنَّ الأزْمِنَة قد كُتِبت وسطرت في مرآته من مَدَدِ نُورِهِ عند التفاتِه إلَيْها، فيرى الأول عيْن الآخر والماضي عين الحال والاستقبال. لأن المتجلي في الأزمنة كلها واحد، وهذه إحاطته القصْوى وغاية إدراكه. وأما تفاصيل كيفياتها[5] وما يقع فيها من المقدوراتِ، فمن شأن الرّبوبية. لأننا في هذه الأزمنة أظْهَرْنا وظَهَرَ وجودنَا، فلا نعرف وراءها تَفْصيلاً وهي سِدْرَة منتهى الْعقل، كما أبان ذَلِكَ [النَّاظِمُ] بقولِه :

(1) الديوان : ديوان أبي الحسن الششتري نفس المعطيات السابقة.
(2) في خ : «جمع كون» ناقصة.
(3) في «ر» و«ك» : الناظم : ناقصة.
(4) في خ : فيجلى.
(5) في ر : كفائتها.

أقــامَ دُوَيْــنَ الــدَّهْــرِ سِــدْرَةَ ذاتِــهِ
ونَحْنُ وَنفسُ الكُلِّ في وَصْفِهِ حِرْنا[1]

قلتُ : دُوَيْنَ : تَصْغير دون، وهو ظرف لأقامَ، والدهر عبارة عن دورة الفلكِ الأكبر. وسِدْرَةَ مفعول أقامَ، ونحن مبتدأ، وصِرْنا خَبَرٌ، وفي وصفه متعلق بهِ. يقول رَضِيَ الله عنهُ في شأن العقل الأصْغَرِ : أقام سِدْرَةَ ذاتِهِ ومنتهى عِلْمِهِ دون إحاطَة الدَّهْرِ ودورة أفْلاكِهِ، فلا يعرف ما وراءها من الأسْرار اللطيفة التي لا نهاية لها، ولا حدّ فوقاً ولا تحتاً ولا طولاً ولا عرضاً.

وَرُوِيَ أن مَلَكاً استأْذَنَ الله تعالى أنْ يصعد[2] في هذه الأسْرار الخارجة عن العرش، فأَذِنَ لَهُ، فطار ثلاثين ألْفَ سنة، فقال : أيْنَ أنْتَ يا رَبِّ!؟ فقالَ : «أنا مَعَكَ»، ثم طار ثلاثين أخرى، فقال : أَيْنَ أَنْتَ يا رَبّ !؟ فَقال : «أنا مَعَكَ». فتابَ وطلب الرجوعَ إلى عشه[3]، فالعظمة المحيطة بالأكوان أي بكورتها لا نِهايَة لَها.

فالعقل المعقول مسجون بمحيطاتِهِ محصور في هَيْكل ذاتِ صاحِبه، فلا يرى إلاّ حِسّ الكائنات المحيطة بِه. ولو كمل نورهُ واتّصل بنور العقل الأكْبَر، لخرجَتْ فِكْرَتُهُ عن دائِرَة الأكوان إلى شهودِ المكوّن في دائِرة مكوِّناتِهِ، وفيما خرج عَنْها مِنَ الأسْرارِ التي أحاطَتْ بِأَفْلاكِ الأنْوارِ. ومع[4] كَوْنِ العقل عاجزاً عن النّفوذ إلى ما وراء أفلاكِ الدَّهر، فقد حار النّاس [في وصفه][5] عموما وخصوصاً، فلم يقفوا على كُنْهِ حقيقَتِهِ ولا أيْن محَله. وهذا مَعْنَى قوله: «ونحن ونفس الكُلّ في وصْفه حِرْنا» وأقرب ما قيل فيه : إنه نور لطيف تُدرك به العلوم الضرورية والنظرية قيل محَلَّه الدّماغ، وهو مذهب الفلاسفة.

(1) في «خ» و«ر» : وَوَصْفُ الكُلِّ. وفي «ر» : صرنا بدل حرنا.
(2) في ر : «أن يصعد» ناقصة.
(3) في ر : عيشه.
(4) في خ : مع.
(5) في خ : «في أفلاكه بل وصفة».

وقيل محله القلْب، لقوله تعالى : ﴿فَتكونَ لَهمْ قلوبٌ يَعْقِلونَ بِها وآذان يسمعون بِها﴾[1] وجمع بعْضهم بين القَوْلَيْنِ بأن قال : محله القلبُ ويتصل شعاعه بالدّماغ بدليل أنَّ الإنسان إذا ضُرِبَ في دماغِه اختلَّ عقلُه، والله تعالى أعْلَمُ بأسرار حكمته.

ثم ذكر [الناظم] تطويرا آخر فقال :

يقيِّدُ بالأزْمانِ للدَّهْر مِثْلَ مَا　　　يكيّف للأجْسامِ مِنْ ذاتِهِ الأيْنا

يقول رضيَ الله عنْهُ : مِن[2] شأن العقل أن يقيد الدَّهر بالأزمنة الثلاث[3] الماضي والمسْتقبل والحالِ. فالحركة التي انْقَضت[4] من الفلك، زمانها ماض، والآتية زمانها مستقبل، والحاصلة، زمانها حالٌ، ولوْلا العقل لَاسْتَوَتِ الأزمنة. ألا تَرَى أَنَّ غَيْرَ العاقلِ لا شعور له بهذه الأزمنة، فإذا صَفا نور العقل وتوجَّه لِمَوْلاه، غابَ عن الماضي والمُسْتَقبل، واشتغل بعمارة الأرض الوَقتَ الذي هو فيه.

وأما العقل الأكْبَرُ، فالأزمنة عنده شيء واحد لرؤيته المتجلى بها[5]، وهو واحد. فصاحب الشهود غائب عن الماضي والمستقبل والحال، وعن الدّنيا والآخرة، لاسْتِغراقه في شهودِ الحقّ الّذي لا يتقيد بزمانٍ ولا مكانٍ بل هو عيْن الكُلِّ وموجود في الكُلّ، فافْهَم.

ومن كَلام شيخ شُيوخنا رضي الله عنه في بعض رَسائِله لَنا : إذا حَصَلت الرؤية غاب الرائي وعن نفسه وعن الدّنيا والآخرة، وغاب عن كل شيء. إلى آخر كلامِهِ رضِيَ الله عنهُ. ومن شأن [ذات] العقل أيضاً أن يكيّف

(1) الحج : 46 وفي خ ، قوله تعالى : ﴿آذان يسمعون بها﴾ ناقصة.
(2) في خ : في.
(3) في خ : ناقصة.
(4) في خ : انقضى.
(5) في ر : المتجلي.

للأجسام الأماكنَ والجهاتِ ويميز بيْن الأشخاص والذّوات. ويعرف ما كان مجموعاً في عالَمِ الغَيْبِ وما هو باق على جَمْعيتِهِ في عالَمِ الشهادة، إذ الوجود كله ذات واحِدة وبحر متصل [في الحقيقة]. وإنما العقل[1] الأصغر هو الذي فَرْقُ [ما كان مجموعاً]، لأنه معقول ومحصور في عالم الحِكْمَة، فلا يدرك ما غاب عنه في عالم القدرة. وأما العقل الأكبر ويسمَّى أيضاً: الروح الأعظم، فإنه يَرَى الوجود كلَّه ذاتاً واحدة، وهذه الأشكال والرموز[2] تلونات وتطورات للخمرة الأزلية الكُلّية المتصلة بعضها بِبَعض. وَهذا هو الذي قصده الشاعر في الشعر المتقدم بقولِهِ:

إلى وجودٍ ترانِي رَتْقاً بلا ابْتعادٍ وَلا اقترابِ

وإلى هذا التكييف والتمييز أشار النَّاظِمُ بقولِهِ: «مثل ما يكيف[3] للأجسام» أي يقيد الدَّهر بالأزمانِ تقييداً شبيهاً بتكييف الأجسام بالأيْن والجهة والوصف. وقوله: «من ذاتِهِ»، أيْ من ذاتِ العَقْلِ وحقيقته الضعيفة بتكييف الأجسام بالأيْن والجهةُ[4]، ولو قوي نوره لاتَّصَلَ نَظَرُهُ بكل الجهاتِ. وأرادَ بـ«الأيْن» هنا ما يَعُمُّ الذَّوات والأماكِنِ والصفات وسائر العوارض الجسمانية، والله تعالى أعْلَمُ.

ومما يدركه العقل أيْضاً على سبيل الإجْمالِ، بعض العوالم العلوية، كما قال [النَّاظِم]:

وَعَرْشاً وَكُرْسِياً وَبُرْجاً وَكَوْكَباً
وَحَشْواً لِجِسْمِ الكُلِّ في بَحْرِهِ عُمْنا

(1) في خ: بالعقل.
(2) في خ: الرسوم.
(3) في «ر» و«ح»: يقيد.
(4) في ر: الفقرة: «وقوله: من ذاته» إلى: «والأين والجهة» ناقصة.

يقول رضي اللهعَنْهُ : ومما يُدركه العَقْل أيضا من العَوالِم العلوية : العرشُ[1] والكرْسِيُّ[2]، أي شَخْصُهُ. وَيُحَيِّزُهُ على حسب ما أدركه من طريق السّمع، وإلاَّ فَلا مُدرِكَ لهذه العَوالم الغَيْبية بمجرَّدِهِ. ويدرك أيْضاً البروجَ والكواكِبَ والمنازِل، وهذا من شأنها أن تشاهد بالبصر. وإنَّما شأْنُ العقلِ فيها التفصيلُ وتدقيق ما فيها مِنْ عجائِب القدرةِ، وأسْرارِ الحِكْمَة. ويدرك أيْضا الحَشْو الذي بَيْنَهُما، وهو الفضاء الَّذِي بَيْنَ العَرْشِ والكُرْسِيّ، وبيْن كل سماءٍ وسماء، وبين السَّماء والأرْض، وهو الهواء الَّذِي نَحْنُ فيهِ. وَهَذا مَعْنَى قَوْلِهِ : «وحشواً لجسم الكل». أي ويدرك الحشو، المنسوب لكل جِسْم، وهو الهواء الَّذِي بيْن الأجسام العُلوية وبين العلوية والسّفلية.

ثم ذَكَر الشيخ أنَّ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ دائمونَ وسابحونَ في بَحْرِ أَسْرارِ الذَّاتِ، بقولِهِ : «في بَحْرِه عُمْنا». أي في بَحْرِ الكُلِّ عُمْنا، وهو بَحْرُ الوَحْدَةِ. لأنَّ بَحْرَهَا مُتَّصِلٌ والخلق فيه كالأمواج[3]، وإن كانت لا شعورَ لها بذَلِكَ. فَمَنْ شَعَرَ بذَلِكَ واتَّسَعَتْ معرفته [حتى خَرَجَتْ فِكْرَتُهُ عَنْ دائِرَةِ الأكْوانِ واتَّسَعَتْ نَظْرَتُه]، وَجَدَ العرش وما احتوى عليه في زاوية من زوايا قلبه، ووجد الأفْلاكَ تدور فيه والشَّمْسِ والقَمَرِ. ويشرقان في جانب فضاءِ قَلبِهِ. كما قال الشيخ في بَعْضِ أزْجالِهِ[4] :

الـفُـلْـكُ فيك يـدورُ ويُضـيءُ وَيَـلْـمَـعُ
والشموس والبدور فيك تغيبْ وتطْلُعْ

(1) العرش : هو مظهر العظمة ومكانة التجلي، وخصوصية الذات. ويسمى جسم الحضرة ومكانها، لكنه المكان المنزه عن الجهات الست. وهو الفلك المحيط بجميع الأفلاك المعنوية والصورية. (الجرجاني، ص 127).

(2) الكرسي : هو تجلي جملة الصفات الفعلية، فهومظهر الاقتدار ومحل نفوذ الأمر والنهي والإيجاد والإعدام. (ابن عربي : الصطلحات ص 73، والجيلي، الإنسان الكامل، ج 2، ص 5).

(3) في «ر» و«خ» : كالحوت في الماء.

(4) الديوان : قسم الأزجال : كشف الحجاب : ص 262.

وقال آخر[1] :

إذا كُنْتَ كُرْسِيّاً وَعَرْشاً وَجَنَّةً ... ونـاراً وَأفـلاكاً تَـدورُ وأَمْـلاكـا
وكُنْتَ مِنَ السِّرِّ المصونِ حقيقَةً ... وأَدْرَكْتَ هذا بالحقِيقَةِ إدْراكا
فلم[2] التأنّي في الحضيضِ تثبُّطا[3] ... مُقيماً مَعَ الأسْرَى أمَا آنَ إسْراكا

أي إذا كنْت أيّها الآدمي جامعاً لهذه العَوالِمِ، وكُنتَ مِنْ عَيْنِ السِّرِّ المصونِ وعيْنِ الكَنْز المَدْفون وعَرَفْتَ أنَّ هذا كامِنٌ فيكَ. فَفي أيّ شيءٍ هذا التأخير والتَّأنِّي عن النهوض إلى الله بحذفِ عوائِدِ نفسك وجهادها، حتَّى تعرف هَذا ذَوْقاً وكشفاً. وإلى كَمْ تَبْقَى في الحَضيضِ الأسفل من عالَم الأشباحِ تَثبطاً عن العُروج إلى سَماءِ الأرواحِ مقيماً مع الأسارَى، في أيْدِي نُفوسِهِمْ يلعبون بِك كيف شاءوا، فما هذا إلاَّ الخُسْران المبين ! أمَا آن إطْلاَقك من قيدِ نَفْسِكَ وخروجك عن وجودك إلى فضاء شهودِ ربِّكَ ؟. وفي الحِكَمِ[4] : «وَسِعَك الكَوْنُ من حيث جثمانِيَّتُكَ»، ولم يَسَعْكَ منْ حيث ثبوتُ روحانيتُكَ. وبالله التوفيق.

ثم قال [النّاظِم] في تطور العَقْل أيضاً :

وَفَتْقٌ لأفْلاكٍ جَواهِرَهُ الَّذِي ... يُشَكِّلُهُ سِرُّ الحُروفِ بِحَرْفَيْنَا

قلت : فَتْقٌ : مبْتدأ وخبره محذوف، أي من شأنه فتْق. والمسوّغ العمل وجواهره مفعول به، والضمير للأفلاك، والمراد به الجنس. ولو قال جواهرها التي يُشَكِّلُها لكانَ أحْسن. يقول رضي الله عَنْهُ : ومن شأنِ هذا الْعَقْل أنْ فَتق[5] الأفلاك الدَّائِرَة[6] بكرة الأرض جواهرها، بأن أدرك محاسنها

(1) في خ : وغيره، والبيت زجل لهجته أندلسية، أنظر الديوان ص 257.
(2) في «خ» و«ك» : ففيمض.
(3) في ر : تبثلاً.
(4) أنظر شرح الحكم ج 2 ص 190، حيث يبدأ القول بـ : «إما وسعك الكون...».
(5) في خ : فلق.
(6) في ر : الدائرة ناقصة.

وخواصها ومنافعها ومضارها بقدرة الحكيم العليم، لا على ما يزعمهُ أهل التنجيم. لأن الحق سبحانه قد جعل بقدرته وحِكْمَتِهِ لكلّ فلك خاصية يقع بها التصرف في هذا العالم السُّفْلي. وفي الحقيقة، إنّما التصرف لله الواحد القهّار، وإنما ذلِكَ منها أمارات وعلامات. كما جعل في المشروب [الدواء في العشوب][1] وجعل لنزول المطر أمارة إلى غير ذلك مما هو مقرر في عِلْم الحِكْمَةِ. وأما من حيث عالَم القدرة فيقع الكل في لحظة من غير عِلةٍ ولا سَبَبٍ، لكن لِكلّ قدْرة حِكْمة هي رداؤها وهي في هذا الدّار التي هي محلّ التكليف، ويسمى في الاصطلاح عالَمُ الحِكْمَة عالمُ الخلق، وعالَمُ القدرة عَالَمُ الأمْر، كما قال تعالى : ﴿**أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ والأمْرُ**﴾[2].

فعالَم الخلق بالتدرج والأسباب، وعالَم الأمر كُن فيكون. لكن لا يَبرز شيء من عالَم الأمْرِ إلاَّ بِرِداءِ عالَم الخلق إلاَّ ما كانَ من الخوارق. كالمعجزات والكراماتِ. ففي هذه الدَّارِ الحكمة ظاهرة والقدرة باطنة، وفي دار الآخرة بالعكْسِ القدرة ظاهرة والحِكْمة باطنة لا تَصرّف لها. فلذلك تظهر الخوارق للعوام والخواصّ، لأنها دار التعريف[3] وهذه دار التكليف، لتَظْهَر مزية الإيمان [بالْغيب] هُنا. وهذه الجَواهِر، أي الخَواصّ التي فتق العَقْل للأفلاك، إنما يشكلها في الأفلاكِ[4].

ويبرز منها ما يبْرز منها بسر الحروف فكل فلك يتصرف بسر حرف من الحروف الهجائية لها خَواصٌ وطبائع على ما يزعَمَه أهل التنجيم، ولها حروف من حروف المعجم[5]، تتصرف بها[6] في عالم الحِكمة التي مَحَلّها الظاهر، وأمَّا في الباطِنِ فما ثَمَّ إلاَّ اللَّهُ.

(1) في خ : العُشب.
(2) الأعراف : 54.
(3) في خ : التصريف.
(4) في ر : الجملة من التي فتق إلى في الأفلاك، ناقصة.
(5) في خ : العجم.
(6) في «ر» : به، وفي «خ» : بها ناقصة.

وقول النّاظِم : «بِحَرْفَيْنا»، لعَلَّهُ يشير إلى حرفي الألف والباءِ، فإن جُلَّ أسْرار الحروف راجعة في المعْنَى إلَيْهِمَا. لأنَّ الألف يشير إلى وَحْدَةِ الذَّاتِ، والباء تشير إلى وحدة الصفات والأفعال : إنِّي أنا الواحد الأحَدُ، بِي كانَ كل شيء وبي يكون إلى الأبد. وقول «الشيخ زروق» : يشير إلى اسْمه الظّاهر والباطن لا مُناسبة له في هذا المقام [فهو بعيدٌ]، واللَّهُ تعالى أعْلَمُ.

ثم ذكر الناظِمُ حكْماً آخرَ للعقْلِ فَقال :

يُفَرِّقُ مَجْموعَ الْقَضِيةِ ظاهراً ويجمع فَرْقا مِنْ تَداخُلِهِ فُزْنَا

يقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : ومن شأن العقل أيضاً أنَّهُ يُفَرِّق مجموع القضية، أي يُفَرِّق ما أصْله مجموع في قضية الخَمْرَة الأزلية. ففي الحقيقة الوجود كله مجموع ذات واحدة وبَحْر واحد متصل أوله بآخره، وظاهِره بباطنه. وإنما جاء تفْريقهُ في الظّاهِر من ناحية العَقل لقصر إدْراكه، وهو إنما أدرك الفروقات الكونية الحسية، وفاتته المعاني المتصلة القديمة الأزلية[1]. وهي المراد بمجموع القضية. المفرقة ظاهراً، وهي مجموعة في فَرْقِها[2].

وهذا وَمَعْنَى قَوْلِهِ[3] : «وتجمع فَرْقاً» فالجملة حالية، و«فَرْقاً» حال من ضمير تجمع، أي يُفَرِّق مجموع الخمرة الأزلية ظاهراً. والحال أنها مجموعة في حال فَرْقِها، فهي مفروقة ظاهراً مجموعة باطناً. ومن أجْل تداخل فَرْقِها في جَمْعِها وجمعها في فَرْقها فُزنا بالمعرفةِ الكامِلَة، حيث مَيَّزْنا بَيْنَهُما فَأنْزَلنا الفَرْق في مَحَلِّهِ، وهو عالَم الحِكمة والجمعَ في مَحَلِّهِ، وهو عالَمُ القُدْرَةِ وعالَمُ الذّاتِ جامع للكل. وكثيرٌ من الناسِ التبسَ الأمر عَلَيْهِم [4] فَوَقَفُوا مع الفَرْقِ المحْض وحجبُوا بِهِ عن الجَمْعِ، وبعضهم غَرَقُوا في بَحْرِ الجَمْعِ وحجبُوا عن الفَرْقِ، وهو نقص إن تمَحَّض جذبهم وكان معه بعض سلوك وإلا فزندقة، وبالله التوفيق.

(1) في ر : «الأزلية» ناقصة.
(2) في ر : هذه الجملة ناقصة. من : وهي المراد إلى فرقها.
(3) في ر : وهذا ناقصة.
(4) في «ر» : الأمر عليهم.

ثم قال النّاظِم رضي اللَّهُ عَنْهُ :

وَعَدَّدَ شَيْئاً لم يَكُنْ غَيْرَ واحدٍ   بِأَلْفاظِ أَسْماءٍ بِهَا شَتَّتَ الْمَعْنَى

قلت : هذا تقرير[1] لما قبله وتتميم لهُ. يقول رضي اللَّهُ عنْهُ : ومن شأن العَقْلِ [المعقول][2] أنّه عدَّدَ شيئا وهو الوجود الحقيقي، وكثَّر فُروعَهُ مَعَ أَنَّهُ لم يَكُنْ في الحقيقة إلا شيء واحد أو ذات واحدةٌ. قال الشَّاعِرُ :

هذا الوجود وإن تعدد ظاهراً   وحياتِكُم ما فيه إلاَّ أَنْتُمُ

ومعْنَى قوله : «وعَدَّد شيئا»، أي اعتقد تعدده[3] وكثرته مع كونه واحدا في الأزلِ وفيما لا يزال. كانَ اللَّهُ وَلا شَيْءَ مَعَهُ وهو الآن على ما عليه كانَ. وإنّما تعدَّد هذا الشيء الواحد عند العَقْل بِسَبَب ظهور ألفاظ الأسماء لمسَمَّياتٍ متعددة، كالسَّماء والأرضِ والعرشِ والكرسي، وأسماء أنْواع الحيواناتِ والجمادات، فلكل شخصٍ جزئي من هذا الوجودِ اسم يخصّه ليتميَّزَ به. وفي الحقيقة إنما هي تجليات ومظاهر للواحد الأحد، وفروقات وتلونات للخمرَة الأزلية.

وفي ذَلِكَ يقول الشيخ «الجيلي» رضي اللَّهُ عَنْهُ في عينيته[4] :

تَجلَّى حَبيبي في مَرائي جَمالِهِ   فَفي كُلِّ مَرْأًى للحبيبِ طَلائِعُ
فَلَمّا تَبَدَّى حُسْنُهُ متنوعاً   تَسَمَّى بِأَسْماءٍ فهِيَ مَطالِعُ

---

(1) في خ : كذا تقدير.

(2) في «ر» و«ك» : ناقصة.

(3) في خ : تعديدُهُ

(4) في «ر» و«ك» : يقول الشيخ عبد القادر الجيلاني. وفي هذا المعنى قال «الششتري» «فالأسماء تنتقل عن الذات الحق الواحد، ويكون طلوعها بالوهم على الحق، فهي غير الحق لكن تحقق الحق وتبينت لها المراتب وهي آلة موصلة لذلك...، ولولا الأسماء ما عددت الذات، ما كنت ترى إلا ما تجد، وكونك ما تجد ما ترى، إنما هو قولك في الصورة وفي اللون ألوانا. وهذا وهم تبين من العدد الذي تأخذ الواحد وتنقله بالفرض منك على المراتب المتوهم إلى غير نهاية، وتسمية اثنين ثلاثة وكذا وكذا وهو احد في ذاته.
(المقاليد الوجودية، تقديم تحقيق دراسة وتعليق : أد. محمد العدلوني الإدريسي، ط 1 دار الثقافة 2008، ص 106، 107.

وقوله : «بها شَتَّتَ المَعْنَى»، أي بسبب تَعَدُّد هذه الأشياء، مَعَ أَنَّ المسمَّى واحد. فرَّق العَقلُ المَعْنَى، أي اعتقد تفريقها ظاهراً وهي مجموعة متصلة باطناً.

فبحر المعاني متصل وأمْواجه متفرقة، مِنْهُ فيه بل هي عيْنهُ. والمراد بالمعْنَى: السِّرّ[1] الأزلي اللطيف القائم بالأشياء الحسية السَّاري فيها بلا سريان، والأشياء الحسية كثفت للمَعْنَى اللطيف الذي هو الخمرة الأزَليَّةُ. فلولا الحسّ ما ظهرتِ المعْنَى، ولولا المعْنَى ما قام للحس وجود. فلأشياء الحسية أواني[2] حاملة للمعاني. ولهذا[3] قال الشيخ في بعض أَزْجالِهِ[4] :

لا تَنْظُرْ للأواني وَخُضْ بَحْرَ المعاني لعلّك تراني

وقال «ابن الفارض» في خمريته رضي اللّه عَنْهُ :

ولطف الأواني في الحقيقة تابع لِلُطْفِ المَعاني والمعاني بِها تَسْمُوا

أي[5] والمعاني تَسْموا، أي تظهر وترْفع بالأواني فلا ظهور لها منها، فَافْهَمْ واصْحَبِ الرجالَ كي تعلم فتدخل بلاد المَعْنَى، فتفوزَ[6] بالحِسِّ والمَعْنَى. وللشيخ «زرُّوق» هُنا خبطٌ يدلّ على أنّه لم يدخل بِلادَ المَعاني وما فُتح عليه فيها إلاَّ في آخِرِ عُمُرِهِ كما تقدَّمَ. وَبالله التوفيق.

ثم قال [النَّاظِمُ] رضي الله عنه :

وَيَعْرُجُ والمعراج[7] مِنْهُ لِذاتِهِ لتَطورِهِ العُلْوِيّ بِالْوَهْم أَسْرَيْنَا

---

(1) في ر : «السر» ناقصة.

(2) في خ : «أواني» ناقصة.

(3) في د : وبهذا.

(4) ديوان أبي الحسن الششتري، ويقول في مقطع آخر : في الدَّيْرِ أطلبني تراني مَطْرُوحْ ما بين الأواني خليع نعشق الفلاني (الديوان ؛ زجل، فصحى مع مظاهر مشرقية) ص 264.

(5) في خ : «أي» ناقصة.

(6) في ك : فتعرف.

(7) في خ : بالمعراج.

يقول رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : ومن شأنِ العقل أيْضاً إذا اتَّصَلَ صاحبه بالطبيبِ الماهِرِ أن يَعْرُجَ ويُرفَعَ من عالَم الحسِّ إلى عالَم المَعْنَى، ومن عالَمِ الأشباحِ إلَى عالَمِ الأرْواحِ، ومن شهودِ المُلْكِ[1] إلى شهودِ الملكوتِ[2] والجَبَروتِ[3]، وذلك بسببِ عروجِهِ عن رؤية حسِّه إلى شهود مَعْناه. فالعروج[4] والارتِقاء إنما هو منْهُ إلَيْهِ، وهذا معنى قَوْلِهِ : «منْهُ لذاتِهِ» أي من شهودِ حِسِّهِ الظاهرِ، لِرُؤْية ذاتِهِ ومعناه الحقيقي الباطن. فالأمر ليس عَنْك بخارج كما قال الشيخ في بَعْضِ أزْجالِهِ[5] :

وإلَيْكَ السِّرُّ[6] وأنْتَ مَعْنَى الخَبَرْ   وما دونك غيراً يا محل الفقر الذاتي

وإنما جاء[7] هذا الرفع والعروجُ المذكورُ لتطوره بالمقام العلوي الذي، وهو محل الشهود والعيان المعبر عنه بمقام الإحسان. وإذا حققت الأمر لم تجد ارتقاءً ولا عروجاً، لأن الحق كان وحْدَهُ وهو باقٍ وحْدَهُ. لكنَّ الوَهْمَ أثْبَتَ الغَيْرِية والإثنينية، فإذا ارْتَفَعَ الْوَهْم وزال الجَهْلُ لم تجِد إلا الواحد [الأحد] في الأزَلِ وفيما لاَ يزال. ما تجلّى بهِ في الأزلِ هو الذي تجلّى بهِ في الأبَدِ[8] من غَيْر زيادة ولا نقصانٍ، إذا وقَعَتِ الغَيْبَة عَنِ الأشكالِ والرّسوم التي هي رداء الكِبْرِياءِ. وهذا مَعْنَى قَوْلِهِ : «بالوَهْمِ أَسْرَيْنَا» أي إنما أَسْرَيْنا وارْتَقَيْنا : وثبت لنا ذلِكَ بسبب الْوَهْمِ. وأمَّا لَو ارْتَفَعَ الوَهْم وثبت الحقُّ، لم يَبْقَ لأحَدٍ ارْتِقاءٌ وَلا عُروجٌ. وهذا الوهْمُ وإن كانَ عَدَمِيّاً فهُو حاصل في عالَمِ الحكمَة، وثبوته حق به وَقَعَ الحجاب لجلّ النّاس. فهو نَوْع من قَهْرِية الحقّ الذي قَهَرَ بِهِ عبادَهُ،

---

(1) الملك : ما ظهر من حس الكائنات.

(2) الملكوت : ما بطن فيها من أسرار المعاني.

(3) الجبروت : البحر المحيط الذي تدفق عنه الحس والمعنى (أنظر معراج التشوف إلى حقائق التصوف لابن عجيبة ط 1، 1982.

(4) في ر : فالمعراج.

(5) الديوان : أنظر قسم الأزجال من نشرتنا للديوان.

(6) في خ : «السّرّ» ناقصة من الزجل.

(7) في خ : جاءه.

(8) في خ : هو ما تجلى في الأبد.

كما قال في الحِكَم : «مِمَّا يَدُلك على وجودِ قَهْرِهِ سبحانه، أنْ حَجَبَكَ بما لَيْسَ بِمَوْجودٍ مَعَهُ»[1]. والله تعالى أعلم. ثم ذَكَرَ النَّاظِم نُزولَهُ لِلْعُبودِية بالقيام بوظائف الربوبية، فقالَ :

وَيُجْعَلُ[2] سُفْلِيّاً وَيوهِمُ أَنَّهُ لِسُفْلِيِّهِ الْمَجْعول بالذَّاتِ أُهْبِطْنَا

يقول رضي الله عنه : إن الْعَقْلَ تارة يَرْتَقِي علوياً بعروجِهِ مِن أرْضِ الأشباح إلى سماء الأرواح في مقام الفَناءِ، وتارة ينزل سُفلياً من سماءِ الحقوقِ إلى أرْضِ الحظوظِ، للقيام بآدابِ العبودية في مقام البقاءِ. ويوهم إذا نَزَل إلى السّفليات أنه المَجْعول سُفلياً بالذات حقيقة وليس كذلِكَ، وإنما هو تنزُّلٌ وإظهارٌ للعُبودِيَة لأن كَوْنِهِ علوياً حقيقة ذاتية. هذا أيضا إنما هو في نفس الأمر وحقيقة، تلوين للخمرة الأزلية، وتُظهرُ التنزيل منها إلَيْهَا، فهي العلوية في سفليِّها، والرفيعة في وَضْعِها.

قال شيخ شيوخنا سيدي «**علي الجَمَل**» رضي اللّهُ عنهُ في كتابه: «انظر يا أخِي وَتَأَمَّلْ هذه الخمرة كيف كَمُلت فيها الأوصاف، وتوفَّرَتْ فيها الشروط، وكيْف كَمُل نُقصانها كما كَمُل كمالها. فسبحان من أظهرها[3] بالكَمال في النَّقْصِ، والكمال حتى صار الكُلّ كَمالاً فلاَ نَقْص. وكذلك أُنْظر يا أخِي ما أَقْرَبَها في بُعْدِها، ومَا أَبْعَدَها في قُرْبِها، وما أَرْفَعَها في سُفليِّها، وما أوضعها في علويِّها. وما أَكْبَرَها في صغرها، وما أصْغَرها في كِبَرِها، وما أَقْواها في ضُعْفِها، وما أضْعَفَها في قُوَّتِها، وما أَغْناها في فَقْرِها، وَمَا أَفْقَرَها في غِناها، وَما أَعَزَّها عَلَى نَفْسِها، ومَا أَذَلَّها لنَفْسِها، وما أعْظَمَ قدرتها على نفسها، وما أضْعَفَ عجزَها عن نفْسِها» إلى آخِرِ كَلامِهِ رضي اللّهُ عَنْهُ.

(1) أنظر شرح الحكم ج 1 ص 19.
(2) في ر : وَجَعَل، وفي الديوان وَيَجْعَلُ، البيت (34) ص 74.
(3) في ك : من ظهر.

والمراد إنَّها تتستر في حالِ تجلّيها بالأشياء وتلونها بها فَتُظهر من نَفْسِها النَّقْص، وهي في غايةِ الكَمالِ لِيَبْقَى السِّرُّ مَصوناً والكَنْزُ مدفونا.. وقوله : «أُهْبِطْنا» لعله على[1] حذف قَدْ، أي يوهم أنّهُ المَجْعول بالذّاتِ سُفلياً، ويوهم أنه قد أُهبطنا من عُشٍّ[2] الحَضْرَةِ العَلِيَة إلى أرْض الحظوظ السّفليات. مع أنّنا لَمْ يَقَعْ لنَا هُبوط بل هُو شَرَف وزيادة في الارْتقاء، كأنَّ المريد كُلَّما نَزَلَ لأداءِ الحقوق ارْتَفَعَ وَارْتَقَى إلَى حضرة الشهودِ. لأنَّهُ يَنْزِل بالإذنِ والتمكين والرسوخ في اليقين، لاَ بالمُتعَة والشهوة. والله أعلمُ بمرادِ الشيخ بقولِهِ : «أُهبطنَا»[3]. وأظنه تَصْحيفا، إذْ لَيْسَ في يَدِنا إلاَّ نسْخة مصحَّفة ومن ظَهَر لَهُ غَيْر ما قلْناه فليلحقه بالطُّرَّة. وأجْرُهُ على اللّه.

ثم قال [النّاظِم] رضي الله عنه :

يُقَدَّرُ وَصْلاً بَعْدَ فَصْلٍ لِذاتِهِ وَفَرْضَ مَسافَةٍ يَجِذُّ[4] لها الدَّهْنَا

قلت : و«فرض» عطف على «وصْلا»، ويَجِذُّ بالذّالِ المعجمَة : يقطع. والدَّهْنا بِالْفَتْحِ والمَدِّ، ويَقْصِدُ الفلاة كما في القاموس. يقول رضي اللّه عنْه: ومن شأن الْعَقْلِ أنه يقدر الوصول[5] إلى حضرة الحق بعد انْفِصالٍ كان بَيْنَه وبَيْنَها، وهَذا من جُمْلَة وَهْمِهِ. إذ لا انفِصَالَ وَلا بيْنونَة بَيْن العَبْدِ وَرَبِّهِ، وإنّما جَهْله هو الذي بَعَّدَهُ وفصله في حال قرْبهِ وَفَصَلهُ في حال وَصْلِهِ. قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسانَ وَنَعْلَمُ ما تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ﴾[6].

---

(1) في خ : «على» ناقصة.
(2) في ر : «عش» ناقصة.
(3) في الديوان، وفي روضة التعريف : «أُهبطنا»، والكلمة تؤدي المعنى المراد من البيت، إذن فهي غير مصحفة كما بدا للشيخ ابن عجيبة.
(4) في ر : يجد وكذلك في الديوان والصحيم : يحذّ.
(5) في «ر» و«ك» : الوصل.
(6) قَ : 16.

وفي الحِكَم: «لاَ مَسافَةَ بَيْنك وَبيْنَهُ حَتَّى تطويها رحلتكَ، وَلاَ قَطيعَة[1] بيْنَكَ وَبَيْنَهُ حتى تمحوها وصْلَتك»[2] وقال أيْضاً: «الحق ليْس بمحجوب [عنك]، إنما المحجوب أَنْتَ عن النظر إليه، إذ لو حجبَه شَيْءٌ لسَتَرَهُ. ولو كان له ساتر لكان لوجوده حاصِر. وكل حاصِرٍ لشَيْءٍ فهو لَهُ قاهرٌ: ﴿وَهُوَ القاهِرُ فَوْقَ عِبادِهِ﴾[3]»[4]. وقال أَيْضاً: «كَيْفَ يَحْتَجِبُ الحقّ تَعالَى بشَيْءٍ، والذي احْتَجَبَ بِهِ هُوَ فيهِ ظاهر، وموجود حاضِرٌ»[5]. فتحَصَّل أَنَّ الحق تَعالَى لا حائِلَ بيْنَكَ وَبَيْنَهُ، وَلاَ فَصْلَ وَلاَ بَينونة، كما قال الْقائِل:

فَلَمْ يَبْقَ إلاَّ اللَّهُ لَمْ يَبْقَ كائِنُ ... فَما ثَمَّ مَوْصولٌ وَلاَ ثَمَّ بائِنُ

فَالْعَقْلُ لضعفه هو الَّذِي يُقَدّر الوصلَ بعدَ الفَصْل لذاتِهِ عن حَضْرة الحقّ، وَيُقَدِّرُ أيْضاً فرض مسافات وَمَهامِهَ[6] بَيْنَهُ وَبَيْنَ الوصول إلى الحق، يقطع لأجْلِها الفلوات[7] والمفاوز من الأرْض. وهذا كُلّه اسْتعارة وكناية عن قطع مَألوفاتِ النَّفس وَعَوائِدِها[8]، والخروج عن الطبع البَشري الذي يحجب عن شهودِ الحقّ، والنفوذ من شهُود حسّ الكائنات إلى فضاء المَعاني.

قال «الشطيبي»[9] رضي اللَّهُ عَنْه في شرْح الحِكَم: «واعْلَم أن طريق اللّه تعالى لَيْسَ فيه مَفازة وَلا متاهة بل هي منازِلُ وَأَحْوالٌ، قد جعل اللَّهُ لها أَعْواناً وأَنْصاراً، وهو سبحانه يصدق وَعْدَه ويَنْصُر عَبْدهُ وَيَهزم الأحزاب

(1) في «ر» و«ك»: قطعة.
(2) الحكم، ويقول: «الكون كله ظلمة وإنما أناره ظهور الحق فيه، فمن رأى الكون لم يشهده فيه أو عنده أو قبله أو بعده، فقد أعوزه وجود الأنوار وحجبت عن شموس المعارف بسَحْبِ الآثار» شرح الحكم، ج 1، ص 19.
(3) الأنعام: 18.
(4) أنظر شرح الحكم ج 1 ص 21.
(5) أنظر شرح الحكم ج 2 ص 161.
(6) في ر: «مهامهَ» ناقصة، وحذفنا «وكذا لا مسافة» لأنها لا تتناسب والسياق العام للفكرة.
(7) في ر: الفلات.
(8) في ر: وعَوَارَها.
(9) الشاطبي: هو «إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي أبو إسحاق» الشهير بالشاطبي، كان أصوليا مفسرا، فقيها محدثا ورعا صالحاً زاهداً سنيا، بارعاً في كل العلوم. ومن أهم مؤلفاته: «الاعتصام»، «الموافقات» و«المجالس»، و«الإفادات والإنشادات».

وحْدَهُ. وإنما المَفاوزُ والمسافات في الرّكون إلَى المَألوفاتِ واتباع العاداتِ، وفي مسامحة النّفْس وارتكاب الشهوات وفي الوقوف مع الحِسِّ والحِدْس. وعند كشفه الغطاء يتَبَيَّنُ ذَلِكَ».

وعن قطع هذه المألوفاتِ ورياضة النَّفْس عَبَّرُوا بالسَّيرْ والمَنازل، كما قال في المباحث :

وإنَّـمـا الـقَـوْمُ مُـسـافِـرُون[1] لِـحَـضْـرَةِ الحَقِّ وَظـاعِـنُـون

فَـافْـتَـقَـرُوا فـيـهـا إلى دَلـيـل في بَـصَـر بـالسَّـيْـرِ وَالْـمَـقِـيـل

قَـدْ سَـلَـكَ الـطَّـرِيقَ ثُـمَّ عـادَ[2] لِيُـخْـبِـرَ الْـقَـوْمَ بِـمَـا اسْـتَـفـاد[3]

وَمِنْ شَأْنِ الْعَقْلِ أَيْضاً إثباتُ المَعِيَّةِ والاثْنَيْنِيَّةِ بِشفعية الأثر[4]، كما قال النَّاظِمُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

يُجَلِّي لَنَا طَوْرَ الْمَعِيَّةِ شَكْلُهُ[5] وإنْ لَـمَـعَـتْ مِنْهُ فَتُلْحِقُهُ الْمَيْنَا

وَيُلْـحِـقُـهـا بـالشِّـرْكِ مِـنْ مَثْنَوِيةٍ يَلوحُ بِهَا وَهُوَ الْمُلَوِّحُ وَالْمُثْنَا[6]

قُلْتُ شكلهُ فاعل يُجَلِّي، وَأَطْلَقَ الشِّرك هُنا عَلَى مُجَرَّدِ الْوَهْمِ. وَفاعِلُ «لَمَعَتْ» مَحْذوف، أي أنوار الحقائق. و«المَيْن» : الكذب. و«الملوّح» اسم فاعل. و«المُثْنَى» بِضَمِّ الميم اسْمُ مَفعول. والجملة حالٌ.

(1) في «ر» و«خ» : مسافرونا.
(2) في «ر» و«خ» : عادَا.
(3) في «ر» و«خ» : إستفادا.
(4) في خ : بمشفعية الآثار. وفي ك : بشفعية الاثار.
(5) في «خ» و«ر» : شكه.
(6) الديوان : المثنى.

ومعنى البيتين (36) و(37) السالفي الذكر، معناهما بشكل مركز : إن العقل بأوهامه هو الذي يتخيل الاثنينية في الكون، من مَوْجودٍ وموجِدٍ، مع أنه لا وجود مع الله، وإن لمعت منه، أي الأنوار والحقائق، فمحا الاثنينية وأثبت الوحدة. فهو ظاهر بكل شيء من كل شيء للعموم بالفعل، وللخصوص بالإسم والنعت، ولخصوص الخصوص بالصفات، وللقائمين بمشاهدة الذات بالذات.

وفي البيت الذي يلي (37) مراده فيه : ويلحق العقل المعية التي أثبتها بوهمه بالشرك الجلي عند أهل الفناء من أهل الباطن، وبالشرك الخفي عند أهل الظاهر، فهو يظهر المثنوية والمعية من خالق ومخلوق، وهو الناظر والمنظور، المثبت للشفعية الملحق لها بالشرك، وهذا تناقض في طبيعته.

يقول رضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «يُجَلِّي» أيْ يُظْهِرُ لنا وهم العَقل طوْر المعية، أي وُجودها وثبوتها، وذلك أَنَّهُ أَثْبَتَ الأَثَر وَأثبت نَفْسَهُ مَعَ اللَّهِ لَزِمَ منه وجود الْمَعِية والإثنينية وهي مُحال عند المحققينَ من أهل التوحيد الخاصِّ.

قال [ابن عطاء اللّه] في الحِكَم : «ما حجبك عن الله موجودٍ مَعَهُ، [إذ لا شَيْءَ مَعَهُ]، وإنما حجبك عنه تَوَهُّمُ وجود موجودٍ مَعَهُ»[1] وقال أيضاً : «الأكْوان ثابتة بإثباتِهِ ممحوة بأَحدية ذاتِهِ»[2]. وإن لَمَعَت من العَقل أنْوار تلك الحقائِق مَحَتْ تلك المعية، وأَثْبَتَتْ الوجود لِلْواحِد الأحَد. فيلحقه الْمَيْنَ والكَذب في اعتقاد المعية والإثنينية، وتثبت الْوِترية للوِتْر الفَرْد». قال الناظمُ في بَعْض أزْجالِهِ :

وَبِـــــــرَوْحٍ وَراحٍ عـاد شـفـعي وتْــرا[3]

أي وَبِرَوْحِ الوصالِ وشُرْبِ الخمرة الأزلية صار شَفْعِي، وهو اعتقاد وجودي مع الحقّ وتْري، حيث امتحق وُجودِي بالكلية في وُجودِهِ. فثبتَتِ الوترية التي كانَتْ له وَلَمْ تَزَلْ وإنّما وَهْمُ العقْلِ أثبت ضِدّها. فإن قلت : قوله تعالى : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ﴾[4]. يُصَحِّحُ المَعِيَّة سواء قلنا معنا بالذّاتِ أو بالْعِلْم قُلْنا الخطابُ ورد من عالَمِ القدرة إلى عالَمِ الحِكْمَة وهو محلُّ التشريع. وعالَمُ الحِكْمَة هو عالَمُ الأشْباحِ وَيُسَمَّى : عالَم الفَرْق وعالَمَ الأثَرِ، وَعالَمَ الحسِّ، وعالَمَ المُلْكِ. أثبته [تَعالَى] بحِكْمَتِهِ لِتظهَرَ فيه آثارُ صفاتِهِ وَأَسْمائِهِ، ويظهر فيه أيضاً[5] آداب العبودية للرُّبوبية. إذ المَلِكُ بِلا رعية ملكه ناقصٌ،

(1) الحكم، أنظر شرح الحكم ج 1 ص 107، وقال كذلك : «كيف يتصوف أن يحجبه شيء ولولاه ما كان وجود كل شيء» شرح الحكم ج 1 ص 21.
(2) الحكم، أنظر شرح الحكم، ج 1 ص 108.
(3) الديوان : والبيت من قصيدة توشيحية وليست زجلية كما زعم الشارح.. أنظر قسم الموشحات بديوان الششتري ص 125، من تحقيقنا، دار الثقافة ط 1، 2008.
(4) الحديد : 4.
(5) في خ : بصحبة، وفي ر : وندخل.

فأثبتَها بكثرة صفاته فَرْقاً ومحاها بأحدية ذاتِهِ جَمْعاً. فأهل الحقائق ينظرونَ لعالم القدْرَةِ، ويُسَمَّى عالَمَ المعاني وعالَمَ الملكوتِ، فَلا ينظرون[1] إلاَّ الله.

وَأَهْل الشرائع يَنظرون لعالَم الحِكْمة فيُثْبتونَ الأثَرَ والمُؤثِّر، وعليه وَرَدَ الخطاب بقوله تعالى: ﴿وهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنتُمْ﴾[2]. قال العارف الرَّبَّانِّي الإمام «الْوَرَتْجي» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ [ما نَصُّهُ][3]: «في هَذه الآية مَقامانِ: مقام الجمع ومقام عين إفراد الْقِدَم عَنِ الحُدوثِ، فَمن حيْث الوَحْدَةُ والقِدَمُ تتصاغر الأكْوانُ في عِزَّةِ الرّحْمَنِ، من سطوات عظمته حتى لا يَبْقَى أَثرها».

ثم قال: «ومن حيْث الجمْع فَبسِرِّ نور الصفة: نور العقل، ونورُ الصّفَةِ قائمٌ بالذَّاتِ فتجلَّى بنورِهِ لفعلِه من ذاتِهِ وصفاتِه. ثم تجلّى بفعله وكانت الموجودات كلها مِرْآةُ وجودهِ، فهو ظاهر بكلّ شيءٍ من كل شيءٍ، للْعُمومِ بالفعل وللخصوص بالإسْم والنَّعْتِ، ولخُصوص الْخُصوص بالصفات، وللقائِمينَ بمشاهَدَة الذات بالذَّات. وهو تعالى مُنَزَّهٌ عن البَيْنونة والحلول[4] والافتِراقِ والاجتماع وهذا إنما هُوَ ذَوْق العشق[5] ولا يَعْلَم تأويله إلاَّ العاشقون»[6].

وحاصِلُ كلامِهِ أنَّ المعية حاصِلة[7] بِذاتِهِ لذاتِه، وَلا يَفْهَمها ويعلمها إلاَّ العاشقون وهم[8] أهْل الفناء والبَقاء.

---

(1) في «ر» و«خ»: يرون.
(2) الحديد: 4.
(3) في «ر» و«خ»: «ما نصه»: ناقصة.
(4) الحلول: فكرة صوفية متطرفة، تقول جازمة بأن الحقّ اصطفى أجساماً حل فيها بمعاني الربوبية، وأنزل عنها معاني البشرية.
(5) ذوق العشق: أو ذوق المحبة، وهو نور عرفاني يقذفه الحق بتجليه في قلوب أوليائه، يفرقون به بين الحق والباطل، من غير أن يعتمدوا في ذلك على كتاب أو غيره (الجرجاني، ص 78).
(6) في خ: إلا الله.
(7) في خ: «حاصلة» ناقصة.
(8) في خ: «وهم» ناقصة.

وقوله : و«يلحقها بالشركِ» : أي يلحق العَقْل المعية التي أثبتها بِوَهْمِهِ بالشركِ الجليّ عند أهْل الفَناءِ من أهْلِ الباطِنِ. وبالشرْك الخفي عند أهْل الظاهِرِ من مثنوية، أي من أجْل مثنوية الأَثر الذي أثبته مَعَ الحقّ.

«يُلَوِّحُ» : أي يُظهر بها ويعتقدها وَهْماً وَجَهْلاً، وهذا في عالَم الحِكْمة وهو عالَمُ[1] الْفَرْقِ وعالم التَّشْريع. وأمَّا في عالم[2] الحقيقة فهو المُلَوِّح، أي المُظهر سِتراً لأسْرارِ رُبوبيته[3]، أن تُبتذل بالإظهار أو يُنادى عليها بلسان الإشتهار، وهو أيضاً المُثْنَى الَّذِي صارَ شفعاً باعتبارِ الأَثَرِ، فهُو الظَّاهِرُ والباطن في ظهوره وبطونه[4]. وباللّهِ التوفيق.

ثم ذَكَرَ [النّاظِم] سبب[5] حجاب العَقْل والرّوح عن سرّ الوحدة، بعد أن كانا عارفين فَقالَ :

فَنَحْنُ كَدود الْقَزِّ يَحْصُرُنا الَّذِي   صَنَعْنا لِدَفْعِ الحَصْرِ سِجْناً[6] لنا مِنَّا

يقولُ رضِيَ الله عنه : «فنحن كَدود الْقَزّ» : أي دود الحرير، لأنها تبدو أولاً ظاهِرَة مطلقة لا حِجاب عليها، ثم تنسِج على نَفْسها مِن حَريرها. كذلك الأَرْواح الإنسانية تبرز لهذا الْعالَم على الفِطرة الأصلية لا حِجابَ علَيْها، ولهذا ترى الصّبْيانَ ينطقون بالمغيباتِ وبالحِكَمِ الباهرة. فإذا بَلَغت الرُّوح وكمل عَقْلُها نظَرت إلى هَذا العالم السّفلِي وعشقت فروقه، وتاهَتْ في حُظوظها وشهواتها. فكلما زَادَتْ في تياهِها[7] تراكَمَ حجابُها، فمنها من تراكم عليه حجب الظلمة كظلمة المعاصي والمساوئ، ووهم العَوامّ. ومنها من تراكم عليه حجب الأنوار، كالإشتغال بِالعلوم النقلية والرّسمية والعقلية،

(1) في خ : «عالم» ناقصة.
(2) في ر : «عالم» ناقصة.
(3) في ر : يسّر الأسرار الربوبية.
(4) في «ر» و«خ» : فهو الظاهر في بطونه والباطن في ظهوره.
(5) في خ : ناقصة.
(6)في خ : سدنا، كذلك في«ر» و«ك»، بينما في الديوان سجنا   وهو الصحيح.
(7) في «ر» : أيّامها، وفي «ك» أياماً.

فَتَتَغَلْغَل في تلك الْعُلوم ويرسخ فيها فَيَعْمُرُ إنتقاله عَنْها، وهذا أشدّ الحجب[1].
وكذلك الوقوف مع حَلاوة الطَّاعات، وظهور الكَرامات وتحقيق المقامات، كما هُوَ شأن العُبّادِ والزُّهادِ والمُسْتشرفينَ على علم الحقيقة. وهذا أيضاً حجاب عظيمٌ، ولذا قيلَ:

أَشَدُّ النّاس حجاباً عَنِ الله العلماءُ ثم العبّادُ ثم الزُّهّاد. فهُمْ يعملونَ في خلاصِ أنْفُسِهِمْ بما يظنّون الحقيقة، وهم يزيدون في حجابها. وهذا مَعْنَى قوله: «يحصرنا الَّذي صَنَعْنا سدى»، [أيْ يَحْصُرُنا عن ميادِينِ الغُيوبِ وفضاء الشّهودِ الذي صنَعْناه من الطَّاعاتِ لدفعِ ذلكَ الحصر. فهو أي ما صَنَعْنا سَدىً][2]. أيْ حِجابٌ لَنَا مِنَّا حجاب بنفوسنا من أنفوسنا. والخلاصُ من هذا الحجاب، التضرّع إلى الله والالتجاء إليه[3] في العثور على الطبيب وهو شيخ التربية النبوية. فيلقي إليه زمام نفسهِ، ويحكمه فيها ويَلْزَم خدمتَهُ وصحبَتَهُ حتى يقول له: ها أَنْتَ وَرَبكَ، فيخرجه من حَصْر الأكوانِ وسجنها إلى فضاء العِيانِ. فتخرج فِكرَته عن دائرة الأكوان ويسقط عنه الحجاب بالكلية، فَلا يزال في الترقي أبداً على مُرور الساعات والأيام. وَأَمَّا مَن لم يعثر[4] على شيخ[5] التربية، فَلا يزيده مرور أيامه وساعاته إلاَّ حجاباً وغطاء عن أسْرار غوامض التوحيد. وكُلّ ما يفعَلهُ في علاج نفسِهِ، تَعَبٌ وضَرْبٌ في حديد باردٍ.

وتأمل بعض ما قالَهُ بَعْضُ الفقراءِ، وأظنه الشيخ «زروقَ» بنفسِه، كما نقله عنه في «**كفاية المحتاج**»[6] في ترجمتِهِ، قال: طُفت المشارق والمغارب في طلب الحقّ واسْتعملت جميع الأسباب المذكورة في معالجة النفس، وتَخَلَّيْتُ

---

(1) في خ: حجاب.
(2) الجملة بين معقوفتين ناقصة في «ك».
(3) في خ: «والالتجاء إليه» ناقصة.
(4) في ر: لم يسقط.
(5) في خ: صاحب.
(6) كتاب كفاية المحتاج:

بقدرِ الإمكان في مرضاة الحقّ، فما طَلَبْت قرْبَ الحق بشيءٍ إلاَّ كانَ مُبْعِداً عَنْهُ رؤيتي نفسِي فيه، وَلاَ عملت في معالجتها لنفسي بشيءٍ إلاّ كان معيناً لها عَلَيَّ، وَلا توجَّهت لإرْضاءِ الخلقِ بشيءٍ إلاَّ كانَ سَبَبَ عَداوَتِهِمْ لِي. فعدتُ إلى الاسْتِسْلام فَخَرَج لِي منه رؤية وجودي، وهو رأْسُ العِلَلِ، فَطَرَحْتُ نَفْسِي[1] بَيْنَ يَدَيْ الحق طرحاً لا يَصْحَبه حَوْلٌ وَلا قوَّةٌ . فصحَّ عندي أنَّ السَّلامَةَ في كلِ شيءٍ بالتبرِّي من كل شَيْءٍ. وأن الغنيمة مع كل شَيْءٍ[2] بالرجوع إلى الله في كل شيءٍ، اعتباراً بالقدرة وإثباتاً للحكمَةِ[3]. وقياماً مع الطِّباع بِشواهِدِ الانطباعِ. إلى تمام كَلامِهِ. نقله هنا الشيخ «زروق» عن بعض الفقَراءِ، وأظُنُّهُ عَنَى نَفْسَهُ والله أعلمُ. كما نقله الشيخ **«أحمد بابا السّوداني»**[4] في ترجمته. وإنما تعَطَّلَ الفتح على **«الشيخ زرّوق»**، لقلةِ صُحْبَتِهِ لشيْخِهِ **«الحضرمِي»**[5]. فقد قال عن نَفْسِهِ : أنه صحبَه أوَّلاً سَبْعة أشهُر أو نحوهَا، ثم انْفَصَلَ عنهُ، ثم رجع لزيارتِهِ فبقيَ معه ثمانية أشْهُر. فكان المجموع من صحبته خَمْسة عَشر شهراً أو نحوها. قال : وانتَفَعْتُ بِهِ انتفاعاً لا يخفَى.

قُلْتُ : هذه المدّة لا تسْلخ المريد من كلّ طَبْعِهِ، ولا تخرجه عن عِلْمِهِ وَعَوالِمِهِ، لاَسِيَما وقد كان مُتَغَلغلاً في الْعُلومِ النَّقلية والْعَقْلية، فلا يسلخه مِنْها إلا طول الصحبَة بِالصّدْق والخِدْمَةِ والتجريدِ التام . كما هو مجرَّبٌ في شأْنِ أَمْثالِه. وقد كان شيْخُهُ يكاتبُه بشيءٍ من الحقائِق فَلَمْ يَهْتَدِ إليها، لأنَّها لا تؤخذ بمجردِ الْعِلْمِ وإنَّما تؤخذُ بالسراية مَعَ تحقق الصدق والتصديق[6].

---

(1) في ر : «نفسي» : ناقصة.

(2) في ر : الجملة ناقصة : من التبرِّي إلى : كل شيء.

(3) في ر : «الحكمة» ناقصة.

(4) «أحمد بابا السوداني» : وهو الشيخ الإمام الحافظ «أبي العباس سيدي أحمد بن أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت، عرف ببابا التنبكتي» صاحب كتاب «نيل الابتهاج بتطريز الديباج».

(5) الشيخ الحضرمي : شيخ زروق. وهو القطب الرباني أبو العباس أحمد بن عقبة لقيه في أوائل رجب سنة 876هـ بالقاهرة وفيه يقول زروق : «ما لقيت أعرف بالله منه ولا أكبر منه».

(6) في خ : التحقيق.

واعْلَمْ أَنَّ كَثيراً من العلماءِ صحبُوا المشايخ العارِفِينَ و لم يَنالوا من حقائقهم شيئا، لأنهم كانُوا يصحبونَهم على نَظَرِ نفوسِهِمْ، لا على نَظَرِ المشايخ. فإذا أَمرُوهم بشيءٍ أو نَهَوْهُمْ عن شيْءٍ وَزَنوهُ بميزانِ شريعتهم، فما وافق نظرهم قبلوهُ وما خالَفَ ردُّوهُ. فبقوا مع أنفسهم و لم يغرقوا في بحرِ أَسْرارِهِم، والله تعالى أعْلَم.

ثم ذَكَرَ [النّاظِم] ما يفيده العقل من نَقْصٍ وَكَمالٍ، باعْتِبار صاحِبِهِ فقال :

فَكَمْ واقِفٍ أَرْدَى وَكَمْ سائِرٍ هَدَى[1]
وَكَمْ حِكْمَةٍ أَبْدَى وَكَمْ مُمْلِقٍ أَغْنَى

يقول رضي الله عنهُ في شأن العقل أنه ظَهَرَتْ على الْخَلْقِ مِنْهُ آثار مختلفة، فَمِنْهَا ما هو خسْران ومِنْها ما هو رِبْحٌ، فكم واقف معَهُ و لم يَنفذ إلى ما وَرَاءَهُ من الأسْرار الخارجة عن مَدارك العقول. أرْدَاهُ : أي أهْلَكَهُ وأوقعه في الرَّدَى، وهو بقاؤه مَعَ الحِجاب، أو أوقعه في الضلال[2] حيث وقف معه وحكَّمَهُ في نفسه، و لم يقبل من العقائِد والأحكام إلاَّ ما أَدْرَكه عَقْله، كما فَعَلَتِ المعْتزلة، فضَلُّوا[3] وأضلُّوا[4] فقد[5] قدَّمُوا[6] العَقل على صحيح النقل مِنَ الكتاب والسّنَّة، فَرَدُّوا الأحاديث الصحيحة لَمَّا خالَفَتْ قواعد عقولهم، وأوَّلُوا الآيات الصريحة لتطابق ما أدركته عقولهُم[7]، [وهو زَيْغ وإلحادٌ].

(1) في الديوان : هَدًى. وفي ك : وكم مملق أغنا.
(2) في خ : انحلال، وهو تحريف.
(3) في خ : وضلوا.
(4) في خ : «أضلوا»، ناقصة.
(5) في ر : «فقد، وقدموا» سقطت.
(6) في «خ» و«ك» : «فقد»، ناقصة.
(7) في ر : الجملة ناقصة : من : وأوَّلُوا، إلى : عقولهم.

وكَمْ سالِك بِهِ هَدَاهُ[1] إلى طريق الوُصول حيث مَيَّزَ له ما يضرّه وهو كل ما يشغله عن ربه، واشتغل بما ينفَعُهُ وهو كل ما يُقَرِّبُهُ من رَبِّه. وإذا لاَحَ[2] له شَيْءٌ مِنْهُ وَزَنَهُ بالكتابِ والسّنَّة فطبق بين المعقول والمنقول، وإذا تعدد الوجهان بينهما قدم ما ورد في الكتاب والسنة[3] وحَكَمَ على الْعَقل بِالضُّعْفِ[4] وكَمْ حِكْمَة أَبْدَى لصاحِبه حيث نَوَّره بطاعةِ ربِّه ومخالفة هَواهُ، فإن العَقْل إذا[5] عَقَل صاحبهُ عَنِ الْهَوَى نطق بينابيع[6] الحِكْمَة.

وفي الحديث : «مَنْ زَهَدَ في الدّنيا أَرْبَعينَ يوماً نَطَقَ بالْحِكْمَة»[7] وقال [أيضاً] عليه السلامُ : «مَنْ أُعْطِيَ زُهْداً وسُمتاً[8] حَسَناً[9] فاقْرَبُوا منْهُ، فإن الحكمة تلقى إليه»[10] أو كما قال عليه السَّلامُ : والحِكْمَةُ الإصابة في الشيْءِ، وقيل : إتقان الشيْءِ وإبْداعُه، وَمَحَلُّها القَلْبُ وتظهر آثارها على الجوارح. ففي اليدِ[11] مثلاً، بالصَّنائِعِ العجيبة، وفي اللسانِ بالمعاني الغَريبة. ولذلك يُقال :

---

(1) في خ : هداهُ الله، وليس هذا مقصود الناظم، «فهداه» راجعة إلى العقل.

(2) في ر : لاح لك، والصحيح : إذا لاح له شيء منهُ...

(3) في «ر» و«خ» : الجملة من : فطبق إلى : والسنة ناقصة.

(4) وهذا بطبيعة الحال مذهب الأشعري العقدي، ذلك أن رأي الأشعري ورأي أهل السنة عامة يعتبر أن النظر العقلي في فهم العقيدة ليس بدعة، وإنا هو ذو فائدة كبرى في إثبات العقيدة بالحجج والأدلة النظرية، ولكن فائدة العقل متعلقة بوجود النقل قبل العقل. فالعقل في خدمة النقل والشرع، وليس العقل قبل رود الشرع كما اعتقدت المعتزلة.
العقل عند الأشاعرة تابع للنقل وليس سابق عليه، ولا يلتزم بأحكام العقل إلا إذا أيدها الشرع.

(5) في خ : فإذا العقل إنما عقل...

(6) في «ر» و«خ» : بينابع.

(7) الحديث. أنظر ما روي عن مالك قال : «بلغني أنه ما زهد أحد في الدنيا واتقى إلا نطق بالحكمة»، سير أعلام النبلاء للذهبي. ج 8، ص 109.

(8) في خ : صمتاً، وهو تحرف. الصحيح : السمت الحسن : الطريق الجاد وحسن النحو، وكذا في الحديث.

(9) في ر : حسنة.

(10) الحديث. في «ر» و«خ» ... فإنه يلقي الحكمة. نص الحديث كما ورد في كتاب سنن ابن ماجة ج 2 ص 1373 : «إذا رأيتم الرجل قد أعطي زهداً في الدنيا وقلة منطق فاقتربوا منه فإنه يلقي الحكمة.

(11) في خ : «العبد» وهو تحريف.

نَزَلتِ الحِكْمَةُ علَى ثلاثَةِ أعْضاءٍ من الجَسَد : على قلوب اليونان، وعلى أَلْسنَة العرب، وعلى أَيْدِي أهْلِ الصِّين. فإنَّ اليونان قدْ أُعْطوا النظر في العَقْلِيَّات، واستخرجوا البَراهِينِ المنطقية[1]. والعرَبُ قد أُعْطُوا الحِكْمَة في أَشْعارِهِم وخُطَبِهِمْ. وَأَهْل الصِّين[2] قد أُعْطُوا الصَّنائع البَديعَة في البُنْيانِ والنَّقْشِ والأواني الرفيعة.

و«كَمْ من مُمْلِق»، أي [كَمْ مِنْ] فقير[3] «أغنَى»، أي صَيَّرَه غَنِيّاً. وَذَلِكَ حَيْث دَلَّه[4] على صحبَة العارفين وَوَصَّلهُ إِلَيْهِم، والوصول إليهم يغني ولو بالنظر. وَقَدْ قالَ الشيخ «أبو الحسن الشاذِلِي» رَضِيَ الله عَنْهُ : «الخلوة معنا نفيسة توجب غِنَى الدَّارَيْنَ»[5] وقال أيْضاً : «طَرِيقنا طرِيقُ الغِنَى الأكْبَر»[6]. وقال الشيخ «أبو العبَّاس المُرْسي» رضي الله عَنْهُ : «والله[7] ما بيْني وبين الرَّجُل إلاَّ أَنْ أَنظرَ إليهِ وقَدْ أَغْنَيْتُهُ»[8] وكل زمان له رجال يغنون بالنظر، فالْعَقل الذي جَرَّ صاحِبَهُ للدّخول مَعَ الأغنياءِ بِالله هو العَقْل المغني صاحبه.

وقال بَعْضُ الحُكَماء : خَيْرُ ما أُعْطِيَ الإنسان[9] عَقْلٌ يَزجُرُه، [فإن لم يكُنْ فحياء يَمْنعهُ فإن لَمْ يكن فمالٌ يسْتُرهُ][10]، فإنْ لَمْ يَكُنْ فصاعقة تحرِقه

(1) ويقصد هنا أن بلاد اليونان وفي غضون القرن السادس قبل الميلاد : (6 ق م)، قد نشأت فيها الفلسفة باعتبارها تفكيراً نظرياً منظماً تنظيماً منطقياً في الله والعالم والإنسان وكذلك في المجتمع وأسسه ونظمه وظواهره.
فكانت الفلسفة بذلك نظرة واعية متكاملة ومتناسقة إلى الكون يشيدها عقل الإنسان على أسس برهانية ونقدية ـ إشكالية.

(2) في ك : وأهل اليمن، وهو تحريف من الناسخ.

(3) والفقر هنا يعني : ذلك المقام الشريف، وسمي الصوفية بالفقراء لتخليهم عن الأملاك، وحقيقته أن لا يستغني العبد إلا بالله.

(4) في ر : دَلَّلَ.

(5) يقول الشاذلي كذلك : «إذا أردت أن تكون مرتبطاً بالحق فتبرأ من نفسك واخرج عن وقتك» الطبقات ص 33.

(6) يقول الشاذلي كذلك : «ليس هذا الطريق بالرهبانية... وإنما هو بالصبر على الأوامر، واليقين في الهداية...» الطبقات ص 25-26.

(7) في خ : و«الله» ناقصة.

(8) أنظر كتاب لطائف المنن، في قوله في الحقائق والمقامات.

(9) في خ : المرء.

(10) في ك لم يرد ما بين قوسين.

ليستَريح منه البلاد والعباد. ولأجل ما ظَهَر عليه من المنافع، اعْتَنَى بشأنِهِ كبار الفلاسفة وغَيْرِهِمْ كما قال النّاظِم :

وَتَيَّمَ أَلْبابَ الْهَرامِسِ كُلِّهِمْ
وَحَسْبُكَ مِنْ سقراط[1] أَسْكَنَهُ الدَّنَا

وَجَرَّدَ أَمْثالَ الْعَوالِمِ كُلّها
وأَبْدَى[2] لأَفْلاطون[3] في المُثُلِ الْحُسْنَى[4]

وهامَ أرسطو[5] حتَّى مَشَى مِنْ هُيامِهِ
وَبَثَّ الَّذِي أَلْقَى إِلَيْهِ وَما ظَنَّا

وَكانَ لِذِي الْقَرْنَيْنِ عَوْناً علَى الَّذِي
تَبَدَى لَهُ وَهُوَ[6] الَّذِي طَلَبَ الْعَيْنَا

وَيَبْحَثُ عنْ أَسْبَابِ مَا قَدْ سمعتم
وبالبحث غَطى العين إردُه غينا

---

(1) في ك : بقراط وهو تحريف من الناسخ، والمقصود هو سقراط. وسقراط : (Socrate) [469ق م- 399 ق م] فيلسوف جريء في آرائه، حول الفلسفة من النظر إلى المجهول والماورائيات، محاولا إقناع المفكرين أن الحقيقة قد تكون كامنة في أعماق الإنسان نفسه، فكان يساهم كثيرا في تحويل الفلسفة من الغيبيات إلى منطق فكري يعتبر الإنسان مركز الوجود، وأن العقل هو طريق المعرفة والقياس...

(2) في خ : وأبرأ، وهو تحريف، وفي ر، وفي الديوان : «أبدى».

(3) في خ، وفي ر، «أفلاطون».
وأفلاطون : (Platon) من فلاسفة اليونان [470 ق م- 399ق م] الذين كان لهم أثر كبير على ظهور الفلسفة المثالية، في مقابل الفلسفة الطبيعية والواقعية الأرسطية، من أهم مؤلفاته كتاب الجمهورية. أنظر ترجمة حياته في : تاريخ الحكماء ص 197، والملل والنحل 88/2، وتاريخ الفلسفة اليونانية ص 50.

(4) في «خ» و«ك» : «أمْثُلِ، وفي ر : «مثل حُسْنَى» بينما في الديوان : «في المثل الحُسنى»، وهو الصحيح.

(5) أرسطو : (Aristote) أشهر فلاسفة اليونان [384 ق م- 322 ق م] وهو مؤسس علم المنطق، وعلم الطبيعة وما بعد الطبيعة. أنظر ترجمته في : الملل والنحل ج 2، ص 119 - 127، والفهرسة لابن النديم ص 359، وتاريخ الفلسفة اليونانية ص 112 - 208. وفي «خ» و«ر» و«ك» كتبت أرسطو بدون همزة «رسطو».

(6) في خ : وهم.

يَقول رَضي الله عَنْهُ : وَتَيَّمَ [الْعَقْلَ] أَلْبابَ «الهَرامِس»، أي أَخَذَ[1] بمجامع قلوبِهم حين[2] صَرَفُوا عِنان عِنايتهم لِشَأْنِهِ. والْهَرامس : الفلاسفة أو الكبراء[3] منهم وجلّهم كانوا من اليونان.

وفي القاموس الهِرْماسُ بالكَسْرِ : الأسَد[4] الشديد الْعادِي على النّاس كالهرميس والهَرامس. ولعل تسْمية الفلاسفة بذلك لشدَّة عُقولهم أو لعُدْوانِهِمْ[5] إذ جُلُّهم كفَّار[6].

وَحَسْبُكَ مِن «سقراط»[7] أنَّهُ أَسْكَنَهُ الدَّنا، أي ويكفيكَ في الْعَقْل أنَّهُ أَسْكن سُقراط الحكيم الدَّنَا، أي الجَرَّة، وهي الآنية الكَبيرة التي تُغرسُ في الأرْضِ أسْفلها ضيّقٌ وأعلاهَا واسِعٌ ويُقال لَها : الرَّاقود[8]. وفي القاموس : الدَّنُ : الرقود العظيم[9]. ثم قال : لا يَقْصد[10] إلاَّ أنْ يحْفر له[11]، وذَلِكَ أَنَّ سقراط[12] دَخَلَ جرَّة وجَلس فيها ليَحْصر فِكْرَهُ لئلاّ يشوش عقلهُ. وتقدَّمَ أَنَّهُ كان في زَمَن «موسى» عليه السلامُ، فقيل لهُ : لوْ ذَهَبْتَ إليه لتأخذ عَنْهُ

---

(1) في خ : «بمجامع» ناقصة.

(2) في خ : حيث.

(3) في «ر» و«خ» : والكفار.

(4) في ر : «الأسد»، ناقصة.

(5) في ر : لِعَداوَتهم.

(6) والهرمسية : نسبة إلى هرمس (Hermes) الذي يعتقد أنه «إدريس» النبي أو «أخنوخ». وشخصيته مختلف فيها، فهو عند المسلمين مؤسس العلوم والفلسفة خصوصاً الطب والكمياء والفلك والتنجيم، يَردُ ذكرهُ كثيرا في المصادر الإسلامية مثل : «الملل والنحل» ج 2، ص 1425، و«الفهرست» لابن النديم، ص 494.
والفلسفة الهرمسية فلسفة لعبت دوراً هاماً في الفكر الهليني المتأخر بالاسكندرية، وقد ذكر «نجيب بلدي» في تمهيد لتاريخ مدرسة الإسكندرية، دار المعارف، 1962، «أن هذه الفلسفة تعتبر مزيجا من الأفلاطوينة والحكمة الشرقية المصرية وبعض أساطير اليونان».

(7) في خ، وفي ر : بقراط وهو خطأ، لأن «بقراط» أو إبقراط» كان طبيبا و لم يكن فيلسوفا بالمعنى الدقيق للكلمة..

(8) في خ : الرقد.

(9) في ر : رقود عظيم.

(10) في ر : «لا يعقد».

(11) في خ : يحضر. وفي ر : يحضر له.

(12) في ر، وفي خ : بقراط.

الشريعة. فقال نحنُ قوْمٌ مهذبون[1] لا نَحْتاجُ إلى أَحَدٍ[2]، فأَرْداهُ عَقْلُهُ حيْث صَرَفَهُ عنِ التَّمَسُّكِ بِأَنْوارِ الشريعة فكانَ مِنَ الضَّالِينَ.

وَقَوْلُه : و«جَرَّدَ[3] أَمْثال العَوالِم»، يَحْتَمِلُ[4] أَنْ يعود الضَّمِير على العَقْل، أي[5] وَمِنْ شَأْنِ الْعَقْلِ أَنَّهُ جَرَّد العَوالِم العلوية والسّفلية، وميَّزَ بَعْضَها مِنْ بَعضٍ[6] وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَرْجِعَ «لأفْلاطون»[7]، فإنّه تكلم عن العَوالِم الحسية بعقله وحَدْسِهِ. لأن عِلْمَ النّجوم والأفلاك جُلّه مأخوذ عن الفلاسفة. وَ«أَفْلاطون» من الفلاسفة القدماء[8].

يُقال : إنه كان بعْدَ الطوفانِ بِقَرِيبٍ، ولعَلّه تمسَّك بشريعة نوح عليه السَّلام أو غيْرِه من الأنبياء. ولذلِكَ قال النّاظم في حَقّهِ : «وأبدى»[9] أي أنشأ العقل أفلاطون في أمثل[10] الحُسْنَى، أي في أَفْضل الطرق[11] الحُسْنَى، أي جعله ناشئا فيها وَمُلازماً لها إذا كان موافقاً للحقّ باعتقاده، على ما ذكره بعض من عَرَّف بهِ. قاله[12] الشيخ «زَرّوق» وَذَكَر «ابن خَلْدون»[13] في «شفاء

(1) في ر : مهديون.
(2) في خ : أخذ.
(3) في خ : وَجَرَّ.
(4) في ر : لم يحتمل.
(5) في خ : «أي» ناقصة.
(6) في ر : «العلوية والسفلية، وميز بعضها عن بعض» ناقصة.
(7) في ك : لبقراط وهو خطأ.
(8) في خ : و«أفلاطون» ناقصة.
(9) في خ : وأبرأ ؟
(10) في خ : أمثال.
(11) في خ : ناقصة.
(12) في ر : قال.
(13) ابن خلدون : هو عبد الرحمن بن خلدون (732هـ ـ 808هـ) مؤرخ وعالم اجتماعي ينتمي إلى الغرب الإسلامي، اهتم كذلك بالتصوف، من أهم مؤلفاته : المقدمة، تاريخ العرب والبربر، وشفاء السائل.

المسائل»[1] : أن **أفلاطون** شيخ الصوفية. قال الشيخ «**زرّوق**» وفيه نَظَر، أي لأنه[2] لم يَذْكُر في هَذِهِ الأبْياتِ إلا[3] الفلاسفة الأقدمينَ.

قلت : ثم رَأَيْت في «**الإنالة**»[4] «**للتجِيبي**»[5] أنه شيخ «**أرسطو**». ونصُّهُ : «وأفلاطون قال بحدوثِ العالم»[6] وتلميذه «أرسطو» [قال] بقدمِهِ. و«أرسطو» من كبار الفلاسفة، ويُقال له : «أرسطو طاليس». وهو أحَدَ المَشَّائين الذينَ كان مشيهُمْ على ساحِلِ البَحْرِ لطلب الزيادة فيما بدا لهُ. فَكانَ مشيهُ وهيامه طرباً مِما حَصَّلَ، وطالباً لما لم يحصُلْ وهذا معْنَى قوْلِهِ : «وهامَ أرسطو حتَّى مشَى مِن هُيامِهِ». ويقرأها «رسطو» بحذف الهمزة لِلْوَزْنِ، والهيام نَوْعٌ من العشق في طَربٍ. وقال في القاموس : الهيام كالجنون[7] من العشق.

---

(1) كتاب «شفاء السائل» : في هذا المؤلف بحث التصوف عامة كعالم اجتماع في الدين، وليس كعالم اجتماع واسع الأفق والمدارك والاجتهاد كما فعل ذلك في «المقدمة». وذلك راجع للقيود وثقلها التي وضعت في طريقه، وهي قيود ترتبط بالقواعد والأسس المذهبية التي وضعت للفقهاء والمفتين، فجاء موقفه باعتباره فقيها مُفْتٍ، موقف مقلد تابع لمواقفهم ولا يتجاوزها.

ومن هنا كان في «المقدمة» ينظر إلى التصوف ويقارب قضاياه بشكل علمي وموضوعي، بينما كان في الشفاء منهجه فقهي أشعري معطل للاجتهاد. نظر إلى التصوف نظرة المدافعين عن مذهب السلف الجاري على الكتاب والسنة واتباع الأولين، ضدَّ كل تصوف مشوب بالبدع، فجاء أكثر ما كتبه، هجوما على التصوف المتفلسف.

(2) في ر : أي أنه.

(3) في ر : «إلا» ناقصة.

(4) «الإنالة العلمية في الرسالة العلمية في طريق المتجردين من الصوفية» وهو كتاب يلخص «الرسالة العلمية» في التصوف «لابن الحسن الششتري» وقد قمنا بتحقيقها تحت عنوان «الرسالة الششترية» ط 1، دار الثقافة 2004.

(5) التُّجيبي : وهو : «أبو عثمان بن ليون التُّجيبي» (681هـ ـ 750هـ) هو أهم من اهتم بتصوف الششتري، وأول من ترجم له وقام بتلخيص وتهذيب «رسالته العلمية». من مؤلفات «التجيبي» : إبرام الديم» و«في المواعظ والحكم».

(6) أنظر الرسالة الششترية، ص 132، نفس المصدر.

(7) في خ : «كالمجنون».

وقوله : و«بث» الخ.. أي أن «أرسطُو» بث ما ألقَى إليه عقله من العلوم وَالحِكْمَةِ فعلمها الناس. «وما ظنَّ»، أي [لم] يبخل بشيء منها. وله كتب في الطب والحكمة[1]، وكان وزيراً لذي «القرنين» فكان «ذو القرْنَيْن» يسْتعين به في أمور الحِكْمَة وتدبير المملكة. وهذا مَعْنَى قوله : «وكان لذي القَرْنَين عوْنا على الَّذِي تَبَدَّى لَهُ» أيْ كانَ عَوناً له على ما ظهر له من المُلك، وما خصَّه اللَّهُ به من تيسير الأسباب المبلغة لما قصده[2] من الأواب[3]، [جمع أَوْبة]. فكان يستعين به في عالَم الحِكْمة وإن كان على غَيْرِ دينه، لأنّ «ذا القَرْنَيْنِ الأكْبَر» قيل كانَ نبيّاً أو رجُلا صالحاً. وذكَر أهْل التفْسير أنه حجَّ البيت فلقي سيّدنا إبْراهيم الخليل وأخَذَ عنْه الشريعة الحنيفية.

وقوله : «وهُوَ الَّذِي طَلَبَ الْعَيْنا». يَحْتَمِل أن يكون «أرسطو» هو الَّذي طَلَبَ عيْن الحياة، [وهي] التي مَنْ شَربَ مِنْها لم يمت إلى آخر الدَّهْرِ. ويحتمل أن يكون «ذو القرنين» وهو المشهورُ، قيل لأنه قد كان يطلبُ عيْنَ الحياة هو و«الخَضِر» عليه السلام. فعَثَرَ عليها «الخَضِرَ» وحُرِمَها «ذو القرنين»، كما قال بعض المفسّرين، [أي ردَّ بحثَهُ عَنْها غيْناً][4]. بل[5] وهُو أيضا الذي كانَ يبْحَثُ عن أسباب ما قد[6] سمعتم في القرآن من جولانِهِ في الأرض شرقاً وغرباً وجوفاً وقبلة. ويبْحَث أيْضاً عن عيْن الحياة، وَببَحْثِه عَنْها وحِرْصِهِ عليها حُرِمَها وتغطَّتْ عَنْهُ. وَهَذا مَعْنَى قوله : و«بالبَحْث غَطَّى العَيْنَ إذ رَدَّه غيْنا». أي رَدَّ بحثه عَنْهَا غَيْناً أيّ غطاء وسِتْراً لها عنه.

وقال الشيخ «زروق» رضي اللّهُ عَنْه، و«بالبحث غَطَّى ذو القَرْنَيْن العَيْن»، أي بالكشف الذي حَصَلَ لَهُ رَدَّهَا غيناً، أي غِطاء وَغِشاء[7] أي حيث

---

(1) في خ : من : «فعلمها الناس» إلى : «والحكمة» ناقصة.
(2) في ر : قصد.
(3) في ر : من الأرباب، وهو تحريف، والصحيح هو الأواب من الأوبه : أي المقصد.
(4) في «ر» و«ك» : ناقصة.
(5) في «ر» و«ك» : «بل» ناقصة.
(6) في ر : «قد» ناقصة.
(7) في ر : وغطاء.

ظن الجاهل أنَّ ملكَه كان مقيّداً[1] بالأسبابِ. وما كان كذلك بل كان مؤيّداً بالوحي إن كان نبيّاً، وبالإلْهامِ إن كانَ وليّاً فافهم».

ثم قال : تنبيه : ذَكَرَ رِجالاً مُرَتَّبِينَ على المواقف الأربعة : «**فسقراط**»[2] من الواقفين مع العَقْل، و«**أفلاطون**» من السَّائرينَ بهِ، و«**أرسطو**» من أهْلِ الحِكْمَة، و«**ذو القرْنَيْن**» من أهْل الغِنَى الأكْبر سواء قلْنا إنه نبيٌّ أو وَليّ. فتأمَّلْ ذَلِكَ»[3].

ثم ذكر النَّاظمُ رِجالاً اهْتَدَوْا بعقولهم إلى الْحَقّ. من المِلَّةِ المُحَمَّدِية فَقال :

وَذَوَّقَ لِلْحَلاَّجِ طُعْمَ اتِّحادِهِ	فَقالَ أَنا مَنْ لاَ يُحيطُ بهِ مَعْنى[4]
فَقيلَ لَهُ ارْجِعْ عَنْ مَقالِكَ قالَ لاَ	شَرِبْتُ مُداماً كُلُّ مَنْ ذاقَهَا غَنَّى[5]
وَأَنْطَقَ لِلشِّبْلِيِّ بِالْوَحْدَةِ الَّتِي	أَشارَ بِهَا لَمَّا مَحَا عِنْدَهُ الْكَوْنَا
وَكان لِذاتِ النَّوْفَرِي[6] مُوَلِّهاً	يُخاطِبُ بالتَّوْحِيدِ، صَيَّرَهُ خِدْنَا
وكانَ خَطيباً بَيْنَ ذاتَيْنِ مَنْ يَكُنْ	فَقِيراً يَرَى الْبَحْرَ الَّذي فيهِ قَدْ خُضْنا
وَأَصْمَتَ لِلْجِنِّي[7] تَجْرِيدَ خَلْقِهِ	مَعَ الأمْرِ إِذْ صارَتْ فَصَاحَتُهُ لُكْنَا[8]

يقولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : وَذَوَّق الْعَقل حين تَنَوَّرَ واتَّصَلَ نورهُ بالعَقْلِ الأكْبَر «**للحَلاّجِ**» وهو «أبو مغيْثِ الحسين بن منصور»، صَحِبَ **الْجُنَيْدَ**

---

(1) في ر : مُقَيَّد.
(2) في ر، وخ : بقراط.
(3) أنظر شرح النونية للشيخ زروق، مخطوط الأسكوريال بإسبانيا رقم 4 - 168. والمخطوطات الملكية 5693 مدريد 4956.
(4) في ر، وفي خ : معنا، وفي الديوان : معنى.
(5) في ر، وفي خ : غنا، وفي الديوان : غنى.
(6) النوفري : وفي الديوان : النفزي : وهو محمد بن عبد الجبار النفزي (توفي 354هـ) صاحب كتاب «المواقف في التصوف» وقد شرحه «عفيف الدين التلمساني. (أنظر كشف الظنون 561/2).
(7) الجني : قال الشيخ زروق : أظن أنه «ابن جني» النحوي، الذي ألف كتابا ذكر فيه فصاحة الإنسان وعقله ومداها.
(8) ويقصد أن العقل أصمت «لابن جني» كتابه الذي سماه : «تجريد خلق الإنسان» وإنما أصمته لأن الأمر يقتضي أكثر مما ذكر فيه. وهكذا غدت فصاحة «ابن جني» لُكْنَةً إزاء العقل، ـ ولا يعرف لابن جني كتاب بهذا العنوان ـ.

والنّوري وغيرهِما، وهو من أكابرِ الأوْلياءِ المحققينَ. غيْرَ أنَّهُ غلب عليه الوَجْدُ، فعرفه في الحقيقة حتَّى ماتَ عَلَيْهَا. فَقَدْ ذَوَّقَ له عَقْلُهُ طُعْمَ اتِّحادِهِ، أي طُعْم فَنائِهِ. فالاتحادُ يطلق على مَعْنَيَيْنِ : أَحَدهما اختلاط ذاتَيْنِ حَتَّى تَصِيرا ذاتاً واحدَةً، وَهَذا محالٌ في حقِّهِ تعالى وَمَن اعْتَقَدَهُ فهو كافر. والثَّاني يطلق على الوحدةِ الحقيقية. يُقال : اتَّحَدَ الشَّيْءُ إذا صارَ واحِداً، وهو الَّذِي يعَبِّرُ عَنْهُ الصوفية وَيَذْكرُونَه في أشْعارِهِمْ، فَهُوَ كِنايَةً عَنْ سقوط الغَيْرِية والإثنينية، فيفْنَى من لَمْ يَكُنْ وَيَبْقَى مَنْ لَمْ يَزَلْ.

قال «الحَلاَّج» حينَ غابَ عَنْ وُجودِهِ في شهودِ محبوبه : «أَنَا مَنْ لا يُحيط بهِ مَعْنَى»، أي أَنَا اللَّهُ الَّذِي لا تَحصُرُه مَعْنىً، ولاَ يحيط بِهِ وَهْمٌ وَلا فِكْرٌ. وقال أَيْضاً مِنْ جُمْلَةِ الكَلامِ الَّذِي قُتِلَ بِهِ : أَنَا أَنْتَ بِلا شَكٍّ، سُبْحانَكَ سبحاني، وتوحيدك توحيدي، وعِصيانك عِصياني، ما في الجُبَّة إلا اللَّهُ، والَّذِي تعبدون تَحْتَ قَدَمي. فقيل له : ارجع عن مَقالِك وإلاَّ قَتَلَكَ سَيْف الشريعة. فقال : لا أرجع لأني شرِبْتُ مُداماً، أيْ خمرَةً قوية، كلّ من ذاقَها غَنَّى، لاسِيَمَا إذا شَرِبَ وسكر. وفي هَذا قال مَنْ عَبَّرَ عَنْ حالِهِ :

سقوْني وقالوا لا تُغنِّي وَلَوْ سَقَوْا　　　جبال حُنَيْنٍ ما سَقونِي لَغَنَّتِ

والنُّطْقُ بالأنانية صدر عن كثير من الأوْلياءِ في حالِ فَنَائِهِمْ. قال بَعْضهُمْ: لقد قال كثير من الأوْلياء في مقام الفَناءِ، أنا، وقال آخر في مقام البقاء: هُوَ. فيُقال للأول صَدَقْتَ وَمَا كَذِبْت، ويقال للثاني : أَحْسَنْتَ وَتَأَدَّبْتَ. ولَمَّا حبس للقتلِ [وصلب][1] قال له «الشبلي» : يا أَبا المُغيث ما مَعْنَى التَّفَرّد ؟ فقال له : «هُوَ أَنْ يَنْفَرِد الْعَبْد بالواحِدِ الأحَدِ [الفَرْدِ]، فإذا رآه الحق قد انفرَدَ عَنِ الخَلْق، أَمَّنَهُ مِنْ عَذابِ الطَّرْدِ. فيصير للحق مشاهداً، والحقّ عَلَى لِسانِهِ شاهداً.

(1) في «خ» و«ك» : «وصلب» ناقصة.

فحينئذٍ يتخلَّصُ لَمقامِ المعرفة، وَيُوحي إلَى خاطِرِهِ، ويحرس سرَّه عَمَّا سِواهُ. فَلا يَرْشح [منْهُ] غَيْر الحق من حضرة الحق بِالحَقّ»[1].

قال الشبلي رضي اللَّهُ عَنْهُ [لِلْحَلاَّجِ] : فقلت له ما المعرفة ؟ فقال [الحَلاَّجُ][2] : «[حُبّ[3]] اسْتِهلاكُ الْحِسّ في المَعْنَى» فقلت له : ما المحبَّة ؟ فقال : «الغيبة عما سوى المحبوب». فقلت له : ما الأنس ؟ فقال : «وجود الهيبة مع ارتفاع الخشية وغلبة الرجاء على الخوف»[4]. فقلتُ له : مَا الوَجْد؟ فقال : «لَهيبٌ ينْشأ عَن الشوق في الأسْرارِ تضطرب[5] به الجوارح ثُمَّ يَزولُ لأنه مقرونٌ بالزَّوالِ، وَيبقى نتيجته العرفانية، لا تحول وَلا تزولُ»[6].

ثم قال يا «شبلي» : «مَنْ راقبَ اللَّهَ عِنْدَ خَطراتِ قلبِهِ، عصَمَه عند حركاتِ جوارِحِهِ»[7]. ثمَّ قال يا «شبلِي» : أَلَسْتَ تحفظ كتاب اللَّهِ. فقال الشبلِي : بَلَى. فقال : قد قال الله لنبيه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ : ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ ٱللَّهَ رَمَى﴾[8]. فقال[9] يا «شبلِي» : إذا رَمَى ٱللَّهُ قَلْبَ عَبْدِهِ بحبّة[10] مِنْ حُبِّهِ، نادى عليه مدى الأزمان بِلسانِ العِتابِ. فقلت له : ما الإنْسُ ؟ فقال : وجود الهيبة مع ارتفاع الخشية وغلبَة الرجاء على

(1) وقد لخص ابن عربي هذا التعريف في قوله : التفرد (التفريد وقوفك بالحق معك. اصطلاحات ابن عربي).
(2) في «ر» و«ك» : «الحلاج» ناقصة.
(3) في «خ» و«ك» : «حُبّ» ناقصة. ويقول كذلك في المحبة : «هي حالة تستولي على المحب حتى لا يشهد إلا المطلوب». كتاب هكذا «تكلم الجلاح»، ص 159.
كما يقول : «المحبة لذة، والحق لا يُلتذ به، لأن مواضع الحقيقة دَهش واستيفاء وحيرة» نفسه ص 160.
(4) في خ : من : «فقلت ما المحبة» إلى «على الخوف» ناقصة.
(5) في «خ» و«ر» : وتطرب.
(6) قول الحلاج : أنظر المرجع السابق ص 160.
(7) قول الحلاج :
(8) الأنفال : 17.
(9) في «خ» و«ك» : «فقال» ناقصة.
(10) في ر : «حبَّة» ناقصة

الخوف[1]». ثم قتل[2] شهيداً رضي اللّهُ عنه ببغداد يوم الثلاثاء لستّ بقيْن من ذي الحجة سنة (306هـ) ستّ وثلاثمائة هجرية. وتأخّرت وفاته عن الجُنيد بتسع سنين.

أمَّا ما ذكر بَعْضهم أنَّ «الحَلاج» تطور في بيْته[3] حتى ملأ البيت فلم يقدر أحَد على إخراجه، فذكَرُوا ذَلكَ «للجُنَيد» فأتَى إليْهِ وقال : يا حسَيْنُ فتحت في الإسلام ثغرة[4] لايسدّها إلاَّ رأسك. فاخرج وسلّم. فَأَنْفَشَّ بَدَنَه وخرجَ مستسلماً شاكراً، ليس بصحيح[5]، لأن «الجُنَيْدَ» مات سنة سَبْع وتسعين ومئتين (297هـ)، في قول الأكثر مِمَّن عَرَّفَ بِه، فكيف يحْضر قَتْلَهُ؟. وكذا[6] قول من قال في محْنة الصوفية أن الأمير[7] قال للعلماء : قتلتم «الحلاج» وهو وليّ اللّهِ، وأنتم تريدون قتل «الجنيد»، فلا يصحّ أيضاً. إلا أن يكون وَقَعَ الغلطُ في تاريخ [مَوْت] «آلحلاّج» «للشعراني» في طبقاته [فَانْظُرْهُ][8].

ثم رأيت «الشيخ ابن زكْري» موافقا «للعشراني». نَعَم ذكر الفقيه العلامة «المسناوي» في نصرته خلافا خفيفا في وفاة «الجنيد». [فاللّٰه تعالى أعْلَمُ].

قوله : و«أنْطَقَ للشبلي». أي صيَّر العقل الشبلي ناطقاً بالوحدة التي أشار في قولِهِ : أَنَا النّقطة التي تحتَ الباء كَمَا مَرَّ بيانه، لما محى عنه[9] رؤية الكوْن، لم يجد إلا الوحدة. فقال : أنا النقطة التي فاضت من عين الجبروت،

---

(1) في «ر» وك» : من : «فقلت له : ما المحبة..» إلى : «على الخوف» ناقصة.
(2) في خ : تصور في بيته.
(3) في خ : تصور في بيته.
(4) في خ : فتحت ثغراً. وفي ك : كُوَّة.
(5) في ر : مشكل. وفي خ : مشكك فيه.
(6) في خ : كذلك.
(7) في خ : أن الآمر.
(8) «الجنيد : تُوفي سنة 297هـ. أما الحلاج فقد قتل مصلوباً ببغداد سنة 309هـ مما ينفي قول الجنيد في الحلاج !!
(9) في خ : مضى عن.

وذلك لأن الإنسان لما انطوى فيه الوجود بأسره فكأنه نقطة الكون، والإشارة بالباء إلى بحر الجَبَروتِ التي تدفقتْ منه نقطةُ الكَوْنِ[1] وفي مَعْنَى ذَلِكَ قيلَ :

بين التذلّل والتَّذَلل نقطَة ... في فَهْمِها يَتَحَيَّرُ النَّحْرِيرُ[2]
هيَ نُقْطَةُ الأكْوانِ إنْ جاوَزْتَها ... كنت الْمُرادَ وعلمك الإكْسيرُ

والإمامُ «الشبلِي» : هُوَ أبو بَكْرٍ، قيل اسْمُه جَعْفَر بن يونُسَ، وهو شيخ الصوفية وإمام أهْلِ الْباطِنِ. كانَ صالِحاً فَقيهاً على مَذْهَبِ مالِكٍ ذو الأنباءِ البَديعة والأخبار الغَرِيبَة، وأَحَد المتصرفين في علم الشريعة والحقيقة. أصْله من خراسان من قرية يُقال لها شَبْلَة ونَشَأَ بِبَغْداد، فكتب الحديث وَصَحب الجُنَيْد ومَن في وَقْتِهِ مِن المشايخ، وَرَوَى عنه جماعة من الفقهاء[3] : «كالأزْهَرِي» و«الرازي»[4] وغيرهما. قال «الرازي» : لَمْ أَرَ في الصوفية أَعْلَمَ مِنَ «الشبلي». وقال «الجُنَيْدُ» فيه : هو عين من عيون الله. خَلَّف أبوه ستين ألْف دينارٍ سوى الضياع والعقار. قال : فَأنفقتها كُلها في سبيل اللّهِ، ثم رجعت إلى الفقراء ولا أرْجع[5] إلى مأوى[6] ولا أسْتظهر بمعلومٍ. وكان[7] جَسيماً بَديناً، فقيل لهُ : إنَّ المحبَّة تفني[8]. فأنشأ يقول :

أَحَبَّ قَلْبِي وَما دَرَى بَدَنِي ... وَلَوْ دَرَى ما أَقامَ في السِّمَنِ

---

(1) في خ : الفقرة من : «لم يجد ... إلى ... نقطة الكون» ناقصة.
(2) النحرير : الحاذق، الفطن، العاقل. في «ك» : ففي فهمها... في «خ» الشطر 2 من البيت 2 : كنت المراد وعندك...
(3) في «خ» و«ر» : من الفقهاء. ناقصة.
(4) الرازي : هو أبو محمد عبد الله بن محمد الرازي، مولده ونشأته بنيسابور. صحب أبا عثمان الخيري والجنيد ورويما وسمنونا والشابلي وغيرهم. مات عام 353 هـ. ومات أبو بكر الشبلي 334 هـ.
(5) في خ : رَجَعَ.
(6) في خ : داره.
(7) في ر : «كان» ناقصة.
(8) في خ : تقضي، وهو تحريف

وَرُئِيَ خارجاً من المَسْجِدِ يوم عيدٍ وهو يقولُ :

إذا كُـنْـتَ لي عِـيـداً ... فَـمـا أَصْـنَـعُ بِـالْـعِـيـدِ
جَـرَى حُبّكَ في قَـلْـبِـي ... جَـرْيَ الْـمـاءِ في الْـعـودِ

وسُئِلَ [الشبلي] عن الزُّهْدِ فقال : تَحويلُ قلبكَ عَنِ الأشياء إلَى رَبِّ الأشْياء[1]. وقـال في الـتَّـصَـوُّف : ضَـبْـط حـواسكَ ومُـراعـاة أَنْـفـاسِكَ، أي أَوْقاتِك. توفي رضي ٱللّهُ عَنْهُ سنة (334هـ) أربعة وثلاثين وثلاثمائة.

وقوله : وكانَ لذات «النوفري» مُوَلهاً، أي وكان العقْلُ لذاتِ النَّوفري مُوَلهّاً[2]، أي مُغَيَّباً عَمَّا سِوَى الحقِّ.

قال «الشيخ زروق» رضي اللَّهُ عَنْهُ : «النوفري لا أَعلم اسْمَه. وَلا أدري حقيقة ما كان عليه تعريفاً، لكن ما قال هُنا يدلُّ على أنّه كان مسْتغرقاً في التوحيدِ حتّى تولَّهَ. مِن أجل ذَلِكَ، صار لا يخاطبَ وَلا يخاطَبُ إلاَّ بهِ. إذ صارَ لَهُ كَالْخَليل الملازم وهو الخدْن. [واللَّهُ أَعْلَمُ][3].

وكـان «النوفري» خـطيـباً بيْـن ذاتَيْنِ، أيْ بيْن عالَم الأَرْواح وعالَم الأشباح، وَهَذا من تمكنهِ في مقام البقاء[4].

وَقَوْلُهُ : «مَنْ لَمْ يَكُنْ فقيراً الخ» كَلامَ مسْتأنَف، بيَّنَ فيه أنه لا يَفْهم كَلامَهُ وَلا يتذوقه إلاَّ من دَخَل البَحْرَ الَّذِي دَخَلَ فيه، أي مَن يكون فقيراً حقيقياً يَرَى الْبَحْر الَّذِي غُصْنا فيه ، وَيَفْهَم الأسْرار التي أَشَرْنَا إلَيْها في هذه القصيدة وَغَيْرِها. وَهَذا كَقَوْلِهِ في بعْض أزْجالِهِ :

سِـرِّي لا يُـفَـهْـمُـوا ... إلاَّ مَـنْ هُـوَ مِـثْـلِـي

(1) في خ : «إلى رب الأشياء» ناقصة.
(2) في ر : الجملة بين أي وكان... إلى مُولَهاً، ناقصة.
(3) قول زروق : شرح النونية. وفي «خ» : لا أعرف.
(4) مقام البقاء : رؤية العبد قيام الله على كل شيء، وقيل بقاء العبد بقيام الله له في قيامه قبل قيامه لله بالله. وقيل هو أن يفني عَمَّا له ويبقي بما لله، وهو مقام النبيين [حفني، ص 35].
أنظر الفناء والبقاء بـ«معراج التشوف...» لابن عجيبة ص 49 – 50.

قوله : «واصْمَت للجني» : قال الشيخ «زروق» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَظُنُّ أَنَّهُ يَعْنِي «ابْن جِنّي» النَّحْوِي. فإنَّهُ أَلَّفَ كتاباً سَمَّاه : «**تجريد خلق الإنسان**»، فَذَكَرَ فيه ما يتعَلَّقُ بالفصاحة والْعَقْلِ، أي وَأَصْمَتَ الْعَقْلَ «**لابن جِنّي**». كتابُهُ الَّذِي سَمَّاه : تجريد خَلق الإنسان[1]. وإنما أَصْمَتَهُ لأنَّ الأمر يقتضي أنه أَوْسَعَ مما ذَكَرَ فيه، فلمَّا قَصَّرَ[2] فيه أَصْمَتَهُ عَقْلُه.

وَقَوْلُهُ : «مَعَ الأمْرِ» أيْ مَعَ اقتضاءِ الأمْرِ أَوْسَع من ذَلِكَ لاختلاف اللّغاتِ وَمَوارِدها، واختلاف[3] أسباب الفصاحَة والبلاغة والبيان، فصارتْ فَصاحَة «**ابن جني**» لكناً، أي خرساً. أو فصارت فصاحة الكلام لكْناً أي عجْمة.

وفي القاموس : لكن[4] كفرح، لكْناً محرّكة[5]. ولكْنة ولُكونَةٌ فَهُوَ لَكِنٌ[6] : لاَ يفهم العربَية لعجمَة[7] لِسَانِهِ[8]. وحاصل الكَلاَمِ أَنَّ كتابهُ الذي أَلَّفَهُ في الفَصاحة والعَقْلِ، لَمْ يَبْلُغ منه المُرامَ فَأَصْمَتَهُ عَقْلُهُ. وقال لَهُ : لِيَتَكَ سَكَتَّ. و«ابْن جنّي» : هو أبو الفتح، عثمان بن جنّي المُوصلي النَّحوي، كان[9] إماماً في العربية، قرأ الأدب على الشيخ «**أبي علي الفارسي**» وَقَعَد للإقْراءِ، فَرَآهُ شيخه «**أبو عليّ**» في حَلَقَة والناس حوْله يأخذونَ عَنْهُ، فقال لهُ: أَتَزَببتَ وأنت حِصْرِمٌ[10]. فتركَ حلْقتهُ ولازَمَهُ حتَّى تَمَهَّرَ[11]. وكان أبوهُ

---

(1) في ر : الفقرة : أي وأصمت... إلى الإنسان، ناقصة.
(2) في ح : قَصَّ : وهو تحريف.
(3) في ر : من : «مع الآمر» إلى : «واختلاف» ناقصة.
(4) في ر : لاكن.
(5) في خ : مُحَرَكاً.
(6) في ر : الكن.
(7) في ر : لعجمية.
(8) أنظر لسان العرب : مادة لكن.
والقاموس المحيط : مادة لكن.
(9) في ر : وكان.
(10) في خ : أتزبيت، وهو تحريف، وهذا القول يطلق على النوابغ من طلبه العِلم الشباب «تزبب قبل أن يتحصرم» أي نضج وأصبح زبيبا حُلو المذاق قبل أن يكون حصرماً.
(11) تَمَهّر : أصبح مهراً، أي صار حذقاً في صناعته : أتقنها معرفة.

جِنّياً[1] رومياً مملوكاً «**لسليمان الأزْدِي**». توفي ابن جنيٍّ سنة اثنتين وتسْعِينَ وَثلاثمائة (392هـ).

ثم ذكر النَّاظِمُ جَماعَةً أُخْرَى فَقالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ :

تَثَنَّى قَضيبُ الْبانِ مِنْ شُرْبِ خَمْرَةٍ[2]
فَكانَ كَمِثْلِ الْغَيْرِ لَكِنَّهُ ثَنَّى
وَقَدْ شَدَّ بِالشُّوذِيِّ عَنْ نَوْعِهِ فَلَمْ
يَمِلْ نَحْوَ أَخْذانٍ وَلاَ ساكِنٍ[3] الْمُدْنَا
وَأَصْبَحَ فيهِ السَّهْروريُّ خائِفاً[4]
يَصيحُ فَما يُلْقي الْوُجودُ لَهُ أُذْنا
وَلاِبْنِ قِسِيٍّ[5] خَلْعُ نَعْلِ وُجودِهِ
وَلُبْسُ إحاطَةٍ[6] مِنَ الحِجْرِ قَدْ تُبْنَا
أَقامَ عَلَى ساق[7] الْمَسَرَّةِ نَجْلُها[8]
لَمَّا رَمَّزَ الأَسْرارَ وَاسْتَمْطَرَ الْمُزْنَا[9]
وَلاَحَ سَنا بَرْقٍ مِنَ الْقُرْبِ لِلنُّهَى
لِنَجْلِ ابْنِ سِيناء[10] الَّذِي ظَنَّ ما ظَنَّا

---

(1) في ر : جنيٍّ.
(2) في الديوان : خَمْرَة.
(3) في الديوان : ولم يسكن.
(4) في الديوان : حائراً.
(5) في ر، خ : ولابن قُسَيٍّ.
(6) في الديوان : لبس إحاطات.
(7) في ر : شأن. وفي خ : شاق، وفي الديوان : ساق وهو الصحيح.
(8) في الديوان : نجله.
(9) في الديوان : «المزنِ من الأسرار فاستقطر المزنا».
(10) في الديوان : ابن سينا.

يقول رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : تَثَنَّى « قَضيبُ الْبانِ»[1] وهو رَجُل من أهْل الشَّام مِنْ أرْبابِ الأحْوالِ، كانَتْ تَظْهَرُ عليه عجائِب وَغَرائِب، وهو مِمَّنْ اختلف فيه بالقبول والرّدِّ. خَرَّبَ ظاهِرَهُ فكانَ يَجْلِس بِالْمَزَابِلِ، وربَّمَا تَجَرَّدَ مِنَ الثِّيابِ فيبقى[2] عرْياناً، وكان يتصور في صور[3] متعددة. وَهَذا مَعْنَى قولِهِ : تَثَنَّى : أيْ صيَّر من ذاتِهِ اثْنَيْنِ مِنْ شُرْبِ خَمْرة، فتجوهر عَقْلهُ وخَرَجَ عَنْ طَوْرِ الفضلاءِ في الظَّاهِرِفَكانَ إذا تطوَّر يَرَى كَمِثْل الغَيْر وهو بِعَيْنِهِ. «لكنَّهُ تَثَنَّى» : أي رجَع اثنيْن. واللَّهُ أَعْلَم.

و«الشّوذِي» هو «العفيف التِّلمسانِي» المعروف بـ«الحلْوِي»[4]، قاله «زروق»، و لم أقِفْ عَلى تَعريفِهِ، وَمَعْنَى شَذَّ : أي خَرَجَ العَقْل بالشوذيِّ عَنْ

---

(1) قضيب البان : هو أبو عبد الله الحسين بن عيسى، من ذرية آل البيت، سُمي قضيب البان، لجمال قده وحسن منظره. توفي سنة 573هـ بالموصل. كان من أرباب الأحوال، والناظم يشير إلى أنه كان ذا تلون. (أنظر : تراجم الأولياء في الموصل الحدباء ص 70 ـ 79، والنفحات ص 525).

(2) في خ : فبقي.

(3) في ر : صورة.

(4) لقد سقط «زروق» تحت وطأة الخلط بين «الشوذي الحلوي» و«العفيف التلمساني»، و لم يتبين ذلك الشيخ «ابن عجيبة».

ذلك أن الشوذي الحلوي هو : أبو عبد الله الشوذي الإشبيلي المعروف بالحلوي، وهو صوفي أندلسي مغمور. سمي بالحلوي، لأنه كان يدور في الأسواق وبيده طبق حلوى يفرق بعضها على الصبيان الصغار، الذين ينقرون له في أكفهم فيأدي شطحات وينشد مقطعات في الحب الإلهي، ثم يبيع حلوائه ويشتري بثمنها صعاماً يتصدق به على المحتاجين.

اهتم بتعليم الحديث والتفسير بجوامع مدينة مرسية، حيث كان يتكلم في تفسير البسملة عشرة أيام متتالية وقد نسبت للشوذي علوماً جديدة في التصوف : (مزج التصوف بالفلسفة) وعرف بتدخله في الشؤون السياسية.

ونحن لا نعرف من آثاره سوى الأبيات التالية التي تبين أنه من القوم :

إذا نَطَقَ الْوُجودُ أصاحَ قَوْمٌ — بآذانٍ إلَى نُطْقِ الْوجودِ

وذاك النطقِ ليس به انعجاحٌ — ولكنِ دَقَّ عَن فَهْمِ الْبَليدِ

فَكُنْ فَطِناً تُنادي من قريب — وَلا تكن من يُنادَى من بَعيد

توفي الشوذي ترجيحا في مطلع القرن 7هـ.

(أنظر ترجمته الكاملة بكتاب : «البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان» لأبي عبد الله ابن مريم، الجزائر، 1908 ص 68 – 70). =

نَوْعِهِ وَجِنْسِهِ من النّاسِ، فكان مُنفرداً وحْدانِيّاً فارّاً مِنَ المُدُنِ والقرَى[1]. لَمَّا صقلت مرآة عَقْلِهِ تأنَّسَ بِاللهِ وَفَرَّ مِمَّا سواهُ، فَلَمْ يَمِلْ لأصحاب وعشائر وَلا ساكن المُدن وكِبارِ المَداشر، لأنَّ الخُلْطَة تُشَوّش الفِكْرَةَ، سِيَمَا هَرَج المُدُنِ، فلا يقوى عَلَيْها إلاَّ مَنْ قوي نُورُ معرفته، وبالله التوفيق.

و«السَّهْرورِيّ» : قال الشيخُ «زرّوق» رضي الله عنه : المراد بهِ المقتول صاحب «خواصّ الأربَعينَ الإدريسية» وغيرها. أي صاحب العوارف[2]، أي وأصبح السَّهْرُورِيُّ خائِفاً مِن جِهَة عَقْلِهِ فَلَمْ يطق ما تَجلَّى لهُ من أسْرار خواصِّ الأسْماءِ. فكان يصيح في العالَم بِما عنْدَهُ، فلم يَسْمَع أَحَد نداءَهُ ولا ألقى إليه أذْناً. وفي بعض النسخ : يصيخ بالخاءِ المعجَّمَة. يُقال : أصاخَ للأمْر : استمَعَ لهُ، وهَذا بعيد المُناسَبَة.

و«ابن قسَيّ»[3] : هو صاحب «خلْع النَّعْلَين واقْتِباس النُّورَيْن مِن مَوْضِع القَدَمَيْن» قاله «زروق» و لم يذكر له تعريفاً، غَيْرَ أَنَّهُ اعترض علَى النَّاظِمِ تشريفه

= أما العفيف التلمساني : فهو عفيف الدين التلمساني، ولد بتلمسان عام 612هـ وتوفي بها عام 690هـ. يعتبر العفيف من ألمع مريدي الشيخ ابن عربي، تكوينه فقهي سني عميق، درس التصوف والآداب وأصول الفقه، ورغم ورعه وأخلاقه الرضية، كان موضع ريبة من طرف معاصريه الذين كانوا يجهلون حقيقة آرائه. من أقواله وهو على فراش الموت : «من عرف الله كيف يخافه، والله منذ عرفته ما خفته وأنا فرحان بلقائه».
(عن أخباره أنظر : دائرة المعارف الإسلامية ج 5، ص 564 وبركلمان : تاريخ الأدب العربي، ج 1، ص 257 و(Herris Lahouste, Chiisme dans l'islame, Paris 1983, p. 284.

(1) يعني أنه كان صوفيا مباعداً للناس.

(2) وهنا كذلك وقع الشيخ ابن عجيبة في خلط بين السهروردي المقتول وأبي النجيب السهروردي صاحب العوارف.
ذلك أن المقصود بالسهروردي عند الششتري في هذا البيت هو أبو الفتوح يحيى بن حسن، الملقب بـ«شهاب الدين السهروردي المقتول» مؤسس مذهب الاشراق (549هـ ـ 588هـ)، وقد قتل بأمر من «صلاح الدين الأيوبي». من أهم مؤلفاته : كتاب «هياكل النور» و«حكمة الإشراق». (أنظر ترجمته : بفوات الوفيات ج 2، ص 345، شاكر ا الكتبي ط بولاق 1283هـ.
أما صاحب العوارف : فهو «أبو النجيب السهروري» وليس هو المقصود في البيت الشعري.

(3) ابن قسي : هو «أحمد بن الحسين أبو القاسم»، شخصيته فكرية وسياسية هامة، لعبت دوراً أساسيا في توجيه التصوف وجهة خاصة، إذ طبعه بالأفكار الفلسفية والعنوصية =

بِذَلِكَ، لأنَّ أهْلَ الطريق قد تكلمُوا فيه، أي ولابْن قِسيّ خلْع نَعْل وجودِهِ، وغابَ عنْهُ لَمَّا تحققتْ معرفته بِالله. ولعلَّ كَلام أهْلِ الطَّريق حيْثُ لمْ يَفْهَمُوا مُرادَهُ كَمَا تَكَلَّمُوا في غَيْرِهِ مِنَ المحققينَ.

وقوله : «ولبْس إحاطة» : أشار لكتاب سمّاه بِذَلِكَ، أي وله لبْس إحاطة. وقوله : «من الحِجْرِ قَدْ تُبْنَا» : أي تُبْنَا من ثبوت الحِجْرِ لثبوت الحرّية لَنَا والتَّرْشِيد من أشياخِنَا، ولعل ذلك الكتاب المسمَّى «**بِلْبس الإحاطةَ**» تكلم فيه على التحجِير من جِهَة الشريعة، أو من جِهَة حصر الكائنات. فقال النَّاظِم: قد تُبْنَا مِنْ ذلِكَ. وخرجْنا منْهُ والله أَعْلَمُ. وقولُه : «أقامَ عَلَى ساق المسَرَّة». قال الشيخ «زروق» : «ابن المسَرَّة» هو ابن سُرور، وهو فقيه صاحب يَد في العلوم القديمة[1]، أي أقام ابن مسرَّة على متْن[2] السّرور حيثُ ظَفر[3] بما خفي على النّاس من مكنونِ أسْرار الرّموز. لأنّه ممَّن اعْتَنَى بحلها وفكّها كما فَعَلَ «المقدسي» وإليه أشار بقولِهِ : «لمَّا رمَّزَ الأسْرارَ واسْتمطر المُزْنا»، أي دامَتْ مسَرّته لما كشف الأسرار، و«اسْتَمْطَرَ» : أي اسْتَنْزَلَ أمْطار المعاني من سحائب الألفاظِ، أو من سُحُب الآثار وهي الأواني.

= والإمباذ وقلبة المنحولة والاعتزالية وبالأفكار الفيضية والهرمسية الحرانية. توفي 546هـ. (أنظر كتاب خلع النعلين... تحقيق د. الأمراني ط 1.

(1) ابن مسرة : هو محمد بن عبد الله بن نجيح من أهل قرطبة، يكنى «أبا عبد الله» كل من اهتم بالتأريخ لحياته يعتبره من أوائل مفكري الأندلس وفلاسفة المتصوفين. (ولد 269هـ وتوفي 319هـ) من مؤلفاته :
- كتاب «خواص الحروف وحقائقها وأصولها» «الروف».
- كتاب «الاعتبار» «التبصرة».
- كتاب «توحيد الموقنين» (مفقود).
- كتاب «مسائل في مدونة مالك» (مفقود).

(أنظر حول ابن مسرة كتابنا : «ابن مسرة وفلسفته الصوفية» ط 1 دار الثقافة 2000).

(2) في ر : من.

(3) في خ : ظهر.

وَقَوْلُه : «وَلاحَ سَنَا بَرْقٍ» الخ.. أي ظَهَرَ ضَوْءُ بَرْق «لابْن سيناء» من حقيقة عقله والمُقرَّبة للعقل ما كان بعيداً عَنْها، فإنَّهُ شَرَحَ مِن أَمْرِ العقل ما لَمْ يشرَحْهُ غَيْرهُ.

و«ابن سينا» هَذا هو المتأخر وهو أحَد فلاسِفَة الإسلام، وقد تكلَّمَ النَّاسُ فيه واتهموهُ بالكُفْرِ. قال «الشيخ السنوسي» في شرح الكُبْرَى : ولقد ضَلَّ «ابْن سينا» وتستَّر بالإسلام حيث قال في الطبائع الأربعة[1] :

وقول بقراط بها صحيح ماء ونار وتراب وريح[2]

قلت : أمَّا مجرَّد هذا القول فلا[3] يَدُلّ على كُفْرِهِ، لأنَّ عالَمَ الحِكمَة مَبْنيّ على الأسْبابِ والعِلَل في الظَّاهِرِ[4] وفي الباطن الفاعل[5] هو الله، فقد يكون تَكَلَّم على ما هو مقررٌ في عالَم الحِكْمَةِ من ترْتيب الطَّبائع والأسباب. نَعَم قد قيل عنْهُ إنه كان يَرَى أنَّ الشريعة للعَقْلِ تابعة[6]، فتدور معهُ في عِلَلِ الأحْكام. قال «الشيخ زروق» : وهو مذهب فاسدٌ وإليه أشار النَّاظم بقوله: «الذي ظَنَّ ما ظَنَّا»، أي ظَنَّ الشريعة تابعَة لِلْعَقْلِ، والحق أنَّ العقل تابع للشَّرْع في عِلَلِ الأحْكامِ وأسْرارِها. فإن أَدْرَكَ لَها عِلَّةً وَحِكْمَةً كانَ عَيْن الكَمالِ، وإن لم يُدْرِك لَهَا حَكَمَ بتقصيرهِ وتَعَبَّد بِأَمْرِ سيِّدِهِ، وباللَّهِ التوفيق.

ثم ذَكَر الشيخ جَماعَة أُخْرَى فَقالَ :

---

(1) ومعنى ذلك أنَّ «ابن سينا» يقول بقدم العالم من حيث مادتُه (الهولي : العناصر الأولية، الاستقساطات : الماء النار التراب الهواء) إنه قديم بحسب الزمان، أي لا أول لزمانه، ولكنه ليس قديما بحسب الذات، إذ لذاته مبدأ يوجد به، بينما القائم بالذات هو الذي لا علة لوجوده، وليس كالعالم الذي له علة التي هي الله. وابن سينا قال برأي أرسطو وليس برأي بقراط :

(2) في خ : «وقول بقراط هو الصحيح ماء ونار، وهوى وريح»

(3) في ر : لا وإبقراط كان طبيبا فهو صاحب القسم الطبي المشهور.

(4) في خ «ومن» ناقصة.

(5) في خ : «الفاعل» ناقصة.

(6) في ر : أن الشريعة تابعة للعقل.

وَقَدْ قَلَّدَ الطُّوسِيُّ ما قَدْ ذَكَرْتُهُ وَلَكِنَّهُ نَحْوَ التَّصَوُّفِ قَدْ حَنَا
وَلابْنِ طُفَيْلٍ وابْنِ رُشْدٍ تَيَقُّظٌ رِسالَةُ يَقْظانَ اقْتَضَى فَتْحُهُ الْحِينا[1]
كَسا[2] لِشُعَيْبٍ ثَوْبَ جَمْعٍ لِذاتِهِ يَجُرُّ عَلَى حُسَّادِهِ الذَّيْلَ وَالرُّدْنَا

يقول رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: وَقَدْ قَلَّدَ «الطوسِي» وهو «**الغَزّالِي**»، أي قَدْ تقلَّدَ مَا قَدْ ذَكَرْتُهُ مِنْ تحكيماتِ الْعَقْل، واستحسانه[3] فاستخرج[4] بذَلِكَ من عجائب القلْبِ وشرْح أسْرارِهِ ما يقضي منه العَجب، وكذلك أسرار العباداتِ والعاداتِ وغَيْر ذلِك مما هو مذكورٌ في كُتُبِهِ. لَكِنَّهُ نَجَا مِنْ وَبالِ العَقْلِ حيْث حَنَّ إلَى التَّصوفِ، فصرفَ عَقْلَهُ في استخراجِ أسْرار الشريعة وحكَم الأحْكام.

و«**الغَزَّالِي**» هو حجة الإسلام محمد بن محمد بن أحمد الغزَّالي الطُّوسي، ويُكَنَّى أَبا حامِدٍ حبْر هذه الأمَّة وَراهبِها. اشتغل أوَّلاً بالعلوم وتدريسها ببَغْداد، ثم ترك جميع ذلِكَ وسلكَ طريق التجريد والانقطاع، وخَدَم الصوفية بنفسه سنينَ، ثم قَصَدَ الحجّ. فَلَمَّا رجع قَدِمَ إلى الشام وأقام ببيْت المقدِس مجاوراً، واجْتهَدَ في العبادة وزيارة المشاهر[5] والمواضع المعظمة. ثم عاد إلى دِمشق واعْتَكَف في زاوية مِن منار الجامع، وأخذ في التصنيف «**لإحياء علوم الدّين**»، وهو من أنفس الكتُب لا يسْتغني عنها طالب الآخِرة. وكان يُرَوِّضُ نَفْسَهُ في المجاهداتِ، ويُكَلِّفُها مشاق الطاعات. ثم قصد مصر وأقام بالإسْكَنْدَرِية مدَّة، ثم رجع إلى بغْداد[6] وعقَدَ بها مجالس[7] الْوَعْظِ، وتكلَّم على لسانِ أَهْلِ الحقيقة، ثم عاد إلى وطنه بطوس ووزَّعَ أوْقاته على

(1) في «ر»: الحينا وكذلك في «خ»، بينما في الديوان: الجفنا.
(2) في خ: كسى.
(3) في خ: واستحساناته.
(4) في خ: «فاستخرج» ناقصة.
(5) في خ: المشاهد.
(6) في ر: وطنه بغداد.
(7) في ر: مجلس.

وظائِفِ الخَيْرِ : من خَتْمِ القرآن، ومجالسة أهْل القلوب[1]، وإدامة العبادات[2] إلى أنْ نَقَّلَه الحقُّ إلى دار الكرامة، في يوم الإثْنين، رابع جمادى الأخيرة[3]، سنة خَمْسٍ وخمسمائة (505هـ) بطوس وبها دُفِنَ، وقبْره بِهَا مشهورٌ.

وذكر «التالدي» في كتابه «المعزى» : أنَّ سبَبَ تجريد الغزَّالي وانقطاعِهِ: هُوَ أَخوهُ، وكانَ من محققي الصوفية، وقَفَ عليه في مجلس عِلْمِهِ فَقالَ لهُ[4] إلى أيٍّ[5] تحتبس في هذه المعاقِلِ ؟ وأنشده شعراً أنهضه[6] إلى ربِّهِ. وذكر غيْرَهُ أنَّهُ وصَّلَهُ بشيخهِ وكان خرَّازاً فجذبه[7] إلى ربِّهِ وأَمَرَه بتخريب ظاهرِهِ وبالتجريد، فحينئذٍ ضاق ما ذاقَتِ الرجال. و«الغزَّالي» بتشديد الزَّاي نسبة إلى الغَزَّال[8] على عادة أهْلِ خَوارزم وجُرْجان، فإنَّهم ينسبون إلى القصَّار القصَّاري، وإلى العَطَّار العَطَّاري. وقيل : إنَّ الزَّاي مخففة نسبة إلى غزالة، وهي قريْة من قُرَى طوسٍ، وهو خِلافُ المشهور، وطُوْسٌ بِضَمِّ الطَّاءِ وسكون الواو : قرية من قُرَى بُخارَى. وما يقال إنه مدفون في ترغا[9] غلط فاحش. قال «الدميري»[10] في «حياة الحيوان» : رويْنا بالسَّنَدِ الصحيح عن الشيخ «أبي الحسن الشاذلي» رضي الله عنهُ. أنه قال : رأيْتُ النبيّ ﷺ في النَّوْم وقد باهَى «موسى» و«عيسى» بـ«الغَزَّالِي»، فقال لهُما : أفي أُمّتكما هذا الحَبْر؟

---

(1) في خ : القبول.

(2) في خ : العبادة.

(3) في خ : الثانية.

(4) في ر : «فقال له»، ناقصة.

(5) في خ : إلى أين.

(6) في ر : نهضه.

(7) في ر : فدخل به.

(8) في خ : الغزالي : والغزال : الذي يغزل الصوف، وهي مهنة أبيه، وذلك أن أبناء الموالي كانوا ينسبون إلى صنعة أبيهم.

(9) في خ : بترعة.

(10) الدميري : وهو الشيخ كمال الدين محمد بن عيسى الدميري الشافعي المتوفى سنة 808هـ وكتابه «حياة الحيوان» مشهور لكن صاحبه ليس مختصا في فين حياة الحيوان كالجاحظ.

وأشار إلى «الغزَّالي»، فقالا : لاَ. قال الشيخ «أبو العباس المُرْسي» : «إنَّا لَنَشْهَد لَهُ بالْغَوْثِية العُظْمَى». وقيل القائل هو «الشاذلي» رضي الله عنهُمْ أجْمَعين.

ثم قال الشيخ رضي الله عنه : و«لابن طُفَيْل وابْن رُشد تيقظ» أمَّا «ابن طفيل» فهو من فلاسفة الإسلام، له عقل وتيقظٌ في الأمور العَقلية، ولَمْ أَقِفْ على تعريفه[1]. وأمَّا «ابن رُشد»، فالمُراد به الحفيدُ وهو : محمد بن أحمد بن محمد بن رُشد الإمام المشهور، ولد سنة عشرين وخمسمائة (520هـ) قبل وفاة جدِّه أبي الوليد بشهْر، واشْتَهَرَ بالحَفيد. وهو من أهْل قرطبة وقاضي الجماعة بها، أخَذَ الفقه عن «المازري» وغيره. وأخذَ الطبّ عن «أبي مِرْوان بن جرجونَ» وكانت الدراية أغلب عليه من الرِّواية خلاف جدِّه، و لم ينشأ في الأندلسِ مثلهُ حتى قيل فيه : كانَ أَفْقَهَ من جَدّه. وصنَّف وَقَيَّدَ مذهبه ومالَ إلى علوم الأوائِل، وكانَتْ له فيها[2] الإمامة دونَ أَهْل عصرهِ. وكان يفزع إلى فِتْياه في الطبّ. كما يفزع إلى فتياهُ في الفقه. له تآليف جليلة منْهَا : «كتاب بداية المجتهد ونهاية المقتصد». وذكر فيها أسْباب خلاف المذَاهب وعللها، وأفاد وَأَقْنَعَ[3] فيه، وَلاَ يُعْلَم[4] في وقته أنْفَعَ مِنْهُ. وله كتب أخرى ذكرها في الدّيباج[5]. تُوفي رحمهُ الله سنَة خمسٍ وتسعين وخمسمائة (595هـ) بمراكش، كان قَدِمَ على

(1) ابن طفيل : هو أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن طفيل القيسي، ولد حوالي سنة 506هـ/1110م وتوفي سنة 581هـ/1185م. وأصله من وادي آش، موطن الششتري، وقد تتلمذ على ابن باجة المتوفى حوالي 532هـ/1138م. مارس الطب في غرناطة، كما عمل كاتباً لعاملها، ولاتقانه صنعة الطب وعلو كعبه فيه أصبح طبيبا لأبي يعقوب يوسف المنصور الخليفة الموحدي (558هـ/1163م ـ 579هـ/1184م). كانت له حضوة كبيرة عند هذا الإمبراطور، وهو الذي قدم إليه ابن رشد، الذي احتل فيما بعد منصب طبيب المنصور، ولشغف هذا الأخير بفلسفة أرسطو قام بطلب منه بتدوين ملخصات وشروح لفلسفته.
وقد صنف ابن طفيل في الطب كتبا، كما كانت له آراء مبتكرة في الفلك. وقد ذكر «البطروخي» أنه أخذ منه قوله في «الدوائر الخارجية والدوائر الداخلية».
و لم يبق من مؤلفاته إلا رسالة «حي بن يقضان» والتي تسمى «أسرار الفلسفة المشرقية».

(2) في خ : فيه.

(3) في ر : وأمتع.

(4) في ر : ولا ينفع.

(5) ويعني به «الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب» تأليف قاضي القضاة «ابن فرحون».

السلطان فمات، ثم دفِنَ بِها، ثم نُقل إلى قبره بقرطبة. وفي قَبْرِه دُفِنَ الولي الشهير «**أبو العباس السّبتي**»[1]. وقيل في [ابن رشد] الحفيد: إنه اتُّهِمَ بالاعتزال وبالميل لمذاهب الفلاسفة. كما رمي بذلك «**ابن طفيل**» ولذلك قرِن مَعَهُ. و لم يَنْسُب لهما النَّاظِمِ إلاَّ التيقظ في أمور العقل فقط.

قال الشيخ «**زروق**» : وأمَّا ابن طفيل وابن رشد الحفيد فمن متفلسفة الإسلام، وقد رُمُوا بأكبر الكفر والله أعْلَمُ. قلت : كتب الحفيد[2] موشحة[3] بالأحاديث النبوية لَيْس فيها شيء مما رُمِي بِهِ، وقد عرَّف به صاحب الدِّيباج وغيره فلم ينسبُوا له شيئاً مِمَّا يُنقصُهُ، وعند الله تجتمع الخصوم. ويقظان هو ابن يقظان[4] وله رسالة في العقليات. قال الشيخ «زروق» : وقد وقفت عليها وهي مبنيّة على القول بالطبيعَةِ، وهو نوع من الكُفرِ[5]. ولذلك قال الناظم: «اقتَضَى فتحه الحيْنَ»، أي اقتضى فتح العَقْل لهُ الحَيْنَ، وهو الهَلاك.

---

(1) أبو العباس السبتي : هو أبو جعفر أحمد بن جعفر الخزرجي ولد بسبتة عام 524هـ. نزل مراكش وبها توفي سنة 601هـ ودفن بباب تاغزوت. أنظر ترجمته الكاملة وبعض أخباره بالمصادر التالية:
أـ الاعلام، العباس بن إبراهيم (1 : 234 – 325).
ب ـ أنس الفقير وعز الحقي،لابن قنفذ ص 7، 8، 9.
حـ ـ نيل الابتهاج لأحمد بابا التنكتي.
د ـ الفتوحات المكية.

(2) في خ : الحفيد، ناقصة.

(3) في ر : مرشحة، وهو تحريف.

(4) ويقصد به «حي بن يقظان»، موضوع رسالته يدور حول «أسرار الفلسفة المشرقية». والأساس الفلسفي لهذه القصة هو الطريق التي كان عليه فلاسفة المسلمين الذين نهجوا على مذهب الأفلاطونية الحديثة. وقد صور «ابن طفيل الإنسان، الذي هو رمز العقل، في صورة حي بن يقضان، ورمى «ابن طفيل» من وراء هذه القصة إلى بيان الاتفاق بين الدين والفلسفة، الموضوع الذي شغل الفكر الإسلامي طويلا.

(5) ارجع إلى نص القصة كما ألفها أبو بكر ابن طفيل، وأنظر هل هناك فيها من كفر كما ادعى الشيخ زروق ؟! فقد أعدت قراءة هذه القصة و لم أجد فيها كفراً أو ما يكفر، بل بالعكس من ذلك وجدت فيها فكرة جيدة للتقريب بين الفلسفة والدين، بين العقل والنقل، واعتبار أن الدين حق وطريقه الوحي والنبوة، وأن الفلسفة حق وطريقها العقل، وأن الحق لا يضاد الحق إذ النبوة لا تضاد العقل بل تدعمه وتشهد له.

قولُه[1] «كَسَى لشُعَيْب» : المراد «أبو مَدْين الغوث» الشهير بالولاية شرقاً وغرْباً، كان رضي الله عنه من أعْيان مشايخ المغرب وصدور المُقَرَّبِينَ. واسْمُه: شعيب، وولده مَدين مدفون بِمِصر بِبِركةِ القرع[2] ، وقبْره مشهور يزار. وأما «أبو مدْيَن»[3] فهو مدفون بمدينَة تلمسان في تربة العباد، مات وقد جاوز الثمانينَ سَنَةً. كان مقيماً ببجاية، ثم إنَّ سلطان تِلمسان بلغهُ خَبَرهُ وما كان فيهِ من الشُّهْرَةِ، فأَمَر بإحضاره من بجاية ليتبرك بهِ لتعذُّر وصول السلطان إلى زيارته خوفاً من رعيتِه، فأجابَ بالسَّمْعِ والطاعةِ، ثم قال بخفض صَوْتِهِ : ما لنا وللسلطان، نزورُ الإخوان، ثم نزل[4] تِلِمسان واستقبل القبلة ليلة دخولِهِ وتشهَّدَ ثم قال : هَا قَدْ جِئْتُ وعجلْت إليك ربِّ لتَرْضَى، ثم قال : الله الحيُّ، وفاضت روحهُ.

قال الشيخ «عبد الرزّاق : اجْتَمَعْت بـ«الخضر» عليه السلام فسألته عن شيْخنا «أبي مَدْيَنَ»، فقال : هو إمامُ الصِّدِّيقينَ في هذا الوقتِ، وقد أعْطاه الله مفتاحاً من السِّرِّ المَصونِ، فما في هذه السَّاعَة أجْمَعُ لأسْرار المرسلينَ منهُ. وقد أَجْمَعَتِ المشايخ على تعْظيمِهِ وإجْلالِهِ. وكان جميلاً ظريفاً، متواضعاً زاهداً، وَرِعاً محققا. قدِ اشتَمَلَ على كَرَمِ الأخلاقِ، وكانَ يقول : لَيْسَ لِلْقَلْبِ إلاَّ جِهَة واحدة متى تَوَجَّهَ إليها غابَ عَنْ غَيْرِهَا. وَقالَ أيضاً : الفَقْرُ نورٌ مادُمْتَ تَستُرُهُ، فإذا أَفْشَيْتَهُ ذهبَ نُورُهُ. وكان يقول[5] : كل فقير[6] كان الأخذ أحب إليه من

(1) في خ : قوله ناقصة.
(2) في ر : ببركة التَّزع
(3) أبو مدين : كان يعتبر ذا مكانة خاصة بين متصوفة الغرب الإسلامي وهو إن كان قد أخذ علومه الذوقية عن مشايخ أمثال «أبي الحسن بن حرزهم» (ت 559هـ) وأبي يعزى (ت. 572هـ) إلا أنه لم يكن مثلهم تقليديا مباعدا للناس عاملا على نجاة نفسه بل كان متجها إلى خدمة أمة الإسلام. (انظر كتابنا : «نظرات في التصوف المغربي» ط 1 دار الثقافة 2006م).
(4) في خ : نزور.
(5)في خ : وقال أيضا».
(6) في ر : «فقير» ناقصة.

العطاءِ فهُوَ كَذَّابٌ لم يشُمَّ لِلفقْرِ رائِحَة. وقال أيضاً: مَنْ لَمْ يَصْلُحْ لِخِدْمَتِهِ شَغَلَه بالدُّنْيا، وَمَنْ لَمْ يَصْلُحْ لمعرفَتِهِ شَغَلَهُ بالآخِرَةِ. وقال أيضاً: مَنْ لَمْ يَخْلَعْ له الْعذار، لم تُرْفَع له الأسْتار. ومكَثَ في بَيْتِهِ سَنَةً لم يَخْرُجْ إلاَّ إلَى الجُمُعَةِ فاجْتَمَعَ النَّاس على باب دارِهِ وَطَلَبُوا منه أنْ يتكَلَّمَ عَلَيْهِمْ، فلمَّا أَلْزَموهُ خَرَجَ فَرَأَتْهُ العصافير التي على سدرة دارِهِ[1]، فَفَرَّتْ مِنْهُ[2]، فرجَعَ وقال: لوْ صلحْتُ للحديث عليكم لم تَفِرَّ مِنِّي الطُّيور. فَجَلَسَ في البيت سنَة أخرى، ثم جاءُوا إلَيْه، فَلَمْ تَفِرَّ مِنْهُ الطيورُ[3]،فتكلَّم على النَّاسِ ونَزَلتِ الطُّيورُ تَضْرِبُ بأَجْنِحَتِها حتى ماتَ منها طائفة، وماتَ رجل من الحاضِرينَ.

وكانَ اللهُ تعالى قد أَذَلَّ له الوحوش، فإذا رآه الوحْش ارْتَعَدَ من هيْبَته. ومَرَّ يوْماً على حمارٍ، والسَّبُع قد أكَل نِصْفَهُ، وصاحب الحِمارِ ينظر إليه من بَعيدٍ لا يَسْتَطيع أن يقرب منهُ، فقال لصاحب الحمارِ: تعالَ، وذهب بهِ إلى الأسَدِ وقال: أَمْسِكْ بأُذنِهِ[4] واسْتَعْمِله مكان حِمارِكَ حتى يموتَ، فأَخَذ بأُذنِهِ وركِبَ وصارَ يسْتعمله موضع[5] حماره حتى ماتَ الأسَدُ.

تُوفي رضي اللهُ عَنْهُ سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة (593هـ) عن خمسٍ وثمانين. وخرج من دائرته ثلاثمائة قطب دونَ الصَّالِحينَ. وأَخَذَ الطريقَ عن «**أبي يَعْزَى**»[6] و«**الشيخ عبد القادر**»[7] وسيدي «**علي بن حرزم**»[8] رضي اللهُ عَنْهُم أجمعين.

قال الشيخ رضي الله عنه في مَدْحِهِ: «كَسَى لشعيب ثوباً جمع لذات». أي كساه عَقْلُهُ ثوباً جامعاً لذاتِهِ على رَبِّهِ، فكانَ دائما مجموعاً على اللهِ، في بساطِ الحَضْرَةِ. وكان كثيراً ما يُنْشد:

---

(1) في خ: سور في الدار.

(2) في ر: «منه» ناقصة.

(3) في ر: «منه الطيور» ناقصة.

(4) في ر: وقد أمسك بأذنيه.

(5) في خ: مكان.

(6) أبو يعزى: وهو «أبو يعزى بن ميمون يَلَنُّور»، كان كثير الكرامات حتى قال فيه «أبو مدين»: «رأيت أخبار الصالحين من زمان «أويس القرني» إلى زماننا هذا، فما رأيت أعجب من أخبار «أبي يعزى» توفي سنة 572هـ، ودفن بتاغية. (أنظر الترجمة الكاملة =

اللهُ قُلْ وَذَرِ الْوُجودَ وَمَا حَوَى   إنْ كُنْتَ مُرتاضاً بُلوغَ كَمَالٍ[1]

وقوله[2] «يَجُرُّ الذَّيل» أي طرفَ الإزار. والرُّدْنُ بضَمِّ الرَّاءِ : أصْل الكَمِّ، أي يجُرُّ ذَيْلَه وكَمهُ افتخاراً بِمَوْلاهُ[3]، وشكراً لما بهِ أَوْلاهُ[4].

قال الشيخ «زروق» رضي الله عنه : تخرجَ على يده ألف وليّ، و لم يذكر عن أحَدٍ من أئمَّةِ الدين طعَن فيه رضي الله عنهُ وأَرْضاهُ ونَفَعَنا بهِ ؛ وهو أنْدَلُسي »[5].

= لأبي يعزى بكتاب التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، «للتادلي بن الزيات» تحقيق أحمد التوفيق الرباط 1984م. الترجمة 77 ص ص 213 ـ 222. وكذلك :

Loubignac : Un saint berbère, moulay Bouazza, Histoire et légende, Hesperis, T 31, 1944, p. 15.

وأنظر كتابنا : «نظرات في التصوف المغربي» ط 1 دار الثقافج، البيضاء 2006.

(7) الشيخ عبد القادر : (470هـ أو 471هـ ـ 561هـ) وهو عبد القادر بن أبي صالح عبد الله بن جنكي دوست بن أبي عبد الله بن يحيى بن محمد بن داود بن موسى ابن عبد الله المحص بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب.
والجيلاني نسبة إلى «جبل جيلان» وهي بلاد متفرقة من وراء طبرستان وبها ولد. ويقال لها أيضا جيلان وكيلان. وقد ظهر الشيخ عبد القادر وجلس للوعظ بعد سنة 520هـ وحصل له القبول التام مع الناس لصلاحه وانتفعوا بكلامه واحترمه الملوك وعلية القوم.
وأنظر ترجمته الكاملة بكتاب «شذرات الذهب في أخبار من ذهب» تأليف : «عبد الحي بن العمار الحنبلي» (ت 1089هـ) ج 3/8 دار الآفاق بيروت ص 197 ـ 202. وسلوة الأنفاس، لابن إدريس الكتاني ج 1، ط 1، 2004. دار الثقافة، البيضاء ص 242 ـ 244، ترجمة رقم : 177.

(8) علي بن حرزهم : هو علي بن محمد بن حرزهم، دفين فاس، المتوفى سنة 559هـ كان فقيها حافظاً زاهداً في الدنيا، سالكا سبيل الملامتية، مظهرا للخلق قبائح ما فيه وكتم محاسنه، حتى يتلقى لوم الخلق على ظاهره، ويلوم نفسه، كما كان كثير العكوف على قراءة كتاب «إحياء علوم الدين» للغزالي. (أنظر ترجمته بكتاب التشوف، نفس المعطيات ص ص 168 ـ 173).

(1) ورد هذا البيت ضمن قصيدته في كتاب بغية الرواد ص 126 الجزائر : 1980، والبيت جاء كما يلي :

اللهُ قُلْ وَذَرِ الـوجـود وَمـا حَـوَى   إذا كـان مُـرْتـاداً بِـصِـدْقَ مُـرادِ

انظر كذلك كتابنا : نظرات في التصوف المغربي. ط 1، دار الثقافة 1427هـ – 2006م.

(2) في خ : «وقوله»، ناقصة.

(3) في خ : لمولاه.

(4) في ر : «وشكرا لما به أولاهُ» ناقصة.

(5) شرح النونية.

ثم ذكر الناظِمُ جماعة أُخرَى فقال :

وَعَنْهُ طَوَى الطائِيّ بَسْطَ كِيانِهِ ... بِدَسْكَرَةَ الخُلاَّع إذْ ذَهَبَ الْوَهْنَا
تَسَمَّى برُوح الرُّوح جَهْراً فَلَمْ يُبَالِ ... وَلَمْ يَرَ نِدّاً في الْمَقام وَلا خِدْنَا
بِهِ عُمَرُ بْنُ الْفارِضِ النَّاظِم الَّذِي ... تَجَرَّدَ لأشْعارِ[1] قَدْ سَهَلَ الْحَزْنَا
وَباحَ بِهَا نَجْلُ الحَرَالِيّ عِنْدَمَا ... رَأى كَتْمَهُ ضُعْفاً وَتَلْوِيحَهُ غَيْنا
وَلِلأَمَوِيّ النَّظْم والنَّشْرُ في الَّذِي ... ذَكَرْنَا وإعْرابٌ عَمَّا نَحْنُ أَعْرَبْنَا

المُراد بالطائي : «**ابن عَرَبي**» لأنه من ذرية **حاتَم الطَّائي**، وكان في زمانِهِ يعرف بـ«**ابن سُراقة**»، وعند المتأخرين مِنَ الصوفية : «**محيي الدّين**». وهو الإمام المحقق رأس العارفينَ وإمام المُقَرَّبينَ، ذو النَّفحات القدْسية والأنفاس الرّوحانية، والمعارف الباهِرَة والحقائق الزَّاهرة. له المحلّ الأرفع في مراتب القرْب وَمَنازِل الإحسان[2]، وهو أحَد أرْكان هذه الطريق، وأجَلّ أئمة أهل التحقيق، بحرُ زَمانِه وفريد أوانِهِ، لَقَّبه الشيخ «أبو مَدْيَنَ» بسُلطانِ العارفين. وكَلام الرجل دليل على مَقامِهِ، وكُتبه مشهورة بأَيْدِي النَّاس، إلاَّ أنه مال[3] فيها لإظهار الحقائق وكشف غطائِها، فَرُميَ بما رُمِي بِهِ غيْرُهُ ممّن أظْهَرَ الحقائق[4].

وَمِن كشوفاته رضي الله عَنْهُ : أنه ذكَرَ في بَعْضِ كُتُبِهِ صفَة السلطان جد السلطان[5] **سليمان بن عثمان**[6] الأول، وفتْحَه القُسْطَنطينيةَ في الوقت الفلاني. فجاء الأمْرُ كما قالَهُ[7] وبيْنَهُ وَبَيْنَ السلطان نَحْو مائتي سَنة، فَبَنَى عليه قُبَّةً عظيمة بِالشّام وَرَتَّبَ فيها طعاماً وَخَيْرات. واحتاج إلى الحضور عنده من كان ينكر عليه من القاصرين[8]، بَعْدَ أن كانُوا يبولونَ على قَبْرِهِ. وحكى

(1) في الديوان : للأشعار، وفي خ للأسفار.
(2) في خ : الأنس.
(3) في ر : لأنه قال فيها.
(4) في خ : «الحقائق» ناقصة.
(5) في خ : «جد السلطان» ناقصة.
(6) في خ : بن عثمان» ناقصة.
(7) في ر : «فجاء الأمير» وهو تحريف.
(8) في «ر» و«خ» : الجملة من : «واحتاج» ... إلى : «من القاصرين»ناقصة.

الشيخ الصالح الحاج «أحمد الحَلَبي»[1] أنّه كان له بَيْتٌ مشرف على ضريح الشيخ «محيي الدّين». فجاء شَخْص مِن المُنكرين بَعْد صلاةِ العِشاءِ بنارٍ يريد أن يحرق تابوت الشيخ، فَخُسِفَ بِهِ دونَ الْقَبْر بتسْعَة أذْرُع، فغاب في الأرض وأنا أنْظُرُ. فَفَقَدهُ أهْلَه في تلك اللَّيْلة، فأَخْبَرتهم بالقصَّةِ فجاءُوا وحَفَروا فَوَجَدُوا[2] رأسَهُ، فكلَّمَا حَفَرُوا نَزَلَ وغار[3] في الأرض إلى أن عَجَزُوا وردموا عليه التراب[4].

وكانَ رضي الله عنهُ، أولاً يكتب الإنشاء لبعْض ملوكِ المَغرِب، ثم تَزهَّدَ وتَعَبَّدَ وساحَ ودَخَلَ مصر والشام والحجاز والرّوم، ولهُ في كل بلدٍ دَخَلَها مؤلفاتٌ. وكان الشيخ «عزّ الدّين بن عبْد السلام»[5] يحط من قدْرِهِ كثيراً، فلمَّا صحبَ الشيخ «أبا الحسَن الشاذلي»[6] رضي الله عَنْهُ، وعَرَفَ أحْوالَ الرّجالِ، صار يترجمه بالولاية والعرفان والقطبانية[7]. مات [شهيداً][8] رضي الله عَنْهُ سنة ثمان وثلاثين وستمائة (638هـ). وله من المؤلفاتِ نيف وأربعمائة، منها: «التفسير الكبير» الَّذِي بَلَغ فيه إلى سورة الكَهْف عنْدَ قولهِ تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً﴾[9]. ثم توفي و لم يكمل. وهذا التفسير كتاب عظيم بَلَغَ ثلاثين سِفراً، كل سفر بَحْر لا ساحِلَ لَهُ. ولذلك قال[10] النَّاظِم في تَرْجمَتِهِ: «وعنْهُ

(1) في «ر» و«خ»: سيدي.
(2) في خ: «فوجدوا» ناقصة.
(3) في «ر» و«خ»: غائراً.
(4) في خ: «وردوا التراب عليه».
(5) عز الدين بن عبد السلام (577هـ - 660هـ/1181م - 1262م) أنظر ترجمته في شذرات الذهب لابن عماد الحنبلي ج 5، ص 300-301 بيروت (د. ت)، يقول عنه الشاذلي: قيل لي... ما على وجه الأرض مجلس في الفقه أبهى من مجلس عز الدين بن عبد السلام. أنظر كتاب طبقات الشاذلية، المسمي جامع الكرامات العلية. تأليف أبي علي الكوهن بيروت ط 2 سنة 2005 ص 24.
(6) في خ: «الشاذلي» ناقصة.
(7) في خ: «القطبانية» ناقصة.
(8) في «خ» و«ك»: ناقصة.
(9) الكهف: 65.
(10) في «ر» و«خ»: فقال.

طوى الطَّائي بَسْط كيانِهِ»، أيْ وعن عَقْلِهِ طوَى الحاتمي الطائي[1] بسْط وجوده، فغاب عقله عن إدراكِ حقيقته بخروج ما أدْرَكَ عن دائرة العُقول. والكيان بمَعْنَى الكَوْن، أيْ طوى عن عَقْلِهِ بساط[2] كَوْنِهِ، وكان ابتداء ذَلِكَ الطي بِدَسْكَرَة الخِلاع، أي بحَضْرَة اجتماع أهْل الخمرة. وهُمُ الَّذِين يَخلعون عذَارَهُمْ [في رِضَى محبوبِهِمْ فيخَرِّبون ظَواهِرَهُمْ][3] ويَهْتكون أعْراضَهُم، وَلا يُبالونَ بِمَنْ لامَهُمْ وَغابَ عَلَيْهِمْ.

وفي القاموس الدَّسْكَرَةُ : القرية والصَّوْمَعة وبيوت الأعاجِم، يكونُ فيها الْخَمْرُ والمَلاهِي. وهذا الأخير[4] وهو المُرادُ هُنا. لأنَّ الخَمْرَ هنا مَعْنَوِي والملاهي كِناية عنِ التَّغَزُّلِ بالمحبوبِ وتُعَبِّرُ عَنْهُ الصّوفية بالحان، أي كان ذلك الفتح بمَحْضَرِ أَهْلِ الأذواقِ الذين خَلعوا عِذارهُمْ. «إذ ذهب الْوَهْنَا» : أي حينَ أذْهَبَ عَنْهُ ضعْفُهُ وكَسَلُه. وقوله بخلع عذارِهِ. وافْتِضاحِ نَفْسِهِ. إذ هو الذي تَسَمَّى بروح الرُّوح في شعره المعلوم الذي قال فيه :

أَنا القُرْآنُ والسَّبْعُ المَثانِي وروحُ الرُّوحِ لا رُوحُ الأواني

فُؤادِي عِنْدَ مَعْلومِهِ مُقيمٌ نُناجِيهِ وَعِنْدَكُمُ لِسانِي

فَلاَ تَنْظُرْ بِطَرْفِكَ نَحْوَ جِسْمِي وَعُدْ عَنِ التَّنَعُّمِ بِالأوانِي

فَأسْرارٌ تَراءتْ مُبْهَمَاتٌ مُسَتَّرَةٌ بِأَنْواعِ المَعانِي

وَمَنْ فَهِمَ الإشارَةَ فَلْيَصُنْهَا وإلاَّ سَوْفَ يُقْتَلُ بِالسِّنَانِي[5]

كَحَلاَّجِ المحبَّةِ إذْ تَبَدَّتْ لَهُ شَمْسُ المحبَّةِ بِالتَّدانِي

فَقالَ : أنَا هُوَ الحَقُّ الَّذِي لاَ يُغَيِّر ذاتَهُ مِنَ الزَّمانِ

---

(1) في «خ» : ناقصة.

(2) في «خ» : بسط.

(3) في ك : ما بين معقوفتين ناقصة.

(4) في «ر» و«خ» : ناقصة.

(5) في خ : «بالسنان».

وتأويله : أَنَّهُ غابَ عن جودهِ عند مَحْبوبهِ فَشاهَد العَيْنَ بالْعَيْن، فَصارَ[1] عَيْنَ الْعَيْنِ فَقال : أَنَا مُنَزِّل القرْآنِ وَأَنَا روح الرّوح، والتي هي[2] السِّرّ المَكْنون الذي قام بالأرْواحِ والأشباحِ فتأمل قوله : ومن فهم الإشارة فليصنها[3]. ومن كَلامِهِ أَيْضاً [رضي اللهُ عَنْهُ] : «تطهَّرْ بماءِ الْغَيْبِ إن كُنْتَ ذَا سرّ»، إلى آخرِ الأبيات المشهورَة على ما نسَبه له «**أبو المواهِب التونسي**» حسبما ذَكَرَه «**الشعراني**»[4]. ونسبَها غيره **للجنيْدِ**، وهو المشهور. وقوله : «لَمْ يُبلْ»[5]. هكذا في نسختنا، أي لم يبال بِمَنْ أَنكَر عليه مَقالَتَهُ. «و لم يَرَ له نِدّاً»، أي شَبيهاً وَلا معادٍ[6] في زمانِهِ في مقام الْعِلْم والولاية.

[وَقَوْلُه] : «وَلا خِدْنَا»، أي ولا صاحِب يقرب من حالِه، بل رأى نفسه منفرداً بما حصل له[7]. وَلاَ يُستغرب من هذا فإنَّ علم[8] الباطن قليل[9] في كل زمانٍ. ثم ذكرَ «**ابن الفارض**» فقال : «به عُمَر بن الفارض»، أي بالعَقل تجرَّد «**عُمَر بن الفارضَ**»[10] الذي اشْتَهر بالنظم للأشعار. «فَسَهُلَ عليه الحَزْنُ»،

---

(1) في ر : «وصار».
(2) في «ر» و«خ» : الذي هو.
(3) في «ر» و«خ» : الجملة من :فتأمل... إلى... فليصنها : ناقصة.
(4) وهو لا يقصد «أبا محمد الرازي الشعراني»، الذي صحب الجنيد وأبا عثمان وابن الفضل ورويما وسمنون والذي كان ملما بعلوم القوم (التصوف). بل يقصد به الشعراني «عبد الوهاب» صاحب الطبقات الكبرى. وهو فقيه على المذهب الشافعي. ومن أقواله : ... وطريق القوم ذَوْق لا نقل، فمن يذق وأنكر فهو معذور.
(5) في «خ» : بم يُبَالْ.
(6) في «ر» و«خ» : مُعَانِداً
(7) في خ : «حَصَّلَ وأضل».
(8) في خ : «علم» ناقصة.
(9) في «ر» و«خ» : يَقِلُّ
(10) ابن الفارض : هو أبو حفص وأبو القاسم عمر بن أبي الحسن علي بن المرشد بن علي، حموي الأصل مصري المولد والوفاة ولد بالقاهرة في ذي القعدة سنة 556هـ/1181م. وتوفي سنة 632هـ/1234م. أنظر وفيات الأعيان، ابن خلكان ؛ ج 1، ص 353.
عاش ابن الفارض حياة صوفية عميقة امتزج فيها العمل بالذوق والوجدان، وذلك بما اشتملت عليه رياضات ومجاهدات وما اختلف على نفسه من أحوال ومقامات. وقد ضمن فلسفته الصوفية في ديوانه الشهير في الحب والمحبة الإلهية. والذي يعتبر ذا قيمة منقطعة النظير من الناحية الأدبية والفنية والصوفية والفلسفية. (أنظر كتاب «ابن الفارض والحب الإلهي» د. محمد مصطفى حلمي، دار المعارف مصر، دون تاريخ، فهي دراسة قيمة تم فيها تركيب لشخصية ابن الفارض وعرض علمي دقيق لفلسفته الصوفية من خلال ديوانه.

أي الصَّعْبُ منه وتحمَّل مشاقه للمحبَّة التي اشتعلت في قلبه، التي هداه إلَيْها عَقلُه مع تقدم القدرة والاقتدار. وفي القاموسِ : الْحَزْنُ : ما غَلظ من الأرض، فإذا سَهُل ما غلظ منْهَا فأَحرى[1] ما كان بسيطاً.

و«ابن الفاض» : هو الوليّ الكبير والمحبّ الشهير إمام العُشَّاق «أبو حفص عمر بن الحسَن بن علي بن المصرف[2]» الحُمَيري الأصل، المصري الدَّار والمولد والوفاة. له ديوان في الشعر رائق، وفيه[3] أسلوب غريب فائق، وله قصيدة مشتملة على ستمائة بيْت على اصطلاح القوم[4] ومناهجهم. وله قصيدتان تائيّتان فيهما كَلام غامض[5] شرح إحداهما «**أبو سَعيد الفُرغاني**»[6] شرحاً جيداً. وُلد رضي الله عنْهُ سنة ست وسبعين وخمسمائة (576هـ)، وتوفي سنة اثنين وثلاثين وستمائة (632هـ)، وعمره ست وخمسون حسب أوثق الدراسات عاش 76 سنة أي ولد 556هـ وتوفي 632هـ حسب تأريخ ابن خلكان التي أكدها صاحب كتاب ابن الفارض]. وقد ذكرت في شرحي لخمريته مناقبه ومآثره ومُلاقاته بالشيخ البقال وسياحته في نواحي مكَّة، ورُجوعه لصلاتِهِ على شيخه عند مَوْتِهِ، واستقراره بمصر[7] فراجعه إن شئت[8].

---

(1) في «ر» و«خ» : فأولى.

(2) في «خ» : المسرف وهو تحريف من طرف الناسخ.

(3) في «خ» : وفي.

(4) في «خ» : اصطلاحاتهم.

(5) في الأصل غميض.

(6) أبو سعيد الفرغاني : وهو «سعيد الدين الكاسَاني الفرغاني» المتوفى سنة 669هـ. من أشهر تلامذة صدر الدين محمد بن اسحاق القونوي المتوفى سنة 672هـ وأحد القائلين بالوحدة (وحدة الوجود). وسمي شرحه، الذي يوجد ضمنه شرح التائية، «**منتهى المدارك**» ويقع في مجلدين مطبوعين باستانبول سنة 1293هـ. وهو شرح لغوي صوفي، قدم له «الفرغاني» بمقدمة في مقامات السلوك وصدور الوجود.

(7) في «ر» و«خ» : في مصر.

(8) شرح خمرية ابن الفارض : والقصيدة هي ثاني قصائد ديوان ابن الفارض الصوفية، من حيث الأهمية الوجدانية، بالإضافة إلى «التائية الكبرى»، وتدعى «بالميمية» ومطلها شَرِبْنَا عَلَى ذِكْرِ ٱلْحَبِيبِ مُدَامَةً *** سَكِرْنَا بها من قَبْلِ أن يُخْلَقِ الكَرْمُ، ولها عدة شروح بالإضافة إلى شرح ابن عجيبة، ومنها ما هو عربي ومنها ما هو فارسي، وجلها يحاول الكشف عما تنطوي عليه ألفاظها من معاني وجدانية راقية استخلصوه من موضوعها الأساسي في وصف الخمرة الأزلية التي ترمز إلى المحبة الإلهية في أسمى معانيها وإلى العرفان الصوفي في أبهى تجليه. =

و«الحرَالي» قالَ الشيخ زروق رضي الله عنه[1] : هو أبو الحسن علي بن محمد التجيبي الحرالي بجائي الدَّار ترجمه صاحب عنوان الدراية[2] : بالعالم المطلقِ. وقال فيه : مَا من فَنٍّ إلا وألَّف فيه[3].

ثم قوله : «وباح بها» : يحتمل أنه[4] يريد الحِكمة، المعنوية أو فوائدها المقصودة أو الموجودة المشهورة. أي وَباحَ بالحِكْمَة أو بفَوائِدِ العَقْل «ابن الحرالي»، و لم يقدرْ عن كتمها إذ رأى كتمَهُ له ضعفاً في الإيمانِ إن كتمهَا عن[5] أهْلهَا، لقوله عليه السلام : «لا تُؤْتُوا الحِكمَةَ غَيْرَ أهْلِها فَتَظْلِمُوها، وَلا تَمْنَعوها منْ أَهْلِها فتَظْلموهُمْ»[6]. وَرَأَى أيضاً تلويحَه بِها وإشارته لَها[7] غيْناً، أي غطاءً وستراً، فما أمْكَنهُ إلاَّ التصريحُ بها نفعاً للعبادِ.

ومن تلك الشروح :

1- شرح داود بن محمود القبيصري (ت 751هـ) وهو شرح صوفي فلسفي. مخطوط بدار الكتب المصرية «نظم الدر» رقم 234 أدب.

2- شرح المولى أحمد بن سليمان بن كمال باشا (ت 940هـ) مخطوط دار الكتب المصرية رقم 93 مجاميع.

3- شرح المولى عبد الرحمن بن أحمد الجامي (ت 898هـ) بالفرنسية (أنشر كشف الظنون ج 4 ص 536).

4- شرح القاضي صنع الله بن ابراهيم (ت 1050هـ) (أنظر كذلك كشف الظنون ج 4 ص 537).

(1) في «ر» و«خ» : ناقصة.

(2) في الأصل : «ك» : «صاحب ترجمة عنوان الدراية» وهو تحريف من طرف الناسخ.

(3) «عنوان الدراية»، لأبي العباس الغبريني (644هـ ـ 714هـ) الترجمة رقم 31 ص 143-155، دار الآفاق، بيروت ط 2، 1979. وهو أبو الحسن علي بن أحمد بن الحسين بن ابراهيم الحرالي التجبي. والحرالي نسبة إلى حرالة وهي قرية من أعمال مُرسية بالأندلس، غير أنه ولد بمراكش، وقد توفي سنة 638هـ/1241م.

(4) في «ر» و«خ» و«ك» : أن.

(5) في «ر» و«خ» : عن

(6) الحديث.

(7) في خ : بها.

و«الأموي» : قال الشيخ «زروق» رضي الله عَنْه : كُنت أعرفه ثم غاب عن ذِهْني. وللأموي النَّظم والنثر في شأن العَقْل الذي ذكَرْنَا. و«إعرابٌ»، أي بَيانٌ[1] كَما نَحْنُ أعْرَبْنَا أي بَيَّنَا. والله تعالي أعْلَمُ.

ثـم ذكر شأن شيْخه وشأن نفسه وبهما وقع الختام. فقال :

وَأظْهَرَ ابْنُ سَبْعِيننا[2] مِنْـهُ ما خَفَى
وَكَشَّـفَ عَنْ أَطْوارِهِ الْغَيْمَ وَالدَّجْنَا
وَبَـيَّـنَ أَسْـرارَ الْـعُـبـودِيَـة الَّـتِـي
عَنْ إعْرابِهَا لَمْ يَرْفَعُوا اللُّبْسَ واللَّحْنَا

ابن سبعين هو الإمام العارف الرَّبَّاني المحقق القطب الصمداني عبد الحق ابن إبراهيم بن محمد بن سبْعينَ. قال الغبريني : فقيه جليل، عارف نبيل فصيح، له حكمة ومعرفة وبراعة وبَلاغة، مشارك في المعقول والمنقول. أحَد مشاهير الفضلاء وله أتباع كثيرة وموضوعات كثيرة في يد أصحابه فيها ألغاز وإشارات وله موشحات وأشْعارٌ في طريق القوم.

توفي رضيّ الله عَنْه سنة تسْع وستينَ وستمائة (667هـ) ؛ وهو ممَّن اختلف فيه أهْل الظَّاهِرِ ردّاً وقبولاً. وأمَّا أهْل الباطن فأَجمعُوا على تحقيق وِلايته ومعرفته[3].

وفي[4] طبقات الشعراني : كان ابن سبْعين من المشايخ الأكابر، مات بمكَّة عن خمس وخمسين سنة (55 سنة). وقال في المُقدّمة : أخرجوهُ من بلادِ المغرب وكتبوا فيه كتاباً، وقالوا فيه : إنه يقول : أَنَا هو، وهو أَنَا. ولَمَّا قَدمَ مَكة وجد السلطان الذي فيها مريضاً قد ظَهَرَ مُخُّهُ، فَصَنَعَ له غِطاءً[5] من

(1) في خ : وإعراباً أي بياناً.
(2) في الديوان، وفي الإحاطة : «الغافقي». وفي «ر» و«خ» : ابن سبعين.
(3) الغبريني : عنوان الدراية. نفس المعطيات السابقة.
(4) في «ر» و«خ» : ففي.
(5) في «ر» و«خ» : رأساً.

القَرْعِ وغَمَّ بِهِ مُخَّهُ فشفاه الله فَقَرَّبَهُ وَأَكْرَمَهُ وعظَّمَهُ، فما زال مُعظَّماً حتى مات بها رضيَ الله عنْه. ولذلك قال النَّاظِم فيه[1] : «وَأَظْهَرَ ابن سبعيننا مِنْهُ»، أي من أُمور العَقْلِ ما خفي[2] عن النَّاسِ وَأَضافه إلى نفسه لأنه شيخهُ.

قال الشيخ «زروق» : وكَوْنه أظهر من حقائق العَقْل وموارده ما خفي ظاهرهُ من كتبهِ، لاَسِيَمَا عنْدَ «الْبَدْوِ»[3] وما جَرَى مجرى التحقيق[4]. [وإن كانت عبارته تحتاج إلى مُسامحة في مَحَلِّها. فهي وإنْ كانت عيْن التحقيق. فَلِلَّحْنِ نسبة في التعبير][5].

وقوله : «وبيَّن أسْرار العبودية». يَعْني في كتابه «البَدْوِ». الَّذِي تكلَّمَ فيه بلِسانِ المتكلم والفَيْلَسوفي والفقيه والحكيم والمحقق، وأعطى كل مسْألة حقَّها من كَلامِهِمْ[6]. و«كشَّفَ» بِشَدّ الشين للمبالغة، أي كَشَّفَ عن أطوار العقْلِ ومَراتِبِه الغيم، وهو[7] السحاب الرقيق الَّذي يغطّي الشَّمْس. و«الدَّجْنَا» : أي الظَّلام. وبيَّنَ أيْضاً أسرار العبودية إذ هي شَرَفُ الإنسان، التي عن اعرابَها، أي عن بَيانها، لم يرفعوا، أي النّاس والحكماء، «اللَّبس»، أي الاختلاط والاشتباه. وفي القاموس «اللَّبْسُ» بالفتح ويُضم. الشُّبهة و«اللَّحْنِ» بسُكون الحاءِ أي الخطأ[8]. ثم ذَكَرَ شأْن نَفْسِهِ فقال :

(1) «ر» و«خ» : في ترجمته.
(2) في خ : فأخفي
(3) ويعني : كتابه «بُدُّ العارف» وهو كتاب مطبوع من تحقيق جورج كتورة ط 1 بيروت 1978م.
(4) في «ر» و«خ» : مجراه.
(5) في المخطوط ك فراغ عوضناه بين المعقوفتين اعتماد على «ر» و«خ».
(6) يقول ابن سبعين بعدما انتقد رجال المذاهب الفكرية الأربعة، مذهب العلم عند الفقيه وعند المتكلم وعند الفيلسوف، ثم عند الصوفي، ليبين أن منهج الصوفي المحقق في علم لا يُضاهَى، لأن علم التحقيق هو خلاصة العلوم الأخرى ويسموا عليها درجات : «فالصوفي (مثلا)... ظفر بنتيجة العلم الإلهي، والفقيه بمقدماته. والمقرب لا يذكر مع واحد من هؤلاء بوجه، ولا يقع بينه وبينهم مقارنة، لأن المقارنة لا تقع إلا في الأنواع المتفقة بالحد المختلفة بالفكر، والحق خارج عما ذكر» (انظر كتابنافي الموضوع ط 1 دار الثقافة 2006).
(7) في «ر» و«خ» : أي.
(8) في «خ» : ناقصة.

كَشَفْنا غِطاءً عنْ[1] تَداخُلِ سِرِّها
فَأَصْبَحَ ظَهْراً ما رَأَيْتُمْ لَهُ بَطْنَا
هَدانَا لِقَوْلِ الْحَقِّ مَا قَدْ تَوَلَّهَتْ
لِعِزَّتِهِ أَلْبَابُنا وَلَهُ هُدْنَا
فَمَنْ كانَ يَبغي السَّيْرَ لِلْجانِبِ الَّذِي
تَقَدَّسَ فَلْيَأْتِ لِيَأخُذَهُ عَنَّا

يقول رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : قد كشفنا عن العبودية عطاءً كان حاصلاً من تداخل سِرِّها مع الحقيقة، فبيَّنَّا محلَّ العبودية من محلِّ الحقيقة ؛ فَمَحَلُّ العبودية الظَّواهِرُ،ومحل الحقيقة شُهود الرُّبوبية في البواطِنِ. وذلِكَ أنَّ الحق تعالى ظهر[2] بيْن الضِدَّيْن، فتجلَّى بمظهَرِ الرّبوبية في قوالِب الْعُبودِية ليتحقق اسمه الظَّاهر واسْمُهُ الباطِن.

قال في الحِكَمِ : «سُبْحانَ مَنْ سَتَرَ سِرّ الخصوصية بظهور وصْف البشرية. وظَهَرَ بعظمة[3] الرّبوبية في إظهار العُبودية»[4]، فَمَنْ نظر لمطلق التجلّي، رأى رُبوبية ظاهرة أزلية، وَمَن نَظَرَ للقوالب رأى قوالب العبودية. فالعبْد مأمور بالقيام بِحقّ القوالبِ وهي آداب العبودية، وبحقّ الظواهر وهو[5] شهود عظمة الرّبوبية. فَظَهَر التميز بيْن العبودية والرُّبوبيَة، فأصبح ظاهِراً ما كان باطناً خفياً. وهذا معنى قوله : «فأصبَح ظَهْراً ما رأيتم له بَطْناً». فظهراً : خبرُ أصْبح. وَما : إسمُها. وبطناً : مفعولٌ ثانٍ لِرَأَيْتُم، أي فأَصبح ما كنتم رأيتمُوهُ من العبودية بطناً ظَهْراً. هَذَا وَلَمْ نَرَ للنَّاظِمِ كَلاماً

(1) في الأصل : من، وفي الديوان والإحاطة : عن.
(2) في «خ» : تجلى.
(3) في «لا» : بمظهر.
(4) الحكم : وقال كذلك : «أخرج من أوصاف بشريتك عن كل وصف مناقض لعبوديتك، لتكون لنداء الحق مجيبا ومن حضرته قريبا». شرح الحِكم، ج 1، ص 32.
(5) في «خ» : وهي.

مُسْتَوْفِيّاً في العبودية بل جلّ كلامه في نضمه وأزجاله[1] في أسْرار الحقيقة. فَلَنَتكلَّمْ على شيءٍ مِنْها فنقول وبالله التوفيق : العبودية هي شَرَف الإنسان وعزّه وسبب ترقيه إلى ذروة[2] الكَمَالِ، وهي مِفتاحُ الفتوحات كُلّها.

فبِقَدْرِ ما يتحقق الظَّاهِر بالعبودية يُشْرق على الباطِنِ أنوار الربوبية، ومرجعها إلى تحقيق الذي في الظاهر بحيث يظهر ذلك بين الإقتران، كالمشي بالحفا[3] وتعرية الرأس، والجلوس على التراب، وغير ذلك مما يثقل على النَّفس. ويجمع ذلك كله السُّؤال في الأسواق، فهو يجهز[4] على النفس مرَّة واحدة إن كان بإذْنٍ ولغَيْر طمع ويلحق بذلك التخلق بالأخلاقِ الحسَنَة: كالتواضع، ،والسَّخاء، والكَرَمِ، وسَعَة الصدر، وترْك الغضب للنَّفْس، وغَيْر ذلك. وإن أردت أنْ تعرف العُبودية فانظر إن اشتريْتَ عَبْداً من مالِكَ، كيف تحب أن يكون مَعَكَ، فكن أنت مع سيّدكَ كما تحب أن يكون عبدك مَعَكَ.

فالعَبْد لا يكون بيْن يدَيْ سَيّده، إلا فقيراً ذليلاً، ولا يلبس إلاَّ لباس الذّلِّ وهي ثباب الخِدْمة والمِهنَة. فالعبد المتأدِّب لا يتحلَّى بحِلية سَيِّدِهِ حتَّى يحرّره سَيّدَهُ. والعَبْدُ لا يُدبِّر أَمْرَ نَفْسِهِ[5] وهو في مِلْكِ[6] سَيِّدِهِ، إذْ لا ينبغي ذَلِكَ.

وأيضا إذا أرادَ العَبْد[7] أن يَحْظَى عنْدَ سَيِّدِهِ، يكون عند أمْرِهِ وَنَهْيِه، سَميعاً مطيعاً، بل ينبغي أن يفهم عن[8] سيّده لِفْعَل ما يشتهي سيّده قبل أن يأمره بِهِ.

(1) في «ر» و«خ» : انظامه.
(2) في «خ» : كمال الكمال.
(3) في ح : من : «الربوبية» إلى : «الحفا» ناقصة.
(4) في ر : الجملة من : «ويجمع» إلى «يجهز» ناقص.
(5) في «ك» : لنفسه.
(6) في «خ» : مملكة
(7) في خ : العبد أيضاً.
(8) في خ : بالفهم عن.

وأيضاً: العبد المحبّ لسيّده لا يخدمه عن[1] غرض، إذ لا يسْتحق على سيده شيئاً، بل يخدمه عُبودية ومحبّة. وفي الحديث: «**لا يَكُنْ أَحَدُكم كالأجِير السُّوءِ، إن أعْطِي عمل وإن لم يُعْطَ لَمْ يَعْمل**»[2]. أو كما قال عليه السَّلامُ.

ثم قال النَّاظمُ: «هَدانا» أي الله تَعالَى أو العقل بإذْنِ اللَّهِ لقولِ الحقّ، فقلناه فيما نظَمْناهُ[3] وَهُوَ شَرْحُ: «ما [قد] تَوَلَّهَتْ»، أيْ تَحَيَّرَتْ لعِزّتِهِ، أي لأجْل منعته وغَلَبته. «ألبابَنَا» أي عقولَنا. «وله هُدْنا»، أي رَجَعْنا بَعْدَ نُفورِنَا عَنْهُ لصُعوبَتِهِ، أي وَلَهُ تُبْنا ورَجَعْنا إن لَمْ نُصادِف الصَّواب.

ثم قالَ: فَمَن كان يَبْغي السَّيْرَ والنُّهوض إلى الجانب الأقْدَس وهو حضرة القُدْس ومحلّ الأنْسِ فليأْتِ إلَيْنا ليأخذه عنَّا، فإنَّ طريق السَّيْر لا تؤخَذ إلا عن أرْبابها، وهم الذين سَارُوا مَعَهَا حيث ما سارت وعَرَفُوا وَعْرَهَا وَسَهْلَهَا. وَالُمرادُ تَرْبِيَةِ النفوس وتهذيبَها، إذ لا[4] تؤخذ إلاَّ مِمَّنْ أَخَذَها عَنْ غَيْرِهِ وَسَلَكَها بِنَفْسِهِ على يد شيخ ناضج أو أخ صالح[5]، وخاض مَقامَ الجذبِ والسُّلوكِ، وحازَ مقام الفَناء والبقاء. ومَنْ لَمْ يَسْلك ذَلِكَ فلا يقتدى به في سُلوكِها. بالله التوفيق وهو الهادي إلى سواء الطريق[6]. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما، وآخر دعوانا أن والحمد لله رب العالمين.

هذا آخر ما قصدناه من شرح النونية الششترية، على تصحيف في مَتْنِها. فَمَنْ وَقَفَ على خَلَلٍ فليصلحْه مِنْها ومن شَرْحِها، إذ قَلَّ ما يَخلصُ مُصَنَّف مِنَ الْهَفَواتِ، أو ينجو مؤَلّفٌ من العَثَرات. كما قال «**الشيخ خليل**»[7] رحمه الله.

---

(1) في ر: على.
(2) الحديث: البداية والنهاية لابن كثير ج 9 ص 291.
(3) في خ: نظمنا.
(4) في «ر» و«خ»: فلا.
(5) في «ر» و«خ»: الجملة من: «على يد» إلى: «صالح»: ناقصة.
(6) في خ: من «وصلى الله...» إلى: «رب العالمين» ناقصة.
(7) في ر: ناقصة.

وكان الفراغُ من تَبْييضِه ضَحْوة يوم الخميس، فاتح رجب الفرد[1] سنة عشرين ومائتني وألْف هجرية (1220هـ) على يد جامعه : العبد الفقير إلى ربه، الغني به عما سواه[2] أحمد بن محمد بن عجيبةالحسني[3] لطف الله به في الدارين، وبلغه من رعاية معرفة ربه قرة العين آمين[4]. نسأل الله تعالى بمنه وكرمه، أن يكسوَ هذا الشرح جلباب القبول، وأن يبلغ كل من كتبه أو طالعه كل قصد مأمول بجاه سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم وعلى إخوانه المرسلين آمين[5] والحمد لله رب العالمين.

انتهى بحمد الله وتوفيقه[6].

(1) في «ر» و«خ». ناقصة.
(2) في خ : «إلى ربه، الغني به عما سواهُ» ناقصة.
(3) في خ : من : «لطف الله به...» إلى : «انتهى لحمد لله وتوفيقه» ناقصة. وفي ك : الحسني ناقصة.
(4) في «ر» و«خ» : ناقصة.
(5) في «ر» و«خ» : «صلى الله عليه وسلم وعلى اخوانه المرسلين آمين». ناقصة.
(6) في ك : «انتهى بحمد الله وتوفيقه». ناقصة.

ثانيا : صور المخطوطات المعتمدة

الصفحات الأولى من "ك"

[illegible] تصوف والفرق [illegible] للعلم [illegible]

[illegible] واهتموا [illegible] فلما [illegible] عرضوا عليه الفقهاء بأمر [illegible] عليه وأهانه [illegible] قوله [illegible] فقال

عن التشبيه والصور [illegible] فلا [illegible] لا نعرف [illegible] ولنبين [illegible]

حتى [illegible] بعض من أجله [illegible] عن [illegible]

سائل [illegible] وشرفه [illegible] رضي الله عنه [illegible]

ولنا الشرح في التصوف اعتقادا [illegible] الفقهاء [illegible] الشريعة

بل إنه يجب التثبت والتلوين [illegible] فصل الغزالي كان [illegible] التصوف [illegible]

حسنة بالمطلعات [illegible] على

الرجوع عنه [illegible] والتكلم [illegible] بالقول [illegible]

والسعادة ومعناه [illegible] الشريعة [illegible] وإن كانت [illegible]

الكلام يقتضي [illegible] الواجب [illegible] والتسليم [illegible]

من قال الشيخ أبو عبد الله [illegible] الفقيه [illegible] رحمه الله [illegible] اعتقاد [illegible]

عرفت ما اتبع [illegible] الشيخ أبو عبد الله [illegible] الفضل ابن [illegible] فقال [illegible]

يكون [illegible] فقال اختلفوا [illegible] فقال

التسليم [illegible] فقال الكلام كلام صوفي وتلك أمة قد

خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون وقال [illegible]

عن الكلام [illegible] من الكلام يقتضي [illegible] عند [illegible]

عالما بالشعر [illegible] وقال الشيخ أبو بكر ابن [illegible]

كان شبهة [illegible] عياض [illegible] كلام الشيخ

رضي الله عنه [illegible] وسبب انتفاء [illegible]

[illegible] من التوحيد [illegible] ما أرادوا [illegible]

بالغلو [illegible] العبارة

[illegible] بالجنة والنار [illegible]

فقبلت [illegible]

أولياء الله تعالى رضي الله عنهم أجمعين [illegible] الشيخ [illegible] كتاب

العلم [illegible] وكتاب المقاصد [illegible] وكتاب الرسالة [illegible]

بالرياء ثم الفنا بغير التصوف ولذلك كان معاملتهم لله في الحق [illegible] فقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه

بالهيبة [illegible] ثمانية عشر [illegible] الأعلى [illegible] حتى وصلوا [illegible]

[illegible] ثمانية عشر [illegible] بستة أيام [illegible]

[illegible] الثلاثة [illegible] عنده [illegible] قال

[illegible]

[illegible] الطلب وما يطلبه وما يطلب به ووجه المعاملة [illegible]

[illegible] أما أنا فقد قلت ما استمع لبعض [illegible] الجزء الثالث [illegible]

[illegible] الجزء الثالث [illegible]

[illegible] جماعة من الرجال [illegible] قال رضي الله عنه

أن كل ما [illegible] الزيادة للغني [illegible] فقال رضي الله عنه أن كل [illegible] معاني الصوفية

[illegible] الغنى وزيادة [illegible]

من الجنة التي [illegible] الزيادة المذكورة [illegible] النظر لوجهه الكريم [illegible] والمعرفة وزيادة [illegible]

[illegible]

عن الدنيا وطلب الجنة بغير [illegible] كون الكون [illegible] الرضى [illegible]

[illegible] الكون [illegible] فقال الشيخ أبو [illegible] رضي الله عنه [illegible]

والقصور [illegible] الشكر [illegible] بقوله [illegible]

فكانت [illegible] الصوفية [illegible]

وكشف [illegible] الزيادة المذكورة [illegible] الكاتب [illegible]

[illegible] الكاتب [illegible]

[illegible]

[illegible] الجنة التي [illegible]

[illegible] الأرض [illegible]

[illegible]

[illegible] الله تعالى [illegible]

[illegible] الباطل كما قال الشاعر ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل [illegible]

[illegible]

[illegible] رضي الله عنه [illegible] الكتاب [illegible]

• وحصل لنا مطلوبنا من وجودنا، فنغيب به عنا لأن الذي هو إيانا، قال الشيخ رضي الله عنه

وحصل لنا أي الطالب منا الطلب أي الإرادة التي هي العبودية، وهو عين مطلوبنا، إذ ليس العبد خارجا عنه، ولا أنا غيره

هو الفناء، فالطالب هو المطلوب، والمطلوب هو الطالب في الحقيقة، إذ لا اثنينية ولا غيرية في نفس الأمر

المقصود في التوحيد الكامل، وهذا الكنز لا يعرفه إلا بعض أهل الله، لقوله: إن الله غني عن العالمين، بين الحجاب

والغيبة، فالمراد بالحجاب ما هو من عين التجلي، فإذا انتفى الحجاب بالحق هو ولاية من حصل له جمع الفرق، وانتفى

ما أثبتناه، وقال: إن الإطلاق بالتجلي خارجا عن حقيقته ثم يغيب، ثم قال: وقوله الذي هو

أنا من وجوده الغير، أي ما هو من وجودنا هو التجلي به، فليس هناك إلا الله، أي وجوده الغيرية

والاثنينية، حتى يغيب الفناء بالغير، فيكون الحق عين ما عليه كان، فما يحجب عن

الوجود في الحقيقة إلا نفسه، ثبت العارف في مقام الوصف، وقول الشيخ رضي الله عنه إشارة إلى الزوج

أو روح الزوج التي من الغير العظيم بالأشياء، هي ما يتعلق بالزوج والزوج ما يتعلق بالحق، وليس تعالى بتعليل الغير

تعلق به، ويظهر بحق تعليله، بل لأنه من حيث ما هو يعرف به جميع ما لم يعرف، في الكلام وأنه الظاهر في الحقيقة

أي وجود الغير أصلا، وإنما هي صور... على الوجود حكمة وتعليمه على الجمع فرقا، فإذا استولى على الغير

العبد والفناء غاية مقام الفناء، فإن عبر الطالب بمعنى المطلوب، والمطلوب بمعنى الطالب، والذاكر بمعنى المذكور

والمذكور بمعنى الذاكر، وقوله: إن الشيخ مثله، وحصل لنا مطلوبنا من وجودنا أي هو من عين وجودنا لا غيره

نغيب به أي بشهوده مطلوبنا عنا أي عن وجودنا لأن الحق أي عين الحق، وهو زوال الغير وعدمه

والحمد لله عند أهل التحقيق، أنوار الحقيقة عليه، فيعلم من ليس له، ويعلم من له، وقوله: فنغيب عنا أي حين عرف هذا

الحق لوجود هذا الغير، فلا يبقى وجود ولا وجوده، فكل شيء هالك، أنوار ظهور الحقيقة عليه، وإنما

ليس العارف من أراد الإشارة، وحيث الحق أقرب إليه من نفسه، بل الغيب من الأغيار له، يعني به من وجوده، والظاهر به

شهوده، وقال الشيخ يحجب الحق به من شاء، فيغيب به من هو به عالم، ومن هو عنه حاجب، وقال أبو الحسن الشاذلي

ابن العطاء ان يشهد غير الله ما ثم شهود الغيرية لحالة البشرية، وقال سيدي عبد الكريم

الجيلي رضي الله عنه في عينيته: هو الحق ما أنت فيه ومن فيه وحيث أنت، وهو الجامع

ولا تطمع أن تجمع الأشياء بعقلك، وجمع بلا تقيد، وما ثم إلا بمعيته الحق الأعلى البقاء، والبقاء والتحقيق

مع نفسك بما مع أهل الإنكار، واستغناه عن أوليائه، وتعالى على الزوال فيشهد بالغيبة عن الغير، وأن العبادة بالحق

من هذا المطلوب إنما ثابت لا يعرفه إلا أهل الحضور والحضرة كما أراه الحق تعالى له

ثم لا حظوظ لما من حصة نحو فيها مع النفس، أفضى إلى الطلب، وأنا فلما: الحضور ما قيل

النفس التي هي منزلة، والحضور لما تحقق أن الشيء وقع بالبعض والحضور الكامل يحصل بقول رضي الله

عنه: ثم لا حظوظ لطف أنفسنا التي تنبو بها عن الحضور، فمن حضر الحق بحضوره فالغير أبدا زال عنا

صح

رضي الله عنه أنه لما رجع بعض كتبه صحبة السلطان مولاي السلطان سليم بن عثمان الأول وحين دخل القسطنطينية [illegible]
[illegible] وسنة [illegible] ومن السلطان [illegible] بالشام [illegible]
[illegible] من الغافل [illegible] كانوا يقولون [illegible] وحكى الشيخ [illegible]
[illegible] الشيخ [illegible] العشاء [illegible]
الشيخ [illegible] بصوت [illegible] بعد [illegible] الليلة [illegible]
[illegible] الله [illegible] عليه [illegible] رضي الله عنه [illegible]
[illegible] ببعض [illegible] والعراق [illegible]
[illegible] الشيخ أبا الحسن [illegible] رضي الله عنه وعرف
[illegible] الرجال [illegible] سنة [illegible]
[illegible] سورة الكهف [illegible]
[illegible] التعبير [illegible] فلا [illegible]
[illegible] العقل [illegible]
[illegible] العقول [illegible]
[illegible] أهل [illegible]
[illegible] الله [illegible]
[illegible] العقوبة [illegible]
[illegible] بعض أهل [illegible]
[illegible] العلوم [illegible]

[illegible] والشيخ [illegible] ومعلوم [illegible]
[illegible] بالمكاشفة [illegible] بالسنة
[illegible] الحقيقة [illegible]
[illegible] الله [illegible] العين [illegible]
[illegible] الأرواح [illegible]
[illegible] كلامه
[illegible] الشهرة [illegible] أبو المواهب [illegible] الشعر
[illegible] للجنيد [illegible] عليه [illegible]
[illegible] العلم والولاية [illegible]

يعني [illegible]

بلوامر

١٧١

الصفحات الأخيرة من "ك"

كلامهم قدس سرهم [illegible] وما جرى [illegible] التحقيق — وقوله ويبقى

اسرار العبودية يعني به كتابه [illegible] يتكلم فيه بلسان المتكلم والفيلسوف والفقيه والحكيم والمحقق والعاشق

[illegible] ما [illegible] وكشف [illegible] التعبير [illegible] كشف عن اسرار العقل [illegible] العلم [illegible]

[illegible] النفس والروح [illegible] ايضا [illegible]

[illegible] الناس [illegible] النفس [illegible]

[illegible] كشفا [illegible] ما صح [illegible]

ما [illegible] لبعضنا [illegible] ما [illegible] لغيره [illegible]

[illegible] العبودية [illegible]

[illegible] العبودية [illegible] العبودية [illegible]

[illegible] الربوبية [illegible] العبودية [illegible]

[illegible] الربوبية [illegible] العبودية [illegible]

[illegible] العبودية [illegible] العبودية [illegible] الكلام

[illegible] الربوبية [illegible] العبودية والربوبية [illegible] ومن معنى

قوله [illegible] ما [illegible] لبعضنا [illegible] ما صح [illegible] ما [illegible] العبودية

[illegible] الناس [illegible] العبودية [illegible] الحقيقة [illegible] على

[illegible] العبودية [illegible] الكمال [illegible] الفتوحات

[illegible] الكلام [illegible] العبودية [illegible] الربوبية [illegible] الكلام [illegible]

ذلك [illegible] على النفس [illegible] ذلك كله

[illegible] على النفس [illegible]

[illegible] الغضب للنفس وغير ذلك [illegible] العبودية [illegible]

[illegible] كيف يجب ان يكون [illegible] مع [illegible] ان يكون [illegible] العبد لا يكون [illegible]

[illegible] العبد [illegible] عليه شيئا [illegible]

[illegible] والعبد [illegible] ذلك [illegible] العبد [illegible] شيئا [illegible]

[illegible] شيئا [illegible] شيئا [illegible] العبد

[illegible] شيئا [illegible] عبودية [illegible] كالجسم

[illegible] قال الناظم [illegible] العقل [illegible]

[illegible] العقل [illegible]

اي جعلنا بغير نعمتنا غيره ليعبد الله بالله تشتكي جعلنا ان نصلي الصلوات ثم قال ابن ... يقف ... ال
الى الطاعة ... ومن ... الغيب ... الناس ... انما ... عما ... احمد ... النبي ... الحق ... العمل ...
الذي ... حيث ... وعلمها ... تزيد ... ومنها ... انه ...
تغير ... بنفسه على يد شيخ ناصح ... معنى القرب والسلوك ... معنى الفناء والبقاء ... بيانها
ذلك كذلك فما يقترن به سلوكها والله الموفق وهو الهادي الى سبيل الرشاد وصلى الله على سيدنا محمد وآله
وصحبه وسلم تسليما والحمد لله ... والحمد لله رب العالمين ... تم ما قصدناه من شرح التنوير ...
على التحرير فيما ... على ... منها ... شرحها ان ... مصنف من ... او ...
مؤلف من ... كان الفراغ ... من تبييضه ضحوة يوم الخميس فاتح رجب الفرد ...
... على يد كاتبه العبد الفقير الى ربه الغني ... سيدي ... لطف الله به ...
... الله تعالى ... وكرمه ان ... هذا ... الكمال
... وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى اخوانه ...
وآمين والحمد لله رب العالمين

اللهم صل على سيدنا محمد وآله

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

الصفحات الأولى من "ر"

من تلميذ هذا التكلم معه فيلتمس الله لغة بلغنا الله رضاهما وتلقه بقلب نقي . وكان بعض مشائخنا

من الفقهاء يقول الشيخ زروق محتسب الصوفية انما يكون محتسب صوفية الظاهر

اهل العبادة الظاهرية والنسك الظاهر واما اهل التربية والسير فلا احتساب عليهم اذ لم يطلع

على الغايات لديهم سمعت شيخ مشائخ التربية في زمانه مولانا العربي الدرقاوي الحسني

رضي الله عنه يقول الشيخ زروق عند اهل الظاهر كبير وعند اهل الباطن صغير

لا يعرف الشوق الا من يكابده ولا الصبابة الا من يعانيها

ومراتب الاولياء كطبقات الجنان لا يعلم اهل الجنة الا من في طبقتها العليا يعرف السفلى دون

العكس والله تعالى اعلم قال في ازهار شرحه لهذه القصيدة في التعريف بالشيخ واما الشيخ

فهو الاستاذ الفقيه المقرئ المحدث الصوفي العالم العامل الكامل المحقق المدني ابو

الحسن علي بن عبد الله النميري ثم الششتري مشتهرا انما مضمومة وبعدها تاء فوقية لذلك

نسبة الى ششتر قرية بالاندلس من عمل وادي آش وبالعراق ايضا قرية تسمى بذلك قال ابن

الخطيب كان من ابناء الملوك والامراء وصار من سادات الفقراء وكان يقرأ عليه القرآن بالروايات

عالما باصول السنة وانواع الرواية الصحراء كان من التجار الصعاليك ثم صار من شيوخ الابرار

قرأ الرسالة في الفقه ثم تصوف والتزم طريقة فعاشوا وكان ذا عربية وهذه مع مشاركته في

علوم نزل مصر البلد فاخذ عنه اهلها علوما ثم عرضوا عليه قضاءها فلم يوافق عليه والامام

حوله فاستعفوه فقال في ذلك

رضي المتيم في الهوى بجنونه	خلوه يفني عمره في فنونه
لا تعذلوه فليس ينفع عذلكم	ليس السلو عن الهوى من دينه
قسما بمن ذكر العقيق لاجله	قسم المحب بحبه ويمينه
ما لي سوى الم نيرانه نائب	عن قربه اتى او تلوينه
ما لي اذا هبت الغمام بانه	ابدا احن الى الحمى وحنينه

وإن السالك بغيره قام دائبه ... فالصب يحيره فيقعد بقيوديه

وإنما أنشدت القصيدة لأنبه أن اعتراض عن الفضلاء ولأنه ينقل إلى التركيز هذا فيه ولا ريبة في
الشريعة إلا أنه يوجب التشتيت والتلوين وهذا أظاهير لأمة فقال الهراء كان يحيره السقطة
والحمل ولكن طريقة حسنة في العقائد والآداب مذهبة ولم تزل تعمر فتحت بها ثم قال وكان
ترجع بعد هذا شيخنا الإمام الولي الكامل المحقق سيدي عبد الغني بن شعيب هذا القول بالحلول والاتحاد
والميل إلى الزيغ والإلحاد وقد أعاذه الله أن يكون من أهل ذلك وهو من أهل العلم والتعبد بأحكام الشريعة
وإن كانت له ظواهر تقتضي ذلك فالواجب أن يؤول عليها الفهم وتتأول بالوجه الصحيح عليهم
والتسليم أجمل وأسلم قال الشيخ أبو عبد الله المغربي الفقيه القاضي رحمه الله تعالى وعبر
له الاعتقاد ولأنه والانتقاد جنايته فإن عرفت فاتبع وإن جهلت فسلم أبو عبد الله
الغوري رحمه الله أن ابن العربي الحاتمي أعرف بكل فن من أهل كل فن فيما الساك الذي هذا قال
اختلفوا فيه والمعتبر الطائفة فيهم قيل فقال ترجح قال التسليم أحق بمثله
١ التستري رحمه الله عن ابن العربي الحاتمي قال الكلام كلام صوفي وتلك أمة قد خلت لها
ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون الغزالي في أجوبة بعد نقل
كلام الناس فيه أولى أن يحكم على الكلام ويقال هذا الكلام يقتضي كذا أو يدل على كذا
ولا يتعرض لتكفير صاحبه لاحتمال حضوره عنه لا يسعنا وقد كان في الطائفة السر والإشارة وفي كلامه
ما يدل على الانتقاد والتغيير أهذا معنى كلامه وقد قال الشيخ أبو بكر بن فورك الغلط في الخيال
لعقائد بسبب مبني الإسلام ولا الغلط في إخراج مسلم واحد بشبهة لم تغلبه فيه
في كلام زروق رضي الله عنه قال: وسبب انتقاد أهل الظاهر على أهل الباطن إلى أهل الباطن لما استتر
مواطنه حال رواجه والتحقيق الخاص إن تعظيم التعبير عن تلك الأسرار فضاقت عباراتهم
عن ذلك فيفهمه ما أثبته من الزندقة من ابن الحلول والاتحاد من بعضهم عند ذلك كلام ابن العربي والششتري
وابن الفارض وأضرابهم ومن ذكر الأسرار لا تدرك بالعبارة وإنما تدرك بالحجة وعناية

الصفحات الأخيرة من "ر"

تعبد فيما تحت الحضرة التي هي حضرة الشهود وقوله ومن أسرار العبودية تحققه في قلبه
[illegible] والذي ظهر به أيضا المتخلق العارف والفقيه الحكيم المحقق وأيضا [illegible] معاملة
[illegible] [illegible] الخير [illegible] أسرار العقل [illegible] الغيم [illegible]
[illegible] [illegible] العمل العام ومن أسرار العبودية [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
قال [illegible]

قوله رضي الله عنه [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الحقيقة
[illegible] حقيقة [illegible] العبودية [illegible] الحقيقة [illegible]
الربوبية [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الربوبية [illegible]
عبودية [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
عبودية [illegible] [illegible] العبودية [illegible]
[illegible] الربوبية [illegible] العبودية والربوبية [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] العبودية [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] أسرار الحقيقة [illegible]
[illegible] [illegible] العبودية [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] العبودية [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

العبد الفقير الى ربه الغني به عما سواه احمد بن محمد بن حجه لطف الله به في الدارين وتلطف فيمن

عليه معروفه بدفنه التقلب الغير نسخ التنقله بغيره يديه يحشره هذا

الشرح على باب القبول او طالعه ان يصفح

وما ... في الدنيا والاخرة والحمد لله

رب العالمين انتهى بحمد الله

وتوفيقه

بسم الله الرحمن الرحيم. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما.

شرح نونية الإمام الششتري للعارف الكبير سيدي أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني رضي الله عنه.

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد. قد تنزهت أحديته عن مزاحمة الشركاء والنظراء والأنداد. وتقدست عظمة ذاته عن وصف الحلول والاتحاد. والصلاة والسلام على قطب دائرة الأكوان وسيد الأشياء، الذي من نور فيضه الأول ظهرت نعمة الإيجاد والإمداد. سيدنا ومولانا محمد المبعوث بالعز الدائم والشرف الفاخر رحمة للعباد. وبعد: فهذا شرح عجيب لنونية الإمام المحقق، نجري زمانه، وفريد عصره وأوانه، إمام أهل الأذواق والوجدان، وقطب أهل التوحيد والعرفان.

أبي الحسن علي بن عبد الله الششتري. وقد سبق إلى شرحها العلامة الصوفي، سيدي أحمد زروق رضي الله عنه. اقتصر فيه على حل ألفاظها، وبيان ما انغلق من بعض معانيها. غير أنه لم يخض في تيار بحر أسرار التوحيد منها، على غواصين أنوارها، ولا فض ختام أسرارها، ولا دخل بعض أنس أبكارها، ولعله شرحها قبل أن يفتح عليه في أسرار الحقيقة. فقد كان شيخ شيوخنا سيدي علي العمراني رضي الله عنه يقول: ما فتح على الشيخ زروق إلا في آخر عمره. أي: حتى لم يؤلف شيئا بعد الفتح. والله أعلم. وكتابه تشاهد بذلك. إذ الكلام وصف المتكلم. ومن تكلم عرف من ساعته. فهو في علوم الطريقة إمام، وأما في علوم الحقيقة وأسرار الأذواق فلم ينل منها شيئا إلا في آخر عمره، كاد أن يخرج منها صفر اليدين. ولذلك كثر اعتراضه على أهل الله، وظهر في كلامه التشديد والتضييق عليهم. وقد رأيته في نوم كالقيلولة، فقلت له: قد شددت على أهل الله في عدة مرات. فقال: وما قلت فيها؟ فقلت له: قلت كذا وكذا. وذكرت له بعض ما انتقد عليهم، وما اشتد فيه. فقال: ذلك الذي يناسب مذهب مالك. فقلت له: الصوفي الحقيقي لا يقلد مالكا ولا غيره، بل يأخذ الشريعة من أهلها، والحقيقة من معدنها. فقال: من بلغ هذا؟ أو صحب من بلغه؟ ولا يتكلم بعده. فقلت: والله لقد بلغته، وصحبنا من بلغه. فغاب عني.

وكان

الصفحة الأولى من "خ"

العبودية هي شرف الإنسان، وعزه، وسبب ترقيه إلى كمال الكمال، وهي مفتاح الفتوحات
كلها. فبقدر ما يتحقق الظاهر بالعبودية، يشرق على الباطن أنوار الحقيقة. ومرجعها إلى تحقق
الذل في الظاهر، يظهر ذلك بين الأقران، كالمشي بالحفا، وتعرية الرأس، والجلوس على التراب،
وغير ذلك مما يثقل على النفس، ويجمع ذلك كله: السؤال في الأسواق، فهو يجهز على النفس مرة واحدة،
إن كان بإذن، ولغير طمع. ويلحق بذلك، التخلق بالأخلاق الحسنة، كالتواضع، والسخاء، والكرم،
وسعة الصدر، وترك الغضب للنفس، ونحو ذلك. وإن أردت أن تعرف العبودية، فانظر إن اشتريت
عبداً من مالك، كيف تحب أن يكون معك، فكن أنت مع سيدك، كما تحب أن يكون عبدك معك.
فالعبد لا يكون بين يدي سيده، حتى يحرره سيده، إلا فقيراً ذليلاً. ولا يلبس إلا لباس الذل،
وهي ثياب الخدمة والمهنة. فالعبد المتأدب لا يتحلى بحلية سيده حتى يحرره سيده.
والعبد أيضاً لا يدبر أمر نفسه، وهو في مملكة سيده، إذ لا ينفعه ذلك أيضاً.
وإذا أراد العبد أيضاً أن يحظى عند سيده، يكون عند أمره ونهيه، مسارعاً مطيعاً، بل يفهم عن
سيده، فيفعل ما يشتهي سيده، قبل أن يأمره به.
وأيضاً: العبد المحب لسيده، لا يخدمه عن غرض، إذ لا يستحق على سيده شيئاً، بل يخدمه عبودية ومحبة.
وفي الحديث: «لا يكن أحدكم كالأجير السوء، إذا أعطي عمل، وإلا لم يعمل». أو كما قال عليه السلام،
ثم قال الناظم: هدانا الله تعالى، أو العقل بل ذي الله لقول الحق فعلناه فيما نظمنا، وهو شرح ما
تولعت، أي تحيرت لعزته، أي لأجل صعوبته وغلبته ألبابنا، أي عقولنا. ولا هوننا، أي حققنا
معرفتنا بمعرفته. أي والله ثبتنا ورجعنا أن لم نقاربه القرب. ثم قال: فمن كان يبغي السير
والمعروف إلى الجانب الأقدس، وهو حضرة القدس ومحل الأنس، فليأت البيت ليأخذوه عنا. فإن
طريق السير لا تؤخذ إلا عن أربابها، وهم الذين سافروا معها، وعرفوا عزها وسهلها. والمراد تربية
النفوس وتهذيبها. فلا تؤخذ إلا ممن أخذها عن غيره، وسلكها بنفسه، وخاض مقام الجذب
والسلوك، وحاز مقام الفناء والبقاء. ومن لم يسلك ذلك، فلا يقتدى به في سلوكها. وبالله
التوفيق. وهو الهادي إلى سواء الطريق. هذا آخر ما قصدناه من شرح النونية الششترية، على
تصحيف في متنها. فمن وقف على خلل فليصلحه منها. ومن شرحها، إذ قل ما يخلف مصنف من
التحريفات، أو تغيير مؤلف من العثرات. كما قال الشيخ خليل رحمه الله. وكان الفراغ من تبييضه ضحوة يوم
الخميس، فاتح رجب سنة عشرين ومائتين وألف هجرية (1220هـ) على يد جامعه العبد الفقير أحمد
ابن محمد بن عجيبة الحسني. وقد نقله العبد الفقير العمراني الخالدي عبد السلام هنا. وكان الفراغ
منه صبيحة الأربعاء 25 ذو القعدة عام 1399هـ موافق 17 أكتوبر سنة 1979م. ص

الصفحة الأخيرة من "خ"

ثالثا : ملحق القصيدة النونية كما حققناها ضمن ديوان الششتري

النونية : المشهورة «بالشرق والغرب»

1- أرى طَالِباً مِنَّا الزيادَةَ لا الحُسْنَى بِفِكْرٍ رَمَى سَهْماً فَعَدَّى بِهِ عَدْنَا[1]

2- وَطَالِبُنَا مطلوبُنَا من وُجُودِنَا نَغِيبُ بِهِ عَنَّا لَدَى الصَّعْقِ إِذْعَنَّا[2]

3- تَرَكْنَا حُظُوظاً مِنْ حَضِيضِ لُحوظِنَا مَعَ الْمَقْصِدِ الأَقْصَى إِلَى الْمَطْلَبِ الأَسْنَى[3]

4- وَلَمْ نُلْفِ كُنْهَ الكَوْنِ إِلاَّ تَوَهُّماً وَلَيْسَ بِشَيْءٍ ثَابِتٍ هَكَذَا أَلْفَيْنَا

5- فَرَفْضُ السِّوَى فَرْضٌ عَلَيْنَا لأَنَّنَا بِمِلَّةِ مَحْوِ الشِّرْكِ والشَّكِّ قَدْ دِنَّا

6- وَلَكِنَّه كَيْفَ السَّبِيلُ لِرَفْضِهِ ورافضُهُ المرفوضُ نَحْنُ وَمَا كُنَّا[4]

7- فَيَا قَائِلاً بِالوصْلِ والْوَقْفَةِ[5] التِي حُجِبْتَ بِهَا، اِسْمَعْ وَارْعَوِ مِثْلَ مَا أُبْنَا[6]

8- تَقَيَّدْتَ بِالأوهامِ لما تداخلتْ عَلَيكَ ونُورُ العقلِ أَوْرَثَكَ السِّجْنَا

9- وَهِمْتَ بأنوارٍ فَهِمْنَا أُصُولَهَا وَمَنْبَعَهَا مِنْ حَيْثُ كَانَ فَمَا هِمْنَا

10- وَقَدْ تُحْجَبُ الأنوارُ للعبدِ مثْلَ مَا تُقَيِّدُ مِنْ إظلامِ نَفْسٍ حَوَتْ ضِغنَا[7]

11- وَأَيُّ وِصَالٍ فِي القضيَّةِ يُدَّعَى وأكملُ مَنْ فِي النَّاسِ لَمْ يَدَّعِ الأَمْنَا

12- وَلَوْ كَانَ سِرُّ اللَّهِ يُدْرَكُ هكَذَا لَقَالَ لَنَا الْجُمْهُورُ ما نَحْنُ مَا خِبْنَا

---

(1) يقصد جنة عدن، لأن مطلب الصوفي يتجاوز النعيم الآخروي (الجنان) إلى معرفة الله ودوام شهوده، وهو يشير إلى قوله تعالى : ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ يونس : 26.

(2) أي أن الطاللب من تلك الزيادة التي هي المعرفة هو عين مطلوبها، إذ ليس الأمر خارجاً عن ذواتها عند تحقق الفناء وهو الصعق، فالطالب هو المطلوب، فلا اثنينية ولا غيرية عند المحقق.

(3) أي تركنا حظوظ أنفسنا التي تهوي بنا إلى الحضيض سبب تطلعنا إلى المقصد الأعلى وهو معرفة الله.

(4) يوضح الإشكال الذي يضعه البيت السابق وهو أن (رفض السوى فرض علينا) إذ كيف السوى من هو في ذاته سوى، وكل سوى عدم محض ؛ فالرافض هو المرفوض نفسه.

(5) الوقفة (صوفيا) عائق في طريق السالك يحتجب به عن رؤية الله، أو الوقفة في المقام بحيث لا ينتقل منه إلى مقام أعلى ظانا أن مقامه منتهى الطريق.

(6) يقصد يا قائلا بوجود نفسه وبالوصول بنفسه إلى الله ارجع عن هذا الاعتقاد، فليس ثم إلاّ الله، واعتقاد الوصول بالعمل شرك، لأن الوصول إليه تكرم منه عليك.

(7) معناه : قد تحجب أنواع الطاعات والكرامات التي تتحقق للسالكين عن السير نحو الغاية.

13- فَكَمْ دُونَهُ مِنْ فِتْنَةٍ وَبَلِيَّةٍ وَكَمْ مَهْمَهٍ[8] مِنْ قَبْلُ ذَلِكَ قَدْ جُبْنَا

14- فَلاَ تَلْتَفِتْ فِي السَّيْرِ غَيْراً وَكلُّ مَا سِوَى اللَّهِ غيرٌ فَاتَّخِذْ ذِكْرَهُ حِصْنَا

15- وَكُلُّ مَقَامٍ لاَ تَقُمْ فِيهِ إِنَّهُ حِجابٌ فَجِدِّ السَّيْرَ واسْتَنْجِدِ الْعَوْنَا

16- وَمَهْمَا تَرَى كُلُّ المراتِبِ تُجْتَلَى عليْكَ فَحُلْ عَنْهَا فَعَنْ مِثْلِهَا حُلْنَا

17- قُلْ : لَيْسَ لِي فِي غَيْرِ ذَاتِكَ مَطْلَبٌ فَلاَ صُورةٌ تُجْلَى وَلاَ طُرْفَةٌ تُجْنَى

18- وَسِرْ نَحْوَ أَعْلاَمِ الْيَمِينِ فَإِنَّهَا سَبِيلٌ بِهَا يُمْنٌ فَلاَ تَتْرُكِ الْيُمْنَا[9]

19- أَمَامَكَ هَوْلٌ فَاسْتَمِعْ لِوَصِيَّتِي عِقَالٌ مِنَ الْعَقْلِ الذِي مِنْهُ قَدْ تُبْنَا

20- أَبَادَ الْوَرَى بِالْمُشْكِلاَتِ وقبْلَهُمْ بِأَوْهَامِهِ قَدْ أَهْلَكَ الجِنَّ وَالْبِنَّا[10]

21- مَحَجَّتُنَا قَطْعُ الحِجَا وَهُوَ حَجُّنَا وَحُجَّتُنَا تَتْلُوهُ بَاءٌ بِهَا تِهْنَا[11]

22- يُبَطِّئُنَا عِنْدَ الصُّعُودِ لأَنهُ يَوَدُّ لَوْ أَنَّا لِلصَّعِيدِ قَدْ أَخْلَدْنَا

23- تَلُوحُ لَنَا الأطوارُ مِنهُ ثَلاثَةٌ : كَراءٌ ومرْنِيٌّ ورؤيةُ مَا قُلْنَا

24- وَيُبْصِرُ عَبْداً عِنْدَ طَوْرِ بَقَائِهِ ويرْجِعُ مَوْلَى بِالْفَنَا وَهُوَ لاَ يَفْنَى

25- وَلَوْحاً إِذَا لاَحَتْ سطُورُ كِيَانِنَا له فيهِ وهو اللوْحُ والقلمُ الأَدْنَى[12]

26- وَعَرْشًا وَكُرْسِيّاً وَبُرْجاً وكوْكَباً وحَشْواً لِجِسْمِ الكُلِّ فِي بحْرِهِ عُمْنَا

27- يَمُدُّ خُطُوطَ الدَّهْرِ عِنْدَ الْتِقَاتِهِ إِحَاطتُه القُصْوَى التي فيها أظهرنا

28- يُقَيِّدُ بِالأَزْمَانِ لِلدَّهْرِ مِثْلَمَا يُكَيِّفُ لِلأَجْسَامِ مِنْ ذَاتِهِ الأَيْنَا

---

(8) مهمه : المفازة البعيدة، البلد المقفر. القفار.

(9) يقصد بأعلام اليمين لواء الشريعة المحمدية، عملا بالقول : من تصوّف و لم يفقه فقد تزندق، ومن نفقه و لم يتصوف فقد تفسق، ومن جمع بينهما فقد تحقق.

(10) الجن والبن : قبيلتان قالوا : إنهما كانتا قبل وجود الجنس البشري وملأتا الدنيا فسادا، ونزلت الملائكة فقضت عليهما. وكان منهم إبليس الذي رفض السجود لآدم (انظر : «تفسير المنار 258/1 ديوان الششتري ص 70»).

(11) مراده : أن سبيل التصوف ليس سبيل العقل، بل سبيل الذوق، وهو المراد بقطع الحجا، والوصول إلى الله عن طريق السلوك والذوق هو المقصد الأسنى، وهو محجتهم، حجهم، وقوله : باء بها تهنا، يقصد باء الوحدة، اعتبرت كذلك من القول المأثور : بي كان وبي يكون كل ما هو كائن.

(12) يقصد : أن العقل يتأثر بمقامات السالك وأحوال الواصل إلى الله، فيظهر في كل مقام بمظهره، ومن مظاهره أنه يصير كاللوح المحفوظ إذا صفا وعظم نوره، وأنه يشمل كل الجواهر الكلية العليا.

29- أَقَـامَ دُوَيْـنَ الـدَّهْـرِ سِـدْرَةَ ذَاتِـهِ   ونَـحْـنُ وَوَصْـفُ الـكُـلِّ فِي وصْفِهِ حِرْنَا

30- وَفَـتْـقٌ لِـلأَفْـلاَكِ جَـوْهَـرُهُ الـذِي   يُـشَـكِّـلُـهُ سِـرُّ الحرُوفِ بِـحَـرْفَـيْـنَـا[13]

31- يُـفَـرِّقُ مَـجْـمُـوعَ الـقضيـةِ ظَاهِراً   وَيَـجْـمَـعُ فَـرْقـاً مِـنْ تَـدَاخُـلِـهِ فُـزْنَـا

32- وَعَـدَّدَ شَـيْـئـاً لَـمْ يَـكُـنْ غَـيْـرَ وَاحِـدٍ   بِـأَلْـفَـاظِ أَسْـمَـاءٍ بِـهَـا شَـتَّـتَ الْـمَـعْـنَـى

33- وَيَـعْـرُجُ والْـمِـعْـرَاجُ مِـنْـهُ لِـذَاتِـهِ   لِتَـطْـوِيرِهِ الْـعُـلْـوِيِّ بِـالـوهْـمِ أَسْـرَيْـنَـا[14]

34- وَيَـجْـعَـلُ سُـفْـلَـيـهَـا وَيُوهِـمُ أَنَّـهُ   لِـسُـفْـلِـيِّـهِ المجْعُولِ بِـالـذَّاتِ أُهْـبِـطْـنَـا

35- يُـقَـدِّرُ وصْـلاً بـعـد فصْـلٍ لِـذاتِـهِ   وَفَـرْضَ مسـافـاتٍ يَـجِـدُّ بَـهَـا الـذِّهْـنَـا

36- يُـجَـلِّـي لـنَـا طـورُ المعيَّـةِ شـكَّـهُ   وإنْ لمعَـتْ مـنـه فـلـتَـلْـحَـقْـهُ الْـمَـيْـنَـا[15]

37- وَيُلْـحِـقُـهَـا بِـالـشِّـرْكِ مـن مـثْـنَـوِيَّـةٍ   يـلـوحُ بـهَـا وهُـوَ الملوَّحُ والْـمَـثْـنَـى[16]

38- فـنـحـنُ كَـدُودِ الـقَـزِّ يَـحْـصُـرُنَـا الـذِي   صَـنْـعْـنَـا لِـرفْـعِ الحصْـرِ سِـجـنـاً لَـنَـا مِـنَّـا

39- فَـكَـمْ واقِـفٍ أرْدَى وكَـمْ سَـائِـرٍ هَـدَّى   وكَـم حِـكْـمَـةٍ أَبْـدَى وكـم مُـمْـلِـقٍ أَغْـنَـى

40- وَتَـيَّـمِ أَلْـبَـابَ الْـهَـرَامِـسِ كـلِّـهِـمْ   وحَـسْـبُـكَ مِـنْ سُـقْـرَاطَ أَسْـكَـنَـهُ الـدَّنَّـا

41- وَجَـرَّدَ أَمْـثَـالَ الـعـوالِمِ كُـلِّـهَـا   وَأَبْـدَى «لافـلاطـون» في المثْـلِ الْـحُـسْـنَـى

42- وَهَام «أرسْطُو» حتَّى مَشَى منْ هُيامِهِ   وبثَّ الـذِي أُلْـقَـى إِلَـيْـهِ وَمَـا ضَـنَّـا

43- وَكَانَ «لِذِي الْقَرْنَيْنِ» عوْناً عَلَى الذِي   تـبـدَّى لـهُ وهُـوَ الـذِي طَـلَـبَ الْـعَـيْـنَـا

---

(13) معناه : أن العقل الإنساني فتق للأفلاك المحيطة به جواهرها فأدركها على نحو عند علماء الفلك، وأن الله جعل كل فلك يتصرف (في زعمهم) بسر حرف من الحروف، أما الحرفان اللذان أشار إليهما فهما الألف والباء لأنهما مرجعا أسرار الحروف كلها.

(14) يقول : إن العقل عندما يرتفع بإدراكه من عالم الأشباح إلى عالم الأرواح فإنه في الواقع لا يعرج وإنما يرتقي في نفسه، والوهم هو الذي يحيل إلى الغيرية، وأن هناك عارجاً ومعروجاً إليه يقصد أن العقل بأوهامه هو الذي يتخيل الاثنينية في الكون، من موجود وموجد، مع أنه وجود مع الله، وإن لمعت منه، أي أنوار الحقائق، فمحا الاثنينية وأثبت الوحدة يلحقه الكذب واليمن في اعتقاده. فهو ظاهر بكل شيء من كل شيء، للعموم بالفعل وللخصوص بالاسم والنعت، ولخصوص الخصوص بالصفات وللقائمين بمشاهدة الذات بالذات.

(15) مراده : ويلحق العقل المعية التي أثبتها بوهمة بالشرك الجلي عند أهل الفناء من أهل الباطن، الشرك الخفي عند أهل الظاهر، فهو يظهر المثنوية والمعية من خالق ومخلوق وهو الناظر والمنظور، المثبت للشفعية الملحق لها بالشرك، وهذا تناقص في طبيعته.

(16)

44- ويَبْحَثُ عن أسبابِ مَا قَدْ سَمِعْتُم[17] وَبِالْبَحثِ غَطَّى الْعَيْنَ إذ رِدَّهُ غَيْنَا[18]

45- وَذَوَّقَ «لِلحلاَّجِ» طعْمَ اتِّحَادِهِ فَقَالَ أنَا مَنْ لا يُحِيطُ بهِ مغْنَى

46- فَقِيلَ لهُ : ارْجِعْ عَنْ مَقالِكَ قَالَ : لاَ شَرِبْتُ مُداماً، كلُّ مَنْ ذَاقَهَا غَنَّى

47- وَأَنْطَق لِلشّبْلِي بالوحْدةِ التي أشَارَ بِهَا لمَّا مَحَا عِنْدَهُ الكوْنَا

48- وكَانَ لِذَاتِ النَّفْزِيِّ مُولِّهَا[18] يُخَاطِبُ بالتَّوْحِيدِ، صَيَّرَهُ خِدْنَا

49- وَكَانَ خَطِيباً بيْنَ ذَاتَيْنِ مَنْ يَكُنْ فَقِيراً يَرَ البحْرَ الذي فِيه غُصْنَا

50- وَأَصْمَتْ لِلْجِنِّي[20] تجْرِيدُ خَلْقِهِ مَعَ الأَمْرِ إذْ صارتْ فَصَاحَتُه لُكْنَا[21]

51- تَثَنَّى قَضِيبُ البانِ[22] من شُرْبِ خَمْرِهِ فكانَ كَمِثْلِ الْغَيْرِ لكنّه ثَنَّى

52- وَقَدْ شَذَّ «بِالشُّوذِيِّ» عنْ نوْعِهِ فلمْ يَمِلْ نحْوَ أخْدَانٍ و لمْ يسْكُنْ الْمُدْنَا

53- وأَصْبَحَ فِيهِ السَّهْرَ وَرْدِيُّ حائراً يَصِيحُ فما يُلْقِى الوجودُ لَهُ أذْنَا

54- ولابنِ قِسِّي «خلْعُ نعْلٍ» وُجُودِهِ و«لبْسُ إحَاطَاتٍ» مِنْ الْحِجْرِ قَدْ تُبْنَا

55- أَقَامَ عَلَى سَاقِ الْمَسَرَّةِ نَجْلُهُ[23] لِمُزْنٍ مِنَ الأَسْرَارِ فاسْتَقْطَرَ الْمُزْنَا

---

(17) يقصد : ما سمعتم في القرآن من طوافه حتى وقف على عين حمئة، وهي (عندهم) عين الحياة التي يبحث عنها الخضر أيضاً فعثر عليها. (انظر التفسير الكبير ج 168/21).

(18) المراد بالغين (عندهم) ما يعرض لقلب الصوفي من حجاب كما يعرض للمرآة إذا تنفس فيها الناظر، ثم تعود إلى صفاتها. ويروون في ذلك الحديث : أَنَّهُ لَيُغَانُ على قلبي فاستغفر اللّه. (اللمع 451).

(19) هو الشيخ محمد بن عبد الجبار النفزي (توفي 354) صاحب : «المواقف في التصوف» وقد شرحه عفيف الدين التلمساني، والنفزي صوفي كبير : (انظر : «كيف الظنون 561/2»).

(20) قال الشيخ زروق : أظن أنه ابن جني النحوي الذي ألف كتابا ذكر فيه فصاحة الإنسان وعقله ومداهما.

(21) يقصد أن العقل أصمت لابن جني كتابه الذي سماه (تجريد خلق الإنسان) وإنّما أصمته لأن الأمر يقتضي أكثر مما ذكر فيه. وهكذا غدت فصاحة ابن جنّي لكنة إزاء العقل (ولا يُعرف لابن جني كتاب بهذا العنوان).

(22) هو أبو عبد اللّه الحسين بن عيسى من ذرية آل البيت سُمي قضيب البان لجمال قده وحسن منظره. توفي سنة 573هـ بالموصل كان من أرباب الأحوال، والناظم يشير إلى أنه كان ذا تلون. انظر (تراجم الأولياء في الموصل الحدباء) ص 70-79 والنفحات ص 525.

(23) يقصد : أقام العقل ابن مسرة على ساق المسرة عندما كشف له الأسرار.

56- وَلاَحَ سَنَا بَرْقٍ مِنَ الْقُرْبِ لِلنُّهَى ... لِنَجْلِ ابْنِ سِينَا الذِي ظَنَّ مَا ظَنَّا[24]

57- وَقَدْ قَلَّدَ الطُّوسِيُّ مَا قَدْ ذَكَرْتُهُ ... ولكنَّهُ نحْوَ التَّصَوُّفِ قَدْ حَنَّا

58- ولابْنِ طُفَيْلٍ وابْنِ رُشْدٍ تَيَقُّظٌ ... «رسالةُ يقظَانَ» اقْتَضَتْ فَتْحُهُ الْجَفْنَا

59- كَسَا لَشُعَيْبٍ ثَوْبَ جمْعٍ لِذَاتِهِ ... يَجُرُّ عَلَى حُسَّادِهِ الذَّيْلَ وَالرُّدْنَا

60- وَعَنْهُ طَوَى[25] الطَّائِيُّ بَسْطَ كِيَانِهِ ... بِدَسْكَرَةِ الخُلاَّعِ إِذْ أَذْهَبَ الْوَهْنَا

61- تَسَمَّى بِرُوحِ الرُّوحِ جهراً فلم يُبَلْ[26] ... وَلَمْ يَرَ نَدّاً فِي الْمَقَامِ ولاَ خِدْنَا

62- بِهِ عُمَرُ بنُ الْفَارِضِ الناظمُ الذِي ... تَجَرَّدَ للأَشْعَارِ قَدْ سَهَّلَ الْحُزْنَا

63- وَبَاحَ بِهَا نَجلُ «الْحَرَالِيِّ» عِنْدَمَا[27] ... رَأَى كَتْمَهُ صَعْباً وتَلْوِيحَهُ غَبْنَا

64- وللأُمَوِيِّ النَّظْمُ والنَّثْرُ في الذِي ... ذَكَرْنَا وَإِعْرَابٌ كَمَا نَحْنُ أَعْرَبْنَا

65- وَأَظْهَرَ مِنْهُ الْغَافِقِيُّ لِمَا خَفِي ... وَكَشَّفَ عَنْ أَطْوَارِهِ الْغَيْمَ والدُّجْنَا

66- وَبَيَّنَ أَسْرَارَ الْعُبُودِيَّةِ التِي ... عَنْ إِعْرَابِهَا لَمْ يَرْفَعُوا اللُّبْسَ واللَّحْنَا

67- كَشَفْنَا غِطَاءً عَنْ تَداخُلِ سِرِّهَا ... فَأَصْبَحَ ظَهراً مَا رَأَيْتُم لَهُ بَطْنَا

68- هَدَانَا لِدِينِ الحَقِّ قَدْ تَوَلَّهتْ ... لِعِزَّتِهِ الْبَابُنَا وَلَهُ هُدْنَا

69- فَمَنْ كَانَ يَبْغِي السَّيْرَ للجانبِ الذِي ... تَقَدَّسَ، فلْيَأْتِ الآنَ يَأْخُذْه عَنَّا

(24) يشير الناظم بقوله : ظنَّ مَا ظَنَّ إلى كونه قال بتبعية الشريعة للعقل، وهو قول فاسد (عندهم) أو لأنه قال بآراء الأقدمين في الطبيعة.

(25) هو الشيخ محيي الدين بن عربي الحاتمي الطائي (ب 638هـ)، ويقول الناظم عنه : إن العقل طوى بساطه عنه فغاب عقله عن إدراك حقيقته لكون ما أدركه خارجاً عن طور العقول، ودسكرة الخلاع : مجمع أهل الخمرة، أي أنه لما أذهب عن نفسه وهن العقل بحضرة العشاق العارفين باح بالسر.

(26) أشار إلى قول ابن عربي :

أنا القرآن والسبع المثاني ... وروح الروح لا روح الأواني

(27) هو أبو الحسن علي بن محمد التُّجيبي الصوفي العالم (ت 638هـ) والمقصود أنه باح بكل الأسرار.

الفهارس

- فهرس الآيات القرآنية
- فهرس الأحاديث النبوية
- فهرس المصطلحات
- فهرس الأعلام
- فهرس المذاهب
- فهرس الكتب
- فهرس المصادر والمراجع
- فهرس الموضوعات

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس المصطلحات

فهرس الأعلام

– أ –

- ق -

- ل -

فهرس المذاهب

فهرس الكتب

فهرس المصادر والمراجع

باللغة العربية :

- القرآن الكريم

- مصادر الحديث النبوي الشريف

- معاجم التصوف والفلسفة

- ابن عجيبة (أبو العباس أحمد) :

- كتاب شرح نونية الششتري : مخطوط الخزانة الوطنية رقم 8/736/د.
- كتاب معراج التشوف إلى حقائق التصوف. ط 1، 1982م.
- كتاب الفهرس : مخطوط المكتبة الوطنية الرباط رقم 1845د.
- كتاب إيقاظ الهمم في شرح الحكم، لبنان (د. ت).
- شرح قصيدة في المحبة للششتري، مخطوط الرباط رقم 1388د.

- ابن فرحون (برهان الدين) :

- كتاب الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، بيروت (د. ت).

- ابن ابراهيم (أبو العباس) :

- كتاب الإعلام بمن مراكش من الأعلام ج 2، 1974م.

- ابن قنفذ (أبو العباس) :

- كتاب أنس الفقير وعز الحقير، نشر محمد الفاسي وأدولف فور، الرباط 1965م.

- **ابن الخطيب (لسان الدين) :**
• كتاب الاحاطة في أخبار غرناطة، القاهرة 1974م.

- **ابن عطاء الله (الاسكندري) :**
• التنوير في اسقاط التدبير وبهامشه تاج العروس، القاهرة (د. ت).
• كتاب لطائف المنن، بيروت (د. ت).

- **ابن عربي (محي الدين) :**
• كتاب الفتوحات المكية، دار الفكر (د. ت).
• كتاب الرسائل، ط 2، دار صادر 1997م.

- **ابن وهب (اسحاق) :**
• كتاب نقد النثر، بيروت 1980م.

- **ابن النديم (محمد بن اسحاق) :**
• كتاب الفهرست، بيروت (د. ت).

- **ابن مريم (أبو عبد الله) :**
• كتاب البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ط 1، الجزائر 1908م.

- **البغدادي (عبد القاهر) :**
• كتاب الفرق بين الفرق، دار الآفاق الجديدة، بيروت 1980م.

- **التنبكتي (أحمد بابا السوداني) :**
• كتاب نيل الابتهاج بتطوير الطراز،

- **التادلي (ابن الزيات) :**
• كتاب التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق أحمد التوفيق، الرباط 1984م.

- **الجيلي (عبد الكريم) :**
• كتاب الإنسان الكامل في معرفة الأوائل والأواخر، دار الرشاد، البيضاء 1998م.

- **الحلاج (أبو المغيث الحسين) :**
- كتاب هكذا تكلم الحلاج. تحقيق قاسم محمد عباس، دار المدى 2009م.

- **الحنبلي (عبد الحي بن العمار) :**
- كتاب شذرات الذهب في أخبار من ذهب. دار الآفاق بيروت (د. ت).

- **حلمي (مصطفى) :**
- كتاب ابن الفارض والحب الإلهي. دار المعارف (د. ت).

- **خشيم (علي فهمي) :**
- كتاب أحمد زروق والزروقية. ط 3 بيروت 2003م.

- **داود (محمد) :**
- كتاب تاريخ تطوان. مطبعة المهدية 1966م.

- **الرندي (ابن عباد) :**
- كتاب شرح الحكم. دار الفكر ط 1 (د. ت).

- **زروق الفاسي (أبو العباس أحمد) :**
- مخطوط شرح النونية، الاسكوريال بإسبانيا رقم 40186.

- **الشُشْتُري (أبو الحسن) :**
- الديوان. تقديم تحقيق محمد العدلوني الادريسي وسعيد أبو الفيوض، دار الثقافة، ط 1، 2008م.
- كتاب المقاليد الوجودية. تحقيق محمد العدلوني الادريسي دار الثقافة ط 1 2008م.
- كتاب الرسالة العلمية. تحقيق محمد العدلوني الادريسي ط 1، 2004م.

- **الشهرستاني (أبو الفتوح محمد) :**
- كتاب الملل والنحل. دار المعرفة، بيروت، ط 3، 1975م.

- **الصغير (عبد المجيد) :**
- كتاب إشكالية إصلاح الفكر الصوفي. دار الآفاق الجديدة، ط 1، 1988م.

- **العدلوني الإدريسي (محمد عبد الحي) :**
- كتاب نظرات في التصوف المغربي. ط 1، دار الثقافة 2006م.
- كتاب أبو الحسن الششتري ومدرسته. دار الثقافة 2005م.
- كتاب المرحلة الابتدائية في تكون التصوف بالغرب الإسلامي، ابن مسرة ومدرسته. دار الثقافة 2000م.
- كتاب التصوف في فلسفة ابن سبعين. دار الثقافة 2006م.
- كتاب ابن عربي ومذهبه الصوفي الفلسفي. دار الثقافة 2004م.

- **عمار (سالم) :**
- كتاب أبو الحسن الشاذلي. دار التأليف مصر 1951م.

- **الغبريني (أبو العباس) :**
- كتاب عنوان الدراية. دار الآفاق، بيروت، ط 2، 1979م.

- **الغزالي (أبو حامد) :**
- كتاب إحياء علوم الدين. دار الفكر بيروت 1980م.

- **القشيري (عبد الكريم بن هوازن) :**
- كتاب الرسالة. دار الكتاب العربي (د. ت).

- **الكتبي (شاكر) :**
- كتاب فوات الوفيات. ط بولاق 1283هـ.

- **الكتاني (عبد الله بن جعفر) :**
- كتاب سلوة الأنفاس. ط 1، دار الثقافة 2004م.

- المقري (التلمساني) :
• كتاب نفح الطيب. ط 2 بيروت 1968م.

- المكي (أبو طالب) :
• كتاب قوت القلوب، القاهرة 1321هـ.

- الندوي (أبو الحسن) :
• كتاب رجال الفكر والدعوة في الإسلام. دار القلم، الكويت، ط 4، 1974م.

باللغة الفرنسية :

– Lahoust (Henris) :
- Chiisme dans l'islam, Paris 1983.

– Michon (J. L)
- L'autobiographie (FAHRASA) du sofi marocain Ahmed Ibn 'Agiba, Leiden 1969.
- Le sofi marocain Ahmed Ibn Agiba et son Mirage, Paris, librairie philosophique, Jean Vrin 1979.

فهرس الموضوعات